حركات المعارضة في العراق في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان وموقفه منها

(٦٥هـ/٦٨٤م-٨٦هـ/٧٠٥م)

ثريا بنت عبدالله بن خميس العبرية

مشروع بحثي/ رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب، تخصص: التاريخ

قسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عمان

فبراير ٢٠١٤م

(لجنة المشروع البحثي/ الرسالة)

اسم الطالبة: ثريا بنت عبدالله بن خميس العبرية الرقم الجامعي: ١١/٧٠٥٤٨

عنوان الرسالة: حركات المعارضة في العراق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وموقفه منها (٦٥هـ/٦٨٤م-٨٦هـ/٧٠٥م)

لجنة المشروع البحثي/ الرسالة:

١. المشرف الرئيس: أ.د. فاروق عمر فوزي

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: التاريخ.

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: ------------------------ التاريخ: ٢٠/٢/٢٠١٤م.

٢. المشرف المساعد: د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي

الدرجة العلمية: أستاذ مشارك.

القسم: التاريخ.

الكلية: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: ------------------------ التاريخ: ٢٠/٢/٢٠١٤م.

(لجنة مناقشة المشروع البحثي/ الرسالة)

١. رئيس اللجنة: د. محمد فتحي ساطور.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: الإعلام.

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٢/٢٠١١م.

٢. المشرف الرئيس: [illegible].

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: التاريخ.

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٢/٢٠١١م.

٣. العضو (ممثل رئيس القسم): د. بدر بن هلال العلوي.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: التاريخ.

الكلية/ المؤسسة: الآداب والعلوم الاجتماعية.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٢/٢٠١١م.

٤. الممتحن الخارجي: عمر لقمان سليمان بوعصبانة.

الدرجة العلمية: دكتوراه.

القسم: رئيس مشروع المخطوطات العمانية والمغاربية.

الكلية/ المؤسسة: جامعة نزوى.

التوقيع: .... التاريخ: ٢٠/٢/٢٠١١م.

الإهداء

إلى من كلت أنامـــله ليقدم لنا لحظـة سعـــادة... أبي

إلى رمز الحب ومن ركع العطاء أمام قدميها... أمي

إلى من أخـــذ بيـدي وآنســـني في دراســـتي... أخي أحمد

إلـــى القلـــوب الطاهـرة وريـاحين حيـــاتي... أخوتي

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعطى فأكرم، وعلَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وبعد:

أمل ممطر يفتح بالقلب سعادة لا تروى بالحروف... يمتزج فيها الفرح بالبسمة الصافية على الثغور السعيدة.. السماء تبهجنا بذلك الأمل الذي ما مللت في انتظاره. .كلما دخلت في ظلمة الانكسار والهزيمة ثمة يد انتشلتني ليغرد القلب بأشرعة الربيع، فشكرا بحجم السماء واتساع البحر لكل ومضة نجم أيقظت داخلي رغبة الوصول.

شكرا إلى أستاذي الدكتور فاروق عمر فوزي الذي جعلني واثقة الخطى في هذا الأمل الجميل...

شكرا إلى أستاذي الدكتور سعيد بن محمد الهاشمي الذي أهداني مصباحا أنير به طريق العلم والمعرفة...

شكرا للصديقة الأستاذة خلود باحشوان التي رسمت في طريقي ورود الأمل والإصرار...

شكرا لصديقاتي رنا الضوياني، ومعصومة الندابي، وسعاد السيابي...

شكرا لموظفي المكتبة الرئيسية بجامعة السلطان قابوس...

وشكرا إلى ذلك الطِيب الذي جنيته من رفوف الكتب وحصدته في هذه الأوراق التي تهوى الحياة.

شكرا وعرفانا

ملخص الدراسة

حركات المعارضة في العراق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وموقفه منها (٦٥هـ/٦٨٤م -٨٦هـ/٧٠٥م).

تتناول هذه الدراسة التعريف بأهم حركات المعارضة التي قامت في العراق زمن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٤م -٨٦هـ/٧٠٥م)، والبحث في أسباب قيام هذه الحركات وتطورها ومدى تأثيرها على الدولة الأموية ، وتسليط الضوء على سياسة الخلافة الأموية في التعامل مع هذه الحركات. وقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل والمقارنة بين الروايات التاريخية ذات الصلة بالموضوع، ونقد تلك الروايات ومحاولة التوفيق بينها اعتمادا على أهم المصادر التاريخية وبعض من المراجع الحديثة.

قُسمت الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة تناول التمهيد نبذة عن الأوضاع السياسية في الدولة الأموية منذ قيامها حتى تولي عبدالملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وركز الفصل الأول على المعارضة الشيعية وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٦هـ/٦٨٥م -٦٧هـ/٦٨٦م)، وخصص الفصل الثاني للحديث عن حركات الخوارج (أزارقة ونجدات وصفرية)، في حين ركز الفصل الثالث الحديث عن فرقة الأباضية وموقفها من الأمويين، أما الفصل الرابع تناول الحديث عن الحركات السياسية في تلك الفترة وتشمل حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث، وحركة زفر بن الحارث، وحركة عبدالله الجارود، وحركة الزنج، وحركة المطرف بن المغيرة بن شعبة.

خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها: ظهور حركات سياسية دينية وحركات سياسية معارضة للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكشفت الدراسة أن الاختلاف حول مسألة الخلافة وأحقية الحكم، وسياسة بعض الولاة الأمويين بالإضافة إلى اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية كانت من أهم اسباب قيام حركات المعارضة، كما وضحت الدراسة أن سياسة اللين و الشدة التي اتبعها الخليفة عبدالملك بن مروان ساعدته في القضاء على حركات المعارضة، وبينت الدراسة أن إهمال الجانب التنظيمي للحركات وانتهازية بعض قيادتها وعدم قيام وحدة بين زعمائها كان من أهم أسباب فشل هذه الحركات.

Abstract

Opposition movements in Iraq during the Caliphate of Abdul Malik bin Marwan, and his policy towards them (65 AH / 684 AD -86 AH / 705 AD).

This study dealt with the most important opposition movements which emerged in Iraq during reign of The Umayyad Caliph Abdul Malik bin Marwan (65 AH / 684 AD -86 AH / 705 AD), and looked into the reasons behind these movements, their development and impact on the Umayyad dynasty. It shed light on the policy that Umayyad caliphate had adopted to deal with such movements. The researcher followed the historical method based on description, analysis and comparison of the relevant historical narratives, trying to reconcile them relying on the most important historical sources in addition to some modern works.

The study was divided into introduction, four chapters and a conclusion. The introduction discussed the political situation in the Umayyad state since its inception until reign of the Caliph Abdul Malik bin Marwan in 65 AH / 684 AD. The first chapter focused on the Shiite opposition and Mukhtar bin Abu Obaid Al-Thaqafi movement (66 AH / 685 AD -67 AH / 686 AD). The second chapter talked about the Kharijites movements (Azariqah, Njaddat, and Suphriya), while the third chapter focused on Ibadi movement and it's stand from Umayyads. The fourth chapter dealt with the political movements in that period including the movement of Abdul-Rahman ibn Muhammad Al-Ash'ath, Zafer bin AL-Harith movement, Abdullah al-Jaarood movement, Zinj movement, and Al-Mutrif Ibn Al-Mughira movement, respectively.

The study showed that in the era of Umayyad Caliph Abdul Malik bin Marwan, there were two main types of opposition: the first is the politico - religious opposition movements, and the second was the purely political opposition movement.. The study revealed the difference in the issue of succession, the eligibility of ruling, the policy of some Umayyad's governors, in addition to the instability of political and economic situation which were the most important reasons behind the opposition movements. The study has illustrated the policy of (flexibility and intensity) followed by Caliph Abdul Malik bin Marwan which helped him to eliminate the opposition movements. The study showed that the negligence of the organizational side of the movements, the opportunism of some of its leaders and the failure to reach unity among these leaders were the main reasons behind the failure of these movements.

جدول المحتويات

قائمة الاختصارات

م	العبارة	رمز الاختصار
١	دون تاريخ	د.ت
٢	دون ناشر	د.ن
٣	دون مكان نشر	د.م
٤	دون طبعة	د.ط
٥	تاريخ الوفاة	ت
٦	الجزء	ج
٧	الصفحة	ص
٨	الطبعة	ط
٩	Volume	Vol
١٠	Page	P

المقدمة

قامت الدولة الأموية بعد حرب أهلية وفي ظل ظروف غير طبيعية، ظروف بعيدة عن مبدأ الشورى والانتخاب الذي قامت على أساسه دولة الخلافة الراشدة، فمعاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية تمكن من الوصول للحكم مستخدما الوعد والوعيد، والمال والقوة لتحقيق هدفه، مما أدى إلى تقسيم الدولة إلى فرق وأحزاب، وكان من الطبيعي أن تظهر ضد الدولة الجديدة جهات معارضة، شكلت حركات وثورات ارتبطت هذه الحركات بعدائها للدولة الأموية واختلفت في أهدافها، فمنها ما كان مدفوعاً بأسباب دينية سياسية كالخوارج والشيعة، ومنها ما كان يطمح إلى تحقيق مصالح وأهواء شخصية، والآخر دفعته أسباب قبلية.

كانت العراق ذات مكانة خاصة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية، فبعد الإستقرار الذي حققته الدولة أصبحت العراق قاعدة للفتوحات الإسلامية خاصة على الجبهة الشرقية، ومن العراق تمت فتوح أقاليم الهضبة الإيرانية التي أصبحت إدارتها تابعة لولاة العراق، وأصبح كل من البصرة والكوفة قاعدتين أساسيتين في حشد المقاتلة، وإرسال المساعدات لقادة الفتح العربي الإسلامي، ولكن ما لبث أن ظهر الإضطراب في هذه المنطقة منذ أواخر العصر الراشدي وبداية العصر الأموي، إذ قلَّت حركات الفتح مما أدّى إلى انشغال المقاتلة بالأمور السياسية والفكرية، واشتعلت الحركات المناهضة للدولة الأموية، وأصبحت خطرا يهدد الدولة سياسيا واقتصاديا، وأصبح العراق منطقة غير مستقرة تهدد السلطة المركزية، لذلك كان لزاما على الدولة الجديدة أن تعمل على تثبيت وترسيخ سيطرتها على العراق، باتخاذ العديد من الإجراءات التي تمكنها من إعادة السيطرة على المنطقة، وبالتالي نشر الراية الأموية على المناطق الشرقية المتاخمة للدولة الإسلامية.

من هذا المنطلق جاء اختيار الباحثة لموضوع " حركات المعارضة في العراق في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٤م-٨٦هـ/٧٠٥م) وموقفه منها"، فقد تولى عبدالملك بن مروان الخلافة ووجد أن الدولة ممزقة تنقصها الوحدة، حيث حركات المعارضة ليس فقط في إقليمي الحجاز والعراق البؤرتين الرئيسيتين للمعارضة بل في بلاد الشام أيضا، بالإضافة إلى أعدائه الروم في الخارج، لذلك كان من الضروري له أن يواجه خصومه في كل هذه المناطق، وأن يعمل على توحيد أركان الدولة، ونظرا لما تحتله العراق من مكانة في الدولة لاسيما أنها كانت تمثل موردا اقتصاديا مهما للدولة إضافة إلى مكانتها السياسية، كان على عبدالملك بن مروان أن يكثف جهوده، وأن يعمل على اتخاذ جملة اجراءات تمكنه من السيطرة

على المنطقة، وربما كان هذا أحد الأسباب التي جعلت من عبدالملك بن مروان "مؤسسا ثانيا" للدولة الأموية في نظر المؤرخين. لذلك ركزت الباحثة على الحركات التي قامت ضد الخليفة عبدالملك بن مروان في العراق خاصة تلك الحركات التي اتسمت بالطابع السياسي العقائدي والتي كانت لها أهمية كبيرة بذلت الدولة أقصى طاقتها للقضاء عليها، كما اهتمت الباحثة بتوضيح السياسة التي اتبعها هذا الخليفة في مواجهة هذه الحركات حتى تمكن من إعادة المنطقة تحت سيطرة الدولة الأموية، وإعادة الدولة إلى قوتها وأمنها واستقرارها.

أهمية الدراسة

تعد حركات المعارضة السياسية الدينية والحركات السياسية وانعكاساتها الفكرية والاجتماعية ذات تأثير كبير على سياسة الدولة، ونتيجة لعدم وجود دراسة أكاديمية سابقة خاصة تركز على الموضوع فإن أهمية الدراسة تكمن في التركيز على حركات المعارضة التي قامت في العراق في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، لإلقاء الضوء على طبيعة هذه الحركات، والبحث في الأسباب والأهداف التي دفعت هذه الحركات للقيام ضد الدولة الأموية، كذلك التركيز على دور الخليفة عبدالملك بن مروان في مواجهة هذه الحركات، ودوره في إعادة السيطرة على المنطقة، وتوحيد كيان الدولة لتضم العراق وبلاد الشام والحجاز.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

١. التعرف على حركات المعارضة التي قامت في العراق في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان.

٢. الكشف عن الأسباب والأهداف التي قامت من أجلها حركات المعارضة.

٣. إبراز زعماء حركات المعارضة وسياستهم .

٤. الوقوف على الدور الذي لعبه الخليفة عبدالملك بن مروان في مواجهة حركات المعارضة في العراق.

الدراسات السابقة

١- دكسن، عبد الأمير عبد حسين، الخلافة الأموية، ط١، دار النهضة العربية، بيروت:١٩٧٣م.

تحدث دكسن في كتابه عن فترة خلافة عبدالملك بن مروان ٦٥هـ/٦٨٤م-٨٦هـ/٧٠٥م بصفة عامة وشمولية وتناول في جملة ما تناوله حركات المعارضة التي ظهرت في فترة خلافته.

حيث تعتبر هذه الدراسة من الدراسات المهمة، ولكنها تناولت عهد عبدالملك بن مروان بصورة شاملة، وفائدتها بالنسبة للدراسة هو ما يخص الفصل الخاص بحركات المعارضة في العراق.

٢- خريسات، محمد عبدالقادر. الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م). مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع: ٢٠٠٥م.

أفرد خريسات في الوحدة الرابعة من كتابه جزءا للحديث عن الخليفة عبدالملك بن مروان وأهم حركات المعارضة التي قامت ضده، وقد استفادت الباحثة في التعرف على سياسة الخليفة عبدالملك بن مروان في مواجهة هذه الحركات، وأهم الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الحركات.

٣- العزام، صبحي محمد. خلافة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن: ٢٠٠٦م.

تضم الدراسة في فصلها الرابع والخامس الحديث عن وصول مروان بن الحكم للخلافة، والأوضاع العامة في عهده في كل من الشام ومصر والحجاز، وقد استفادت الباحثة في التعرف على طبيعة الأوضاع السياسية التي سبقت خلافة عبدالملك بن مروان.

منهج الدراسة

اتخذت الباحثة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف هذه الدراسة، وذلك عن طريق تتبع الروايات والأحداث التاريخية في المصادر الأولية، ومقارنتها بالمراجع الحديثة وتحليلها، وهذا المنهج تراه الباحثة المنهج المناسب في ذلك.

قُسمت الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، يتناول التمهيد نبذة عن الأوضاع السياسية في الدولة الأموية منذ قيامها حتى تولي عبدالملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، لتوضيح التطور التدريجي للأحداث في الفترة الأولى من حكم الأمويين، وخصص الفصل الأول للحديث عن حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والفصل الثاني عن حركات الخوارج ثم الفصل الثالث عن حركة الأباضية، بينما ركز الفصل الرابع على الحركات السياسية الصرفة في تلك الفترة وتشمل حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث، وحركة زفر بن الحارث، وحركة عبدالله الجارود، وحركة الزنج، وحركة المطرف بن المغيرة بن شعبة.

التمهيد

نبذة عن الأوضاع السياسية في الدولة الأموية منذ قيامها حتى تولي عبدالملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م

التمهيد: نبذة عن الأوضاع السياسية في الدولة الأموية منذ قيامها حتى تولي عبدالملك بن مروان الخلافة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م.

تُنسب الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، سيدا من سادات قريش في الجاهلية، وبعد أن جاء الإسلام وقف معظم الأمويين موقفا معاديا للرسول (صلى الله عليه وسلم) فقد اشتركوا في المقاطعة لبني هاشم، وآذوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأوقعوا الأذى بمن أسلم من بني أمية، ومنعوا المسلمين من الهجرة إلى المدينة المنورة، كما واجه الأمويون الرسول (صلى الله عليه وسلم) مواجهة عسكرية، وحاربوا ضده في غزوة بدر[١]، ولم يدخلوا في الإسلام إلا بعد فتح مكة، حيث أصبح لبعضهم بعد ذلك دور في الدفاع عن الإسلام ونشره خارج شبه الجزيرة العربية[٢].

كان وصول عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى الخلافة يمثل نقطة تحول كبيرة في تاريخ الأمويين؛ إذ زاد طموح البيت الأموي في الوصول إلى منصب الخلافة، وقد تمثل هذا الطموح في شخصية معاوية بن أبي سفيان[٣]، الذي كان يتولى إدارة بلاد الشام للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وأخذ يمهد الطريق لنفسه في بلاد الشام ليحقق هذا الطموح، فكان له ما أراد بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وما حدث بعد ذلك من اضطرابات أطلق عليها "الفتنة الكبرى".

نجح معاوية بن أبي سفيان في الوصول إلى منصب الخلافة بعد صراع دار بينه وبين الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وكان من نتائج معركة صفين[٤] سنة ٣٧هـ/٦٥٧م ضعف الوضع السياسي للخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) خاصة بعد أمر التحكيم[٥]

---

(١) خريسات، محمد عبدالقادر. الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م). د.ط، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد: ٢٠٠٥م، ص ص ٤٧-٥١.

(٢) شلبي، أحمد. الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها. ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٨٤م، ص٢٩.

(٣) معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أظهر إسلامه في فتح مكة، شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين، وشارك في فتح الشام زمن الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تولى معاوية ولاية الأردن سنة ٢١هـ/٦٤١م زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ثم جمع له الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولاية الشام كلها، وبعد مقتل الخليفة عثمان نشب خلاف بين معاوية والخليفة علي بن أبي طالب - إلى أن اغتيل الخليفة علي على يد ابن ملجم، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية سنة ٤١هـ/٦٦١م.انظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منبج (ت ٢٣٠هـ/٨٨٤م).كتاب الطبقات الكبرى. تحقيق: علي محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة:٢٠٠١م، ص ص١٥-٢٧.

(٤) معركة صفين: صفين موضع على شاطئ الفرات، حدثت فيه معركة صفين بين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، وانتهت المعركة بالتحكيم. انظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م). معجم البلدان. ج٣، د.ط، دار صادر، بيروت:١٩٧٧م، ص٤١٤؛ إبراهيم، محمد أبو الفضل وآخرون. أيام العرب في الإسلام. د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص ص ٣٥٩-٣٨٧.

(٥) التحكيم: كان من نتائج معركة صفين اتفاق الفريقين المختصمان وهما جيش الشام وجيش الكوفة على تولية حاكم يحكم بينهما، حيث اجتمع الحكمان في دومة الجندل، وكان عمرو بن العاص المفاوض من قبل جيش معاوية بن أبي سفيان (جيش الشام) وأبو موسى الأشعري المفاوض من قبل جيش علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فكُتبت صحيفة التحكيم، وتوقف القتال وعاد علي (رضي الله عنه) إلى الكوفة، وعاد معاوية إلى الشام. انظر: الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ ٩٢٢م). تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، د.ط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ت، ص٨٦٥ ؛ الدوري، قحطان. عقد التحكيم في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.ط١، دار الفرقان، الأردن:٢٠٠٢م، ص٢١.

الذي حدث بين أهل الشام وأهل الكوفة، وما نتج عنه من انشقاق جماعة الخوارج ومحاربتهم للخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وتراخي أهل البصرة عن تأييده، أضف إلى ذلك تمرد بعض الولايات في بلاد فارس[1]، وامتناعها عن دفع الخراج[2].

اتفق الطرفان –علي ومعاوية- على عقد هدنة بينهما سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، على أن يكون العراق تحت حكم الخليفة علي، وبلاد الشام تحت حكم معاوية، ولا يتدخل أحدهما في شؤون الآخر، ولا غارة ولا غزو بينهما[3]، كل ذلك جاء في صالح معاوية الذي أعلن نفسه خليفة للمسلمين، وأخذ البيعة من أهل الشام، حيث تمكن من اعتلاء كرسي الخلافة مخالفا مبدأ الشورى الذي قامت عليه الخلافة الراشدة، فقرر الخليفة علي محاربة معاوية ولكن اغتياله على يد ابن ملجم[4] حال دون ذلك.

لا ريب أن تولي معاوية بن أبي سفيان أمر بلاد الشام منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) والذي استمر حكمه فيها نحو عشرين سنة كان ركيزة كبيرة مكنته من الوصول إلى الخلافة، خاصة بعد أن تنازل الحسن بن علي عن هذا المنصب بعدما رأى ضعف أنصاره[5]، وعدم إمكانية الوثوق بهم، ونجح معاوية في الوصول إلى الحكم سنة ٤١هـ/٦٦١م، واتخذ من دمشق عاصمة للخلافة، واستحدث نظم سياسية جديدة، فأبتدع نظام توريث الخلافة إذ عهد بالخلافة من بعده لابنه يزيد[6] تحت شعار درء الفِتْنْة، بينما كان يطمح أن تظل السيادة للبيت الأموي.

لقد كان نظام التوريث الذي استنه معاوية بن أبي سفيان مخالفا لما كان من أمر الشورى في عهد الخلفاء الراشدين، ولكن معاوية وهو واحدا من دهاة العرب اتّبع سياسة داخلية توحي بالذكاء والفطنة، فقد عمد إلى احتواء من بقي من الصحابة والتابعين بحسن المعاملة والإحسان لهم، خاصة بني هاشم الذين كانوا يرون أن هناك من هو أحق بالخلافة منه، ونجح في أن يجعل

---

(١) فارس: ولاية واسعة يحدها من الشرق كرمان ومن الغرب خوزستان واصبهان، ومن الشمال خراسان ومن الجنوب بحر فارس. انظر: الإصطخري، إبراهيم بن محمد(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م). المسالك والممالك. د.ط، دار صادر، بيروت:٢٠٠٤م، ص٩٦.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص٨٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٩٣.

(٤) ابن ملجم: هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، عرف بقاتل علي، شهد فتح مصر، كان ممن قرأ القرآن والفقه، وكان من شيعة علي (رضي الله عنه) بالكوفة، وشهد معه صفين. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م). سير أعلام النبلاء. ترتيب: حسان عبد المنان، ج١، د.ط، بيت الأفكار الدولية، بيروت:٢٠٠٤م، ص٤٣٩.

(٥) طهبوب، صلاح. موسوعة التاريخ الإسلامي : العصر الأموي. د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان: ٢٠٠٤م، ص٦-٧.

(٦) يزيد بن معاوية: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، أختلف في سنة ولادته بين سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين للهجرة، بويع له بالخلافة في حياة والده معاوية، وكان يزيد أول من غزا مدينة قسطنطينية سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ثم أصبح خليفة سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وظل على خلافته حتى توفي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م. انظر: ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م). البداية والنهاية. ج٢، د.ط، بيت الأفكار الدولية، بيروت:٢٠٠٤م، ص ص١٢٩٢-١٢٩٧.

العديد من خصومه أصدقاءا له، ولم يثر أحد ضد معاوية إلا ما حدث من أمر حجر بن عدي[١] أحد كبار الشيعة في الكوفة، فقد انتقد سياسة زياد بن أبي سفيان[٢] والي الكوفة وعمل على التشهير به، وقد انتهت معارضة حجر بقتله[٣]، ولكن معاوية ندم على قتل صاحب رسول الله حجر بن عدي ندما كبيرا، وظل يذكر ذلك طوال حياته، ويروي ابن كثير أن معاوية قال ثلاثا عند موته: **"إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل"**[٤].

لقد كان معاوية حريصا على إبقاء الخلافة في البيت الأموي، ولم تشغله الفتوحات الإسلامية عن توريث الخلافة إلى ابنه يزيد، وحاول أن يمهد الطريق لابنه، فحرص على تعليمه مكارم الأخلاق، وفن التعامل مع الناس، حتى يوثق الصلات بينه وبينهم، كما عهد معاوية ليزيد بعض الأعمال الكبيرة حتى يهيئه لمنصب الخلافة، ويرفع من منزلته، فأسند إليه قيادة الجيش الذي توجه لغزو القسطنطينية سنة ٤٩ هـ/٦٦٩م، وكان معاوية يؤمّر يزيد على الحج[٥].

على الرغم من ثبوت شخصية معاوية الداهية الذي تمكن من الوصول إلى منصب الخلافة وتغيير مبدأ الشورى، وتحقيق الانتصارات على أعداء الإسلام والمسلمين من البيزنطيين إلا أن البعض يحيل مسألة توريث الخلافة إلى مشورة المغيرة بن شعبة[٦]، الذي زين فكرة وراثة الخلافة إلى معاوية وابنه يزيد، إذ جاء قوله لمعاوية: **"يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء، والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له. فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس، وخلفا منك، ولا تسفك دماء، ولا تكون فتنة. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك"**[٧].

---

(١) حجر بن عدي: هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية، يقال له حجر الخير، من أشراف الكوفة، شهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وقتل بعذراء من قرى دمشق. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص٣٣٧-٣٤٠؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١٦.

(٢) زياد بن أبي سفيان: يكنى أبا المغيرة، عرف بزياد بن أبيه، أمه سميه بنت أبي بكرة، استعمله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على فارس، كان يضرب به المثل في حسن السياسة، وجُمعت له ولاية البصرة والكوفة سنة ٥٠هـ/٦٧٠م زمن معاوية بن أبي سفيان، وبقي على ولايتهما حتى توفي سنة ٥٣هـ/٦٧٢م. انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). المعارف. تحقيق: ثروت عكاشه، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٣٤٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول معارضة حجر بن عدي انظر الفصل الأول.

(٤) ابن كثير، المصدر السابق، ج١، ص١٢١٧.

(٥) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). الكامل في التاريخ. تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، ج٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م، ص٢٣٩.

(٦) المغيرة بن شعبة: هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، أسلم عام الخندق، شهد اليمامة واليرموك زمن الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وولاه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) البصرة، وهو أول من وضع ديوان البصرة، ثم ولاه معاوية بن أبي سفيان الكوفة وتوفي وهو أميرها سنة ٥٠هـ/٦٧٠م. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٢٩٥؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص ص١٢١٤-١٢١٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٤٩.

ونرى أنه لا يمكن تحميل المغيرة مسؤولية وراثة الخلافة التي ابتدعها معاوية كما يقول السيوطي: **"لولا مشورة المغيرة بن شعبة لكانت الخلافة شورى إلى يوم القيامة"**[١]، ونستبعد أن تكون مسألة وراثة الخلافة قد غابت عن بال معاوية بن أبي سفيان، الذي عمل المستحيل لأجل الوصول إليها، ولكن ربما يكون المغيرة بن شعبة قد ساعد على إبراز هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ، و أثار الحماس في معاوية حتى يخطو لأجل تحقيق ذلك، خاصة أن معاوية طلب من المغيرة بن شعبة أن يحبب أمر البيعة للناس في الكوفة، فبايع أنصار الأمويين يزيدًا.

حاول معاوية بن أبي سفيان أن يصبغ أمر وراثة الخلافة بالشورى[٢]، فأرسل إلى زياد بن أبيه عامله على البصرة يستشيره في أمر البيعة ليزيد، ولكن زياد طلب من معاوية أن يتريث في الأمر لعدم توافر شروط الخلافة في ابنه[٣]، فأخذ معاوية بمشورته، وبعد أن توفي زياد أرسل معاوية إلى مروان بن الحكم[٤] عامله على المدينة المنورة يطلب مشورته أيضا، فكان جواب مروان أن أبلغ معاوية بموافقة الناس على البيعة[٥]، ويبدو أن الناس قد وافقوا على اختيار خليفة للمسلمين دون أن يدركوا أن معاوية أراد البيعة لابنه يزيد، فبعد أن أرسل معاوية إلى مروان كتابا ليقرأه على الناس في المسجد وعلموا أن البيعة ليزيد بن معاوية، رد عبدالرحمن بن أبي بكر[٦]: **"ما الخيار أردتم لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل"**[٧]، وأنكر الحسين بن علي[٨] ذلك وفعل مثله عبدالله بن الزبير[٩].

إذا كان معاوية لم يأبه لرأي المسلمين عندما نصب نفسه خليفة، فإنه لم يأبه أيضا بالمعارضة التي واجهها على أمر البيعة لابنه، وعمل على أخذ البيعة ليزيد، فبايعه أهل الشام

---

(١) السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء.تحقيق: حمدي الدمرداش، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض: ٢٠٠٤م، ص١٥٦.

(٢) بحشوان، خلود. نظام ولاية العهد في الدولة الأموية.ط١، دار مجدلاوي، الأردن:٢٠١٣م، ص٤١.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ص٩٥٥.

(٤) مروان بن الحكم: هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف، كان كاتبا لابن عمه الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وتوجه إلى المدينة في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وظل فيها حتى تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، وولى مروان بن الحكم على المدينة سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م ثم عزله ، وبعدما تولى يزيد بن معاوية الخلافة وحدث من أمر الحرة أخرج مروان من المدينة مع من أخرج من بني أمية، وتوجه إلى الشام لتتم مبايعته بعد ذلك بالخلافة. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص ص ٣٩-٤٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٥١.

(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر: هو ابن أبي بكر الصديق وأكبر أولاده، قاتل ضد المسلمين في غزوتي بدر وأحد، ثم أسلم بعد ذلك في الهدنة، وكان سيدا من سادات المسلمين، شهد فتح اليمامة وفتح الشام، رفض مبايعة يزيد بن معاوية فبعث له معاوية بمائة ألف درهم ، فردها ورفض أن يأخذها وخرج إلى مكة ومات فيها. انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٥٦.

(٨) الحسين بن علي: هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أمه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلقب بسيد شباب أهل الجنة، قاتل مع أبيه في موقعة الجمل، ولم يعترض على تنازل أخيه الحسن بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وظل مع معاوية ولم يخرج إلا بعد استلام يزيد بن معاوية الحكم، توفي مقتولا يوم كربلاء سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق،ج٦، ص ص٣٩٩- ٤٤١.

(٩) عبدالله بن الزبير : هو عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي، كان أول مولود في المدينة بعد الهجرة، بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بعد موت يزيد بن معاوية، ونشبت بينه وبين بني أمية حروب عدة إلى أن توفي مقتولا زمن الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ/٦٩٢م . انظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/١١٧٥م). تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ج٢٨، ط١، دار الفكر، بيروت:١٩٩٧م، ص ص ١٤٠-٢٣٤.

والعراق، ثم توجه معاوية إلى المدينة لأخذ البيعة لابنه، فعارضه الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر[1]، وعبدالله بن عباس[2]، وعبدالرحمن بن أبي بكر، فاستخدم معاوية أسلوب الترغيب معهم ولم يجدِ نفعا، ثم استخدم أسلوب الترهيب حيث أجبرهم على إظهار الرضى بالبيعة ليزيد أمام الناس وإلا قتلهم[3]، وبذلك تمكن معاوية بن أبي سفيان من أخذ البيعة لابنه يزيد سنة ٥٦هـ/٦٧٦م[4].

لا شك أن معاوية بن أبي سفيان قد نجح في تحويل فكرة وراثة الخلافة إلى واقع جعلته يعد **"أول الملوك"**[5]، فبعد وفاته آلت الخلافة إلى ابنه يزيد وذلك سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وأقبلت الوفود لتعزيه في والده وتهنئه على منصب الخلافة، وأجمع الناس على بيعة يزيد غير خمسة أشخاص هم الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وعبدالرحمن بن أبي بكر، فكتب يزيد إلى عامله على المدينة المنورة الوليد بن عتبة[6] طالبا منه أن يشدد على الحسين وابن عمر وابن الزبير قائلا له: **"خذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا"**[7] فبايع ابن أبي بكر وابن عباس وابن عمر، حيث عدلوا عن أمرهم خوفا على الأمة من الفتن، ولم يكتفِ عبدالله بن عمر بذلك، بل حذر الناس من الخروج على يزيد، وسعى إلى إخماد ثورة أهل المدينة، فقد روى مسلم في صحيحه قال: **"جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة. فقال: إني لم آتك لأجلس. أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"**[8].

---

(١) عبدالله بن عمر : هو عبدالله بن عمر بن الخطاب، أسلم مع والده، وهاجر معه إلى المدينة وشهد فتح مكة، وبعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عرض عليه البعض أن يبايعوه بالخلافة فرفض، توفي سنة ٧٣هـ/٦٩٢م زمن الخليفة عبد الملك بن مروان. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٣١، ص ص ٧٩-٨٣.

(٢) عبدالله بن عباس : هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، عرف بحبر الأمة، لازم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وروى عنه الأحاديث، وشهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الجمل وصفين، كف بصره في آخر عمره، وتوفي سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٦، ص ص ٣٢٠-٣٤٥.

(٣) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). الإمامة والسياسة. تحقيق: علي شيري،ج١، ط١، دار الأضواء، بيروت: ١٩٩٠م، ص ص ٢١٢-٢١٣ ؛ ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م). كتاب الفتوح. تحقيق: علي شيري، ج٣، ط١، دار الأضواء، بيروت، د.ت، ص ص٣٣٦-٣٣٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٥٤.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص٩٥٥.

(٥) ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٩، ص١٧٧.

(٦) الوليد بن عتبة: هو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولاه معاوية بن أبي سفيان المدينة سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م، وكان من الولاة الأكفاء، وقد رشح للخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد ولكنه رفض، وقد عزله معاوية في أواخر عهده وولى عمرو بن سعيد الأشدق. انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). جمل من أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار وآخرون، ج٥، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٦٥.

(٧) الطبري، المصدر السابق، ص٩٧٠.

(٨) النووي، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م). صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، ط٢، مؤسسة قرطبة، الرياض: ١٩٩٤م، ص ص٣٣٣-٣٣٤.

بقي على يزيد بن معاوية أن يواجه معارضة عبدالله بن الزبير والحسين بن علي اللذين توجها إلى مكة، حيث أخذ ابن الزبير يدعو إلى نفسه، ورفض الحسين بن علي أن يبايع يزيداً بالخلافة، وقال لعامل المدينة عندما طلب منه البيعة: **"أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سرا، ولا أراك تجتزئ بها مني سرا دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرا واحدا"**[1].

توجه الحسين إلى مكة، وما كان من أهل الكوفة الذين سمعوا بوفاة معاوية بن أبي سفيان إلا أن طلبوا من الحسين مبايعته بالخلافة، وقد كثرت مراسلاتهم له[2]، فكاتبهم الحسين وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل[3] إلى الكوفة حتى يتحقق من صدق مشاعرهم، فإذا رأى تأييدهم له أرسل إليه حتى يقدم إليهم فيبايعوه، ويقوي عضده بهم، خاصة أن الحسين بن علي قد أبدى رفضه لتنازل أخيه الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان قائلا لهم: **" ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته، ما دام معاوية حيا، فإنها بيعة كنت والله كارها لها، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم"**[4] فأرسل مسلم إلى الحسين بن علي أن الكوفيين قد بايعوه، فتوجه الحسين إلى الكوفة رغم التحذير الذي جاءه من أبناء الصحابة كابن عباس، وابن عمر[5]، وتوجه الحسين إلى الكوفة في الوقت الذي كان فيه عبيدالله بن زياد[6] قد قتل مسلم بن عقيل، ولما وصل خبر مقتله إلى الحسين وتخاذل الناس عنه أخبر من معه بذلك وقال لهم: من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه، ولم يبق معه إلا أصحابه وأهل بيته[7]، وأرسل ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص[8] لقتال الحسين، وبعد مراسلات بين عمر بن سعد والحسين بن علي من جهة، وبين عمر بن سعد وعبيدالله بن زياد من جهة أخرى، عرض الحسين العودة من حيث أتى، أو يذهب للجهاد في سبيل الله، أو يتوجه لمقابلة يزيد بن معاوية، ولكن ابن زياد رفض ذلك، وأمر قادته

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٩٧١.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٢، ص٧٩.

(٣) مسلم بن عقيل: هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب، أرسله الحسين بن علي إلى أهل الكوفة ليبايع له الناس، فقتله عبيدالله بن زياد. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٤، ص٣٩.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨٧.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٩.

(٦) عبيدالله بن زياد : هو عبيدالله بن زياد بن عبيد، ولي العراق في زمن الخليفة يزيد بن معاوية، وبعد وفاة يزيد بايع أهل العراق عبيدالله بن زياد ثم فسخوا بيعته وطردوه، فسار إلى الشام واجتمع بمروان بن الحكم وشجعه على تولي أمر الخلافة، ثم أرسله مروان في جيش إلى العراق، ولكنه قتل على يد ابن الأشتر. انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣١٩.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٣، ص٣٨٠.

(٨) عمر بن سعد: هو عمر بن سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب ابن عبد مناف القرشي الزهري، استعمله عبيدالله بن زياد على الري وهمذان، ولما قدم الحسين بن علي متجها من مكة إلى الكوفة أمر عبيدالله بن زياد عمر بن سعد قتال الحسين، فرفض عمر في بادئ الامر، ثم هدده عبيدالله فوافق وقاتل الحسين بن علي حتى قتل، وعاش عمر إلى أن خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي يتتبع قتلة الحسين بن علي فقتل عمر بن سعد وابنه حفصا. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص ص ١٦٦-١٦٧.

أن يأخذوا البيعة من الحسين ليزيد بن معاوية، فإذا رفض يُقبض عليه أو يُقتل، لينتهي الأمر بحدوث معركة كربلاء[1] التي قتل فيها الحسين بن علي ومن معه من أهله سنة٦٠هـ/٦٧٩م[2].

لقد أوجد مقتل الحسين بن علي مشكلة كبيرة بين المسلمين، ونقطة تحول في تاريخهم، حيث أوجدت هذه الحادثة من الانقسامات بين المسلمين الشيء الكثير، وسواء أكان يزيد بن معاوية قد أمر بقتل الحسين بن علي أم لم يأمر فقد كانت النتيجة واحدة، وهذا ما سيجعل الدولة الأموية تكون مجبورة على دفع الثمن لمقتل الحسين بن علي، حيث سيؤيد الناس ابن الزبير في خروجه على يزيد- كما سيتضح لاحقا- وتكثر الثورات وحركات المعارضة ضد الدولة.

لم تنتهِ أحداث المعارضة ضد بيعة يزيد عند موقعة كربلاء، فقد تأزمت الأوضاع في الحجاز، وانتهز عبدالله بن الزبير الفرصة وأخذ يدعو لنفسه في مكة، كما ثار أهل الحجاز ضد يزيد بن معاوية، وطردوا عمرو بن سعيد بن العاص[3]عامله عليها[4]، ووثبوا على من بالمدينة من بني أمية ومواليهم، وحاصروهم في دار مروان بن الحكم[5]، فكتب مروان إلى الخليفة يزيد طالبا الغوث والمساعدة[6].

بعث يزيد القائد مسلم بن عقبة المري[7] موصيا إياه أن يدعوهم ثلاثة أيام للبيعة، فإن لم يستجيبوا فليقاتلهم[8]، فكان هذا إجراء يزيد بن معاوية بعدما علم أن أهل المدينة قد خلعوه، وبناء على طلب يزيد توجه مسلم بن عقبة بجيشه إلى المدينة، و استمر أهلها على موقفهم من يزيد بن معاوية، فهاجمهم مسلم من جهة الحرة، وحاصر المدينة واستولى عليها، فكانت وقعة الحرة التي

---

(١) انظر أحداث المعركة كاملة: البلاذري، المصدر السابق، ج٣، ص ص ٣٩٥- ٤٢٦؛ الطبري، المصدر السابق، ص ص ٩٩٤- ١٠١٩؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٧٦م). مقاتل الطالبين. تحقيق: السيد أحمد صقر. ط٢، منشورات الشريف الرضي، طهران: ١٩٩٦م، ص ص٩٨-١٢٥.

(٢) علي، أحمد إسماعيل. تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي. ط٣، دار دمشق، دمشق: ١٩٩٤م، ص١٧٩.

(٣) عمرو بن سعيد: هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، المعروف بالأشدق، كان يبعث البعوث لقتال عبدالله بن الزبير في زمن يزيد بن معاوية، وبعد أن تولى مروان بن الحكم الخلافة صاحَب عمرو مروان في فتح مصر، وقد وعد مروان عمرو أن يكون ولياً للعهد بعد عبد الملك بن مروان ولكن مروان رجع عن ذلك وجعل الأمر من بعد عبد الملك لولده عبد العزيز وخلع عمرو بن سعيد، فبقي ذلك في نفسه حتى كانت خلافة عبد الملك بن مروان الذي توجه للعراق لقتال مصعب بن الزبير فتوجه عمرو إلى دمشق وتحصن بها فتبعه عبد الملك وأعطاه الأمان ثم قتله بعد ذلك. انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٣٠.

(٤) ابن أعثم، المصدر السابق، ص ص ٢٩١-٢٩٢.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٢٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٢٤.

(٧) مسلم بن عقبة: هو مسلم بن عقبة بن رباح المري، شهد صفين مع معاوية، كان قائد الجيش في موقعة الحرة زمن يزيد بن معاوية، وتوفي بعد ثلاثة أيام من غزوه للمدينة، وكان في طريقه إلى مكة لمواجهة ابن الزبير. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥١؛ العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م). الإصابة في تميز الصحابة. تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن، ج١٠، ط١، د.ن، القاهرة: ٢٠٠٨م، ص٤٤٤.

(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٢٤.

قتل فيها ثمانون صحابيا[١]، وذلك سنة ٦٣هـ/٦٨٢م، وتذكر المصادر أن مسلم قد أسرف هو وجنده في القتل والنهب لذلك لقبوه مسرفا[٢].

من الطبيعي أن تتجه أنظار يزيد بن معاوية إلى الحجاز، حيث معارضه الوحيد ابن الزبير، لذلك أمر يزيد مسلم بن عقبة أن يتوجه إلى مكة حيث عبدالله بن الزبير الذي دعا إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز، ولكن مسلم توفي في الطريق، فتولى قيادة الجيش الحصين بن نمير[٣]، وسار بالجيش إلى مكة، وقد انضم إلى ابن الزبير من بقي من أهل المدينة بعد وقعة الحرة، كذلك انضم إليه نجدة بن عامر الحنفي[٤] ومن معه من الخوارج، وبذلك كثر أتباع ابن الزبير[٥].

وصل جيش الحصين وحاصر مكة أربعين يوماً، ورمى الكعبة بالمنجنيق[٦]، وبينما القتال بين الفريقين جاء خبر وفاة يزيد، فاضطرب وضع جيش الشام، وأراد الحصين إخماد الفتنة، ففاوض ابن الزبير على أن تحقن الدماء، وألا يطالب ابن الزبير بأي ثأر لأهل المدينة أو مكة، وعلى أن يأخذ البيعة لعبدالله بن الزبير شرط أن ينتقل إلى بلاد الشام، لكن ابن الزبير رفض عرض الحصين بن نمير، وضيَّع على نفسه فرصة لن تتكرر، ورفع الحصين الحصار عن مكة بعد أن أصابها الدمار، وعاد إلى بلاد الشام[٧].

يرى الناطور أن سبب رفض ابن الزبير لعرض الحصين يعود إلى عدم وجود أنصار له في بلاد الشام، وأنه لا يملك جندا يستطيع بهم مواجهة جند الشام، بالإضافة إلى مبايعة الحصين له لا تمثل الأمويين وأتباعهم، ولا ننسى حرصه على مشاعر أهل الحجاز الذين ساندوه[٨]، ولعل السبب الحقيقي وراء رفض عبدالله بن الزبير لعرض الحصين بن نمير يعود لطبيعته

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٣٩.

(٢) المسعودي. علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).مروج الذهب ومعادن الجوهر. راجعه: كمال حسن، ج٣، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص٦٣.

(٣) الحصين بن نمير: هو الحصين بن نمير بن نائل، أحد قادة بني أمية، ويعود نسبه إلى قبيلة كنده، شارك في الجيش الذي أرسله الخليفة يزيد بن معاوية للمدينة المنورة، ثم تسلم قيادة الجيش بعد وفاة مسلم بن عقبة، وحاصر عبدالله بن الزبير بمكة، ورمى الكعبة بالمنجنيق، وكان على ميمنة عبيدالله ابن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، فقتل مع ابن زياد سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). مختصر تاريخ دمشق. تحقيق: أحمد راتب وآخرون، ج٧، ط١، دار الفكر، دمشق: ١٩٨٩م،ص ص ١٩٠-١٩٢.

(٤) نجدة بن عامر: هو نجدة بن عامر بن عبدالله بن ساد بن المفرج الحنفي الحروري، رأس الفرقة النجدية من الخوارج، كان من كبار أصحاب الثورات في صدر الإسلام، قتله أصحابه بعد أن اختلفوا عليه سنة ٧٢هـ/٦٩١م . انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: بشار عواد، ج٢، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت:٢٠٠٣م، ص٧٢٧.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٢٩.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٢٩.

(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٣١.

(٨) الناطور، شحادة علي." جند الأردن ودور القبائل اليمنية في استرداد سلطة بني أمية". مجلة المؤرخ العربي، العدد٣٠، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد: ١٩٨٦م، ص١٦٢.

المترددة غير المغامرة، و إلى عدم ثقته بالأمويين وأنصارهم من القبائل اليمنية، وخوفه من أن يحدث له ما حدث للحسين بن علي.

توفي يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بعد حكم دام ثلاث سنوات، وقد عهد بالخلافة إلى ابنه معاوية الثاني الذي بويع في نفس السنة، في الوقت الذي كان فيه عبدالله بن الزبير قد نجح في أخذ البيعة لنفسه في كل من الحجاز ومصر والعراق واليمن وبلاد الشام عدا الأردن[١]، وقد ساعد ابن الزبير أن معظم الأقاليم العربية قد ثارت على الأمويين بعد موت يزيد بن معاوية، وطردت العمال الأمويين، ولقب ابن الزبير نفسه بلقب خليفة بدلا من أمير المؤمنين[٢]، فأصبح هناك خليفتين معاوية الثاني في بلاد الشام، وابن الزبير في الحجاز.

واجهت بداية خلافة معاوية الثاني مشكلة الخلاف بين القيسية واليمنية في بلاد الشام، فقد زاد هذا الخلاف بقدوم الأمويين ونقلهم الخلافة إلى بلاد الشام، ومحاباتهم إحدى القبيلتين على الأخرى[٣]، وكانت أسباب هذه المحاباة تعود لعوامل عديدة منها: اجتماعية كالمصاهرة، فكان الخليفة يقف إلى جانب القبيلة التي يربطه بها رابط المصاهرة، ويقف في صفها إذا ما حدث عداوة بينها وبين القبائل الأخرى[٤]، كما كان للأسباب السياسية أيضا دور في الخلاف بين القبيلتين، ويذكر ولهاوزن Wellhausen أن الولاة كانوا يؤججون نار الخصومة بين القبائل، بهدف تثبيت نفوذهم، وتحقيق مصالحهم السياسية[٥]، وأن بعض الخلفاء كان يؤثر القبيلة ذات العدد والقوة، حتى يضمن وقوفها إلى جانبه وقت الحروب والأزمات، ولا يتحرج البعض الآخر من الخلفاء بإيقاع العداوة والفتنة بين القبائل في بعض الأحيان؛ وذلك اتقاء لشر هذه القبائل، وشغلها عن إحداث مشاكل للدولة[٦]، ولكن في بداية الخلافة الأموية تمكن معاوية بن أبي سفيان بسياسته الحكيمة أن يحقق التوازن، ويمنع الصدام بين القبيلتين، وحارب بالقبيلتين أهل العراق، وفي عهد يزيد بن معاوية لم تتسبب القيسية بأي مشاكل مع اليمنية، وربما يعود ذلك إلى وجود

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٧٤؛ التميمي، محمد بن أحمد بن تميم (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م). كتاب المحن. تحقيق: يحيى الجبوري، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت:٢٠٠٦م، ص١٦٤.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٢٥؛ ابن العبري، غريغوريوس الملطي. تاريخ مختصر الدول، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة:٢٠٠١م، ص١١١.

(٣) السيد، عبد اللطيف عبد الهادي. موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر الأموي. د.ط، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة: ٢٠٠٨م، ص١٤١.

(٤) النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي. ط٢، دار الفكر، بيروت: ١٩٧٣م، ص٢٥٥.

(5) Wellhausen, Julius.The Arab kingdom and it's fall. Translate by: Margaret Graham. university of Calcutta, 1929. P.69.

(٦) النص، المرجع السابق، ص٢٥٧.

الضحاك بن قيس الفهري[1] عامل يزيد على دمشق، والذي عُرف بولائه لمعاوية ومن خلفه، وكان له دور في الاحتفاظ بولاء القيسية ليزيد بن معاوية[2].

بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية أعلن القيسيون غضبهم على الأمويين بسبب ما حدث في سنوات خلافة يزيد بن معاوية من قتل الحسين بن علي، وحصار المدينة، وسفك دماء أهلها، وحصار الكعبة، أضف إلى ذلك أن القبائل القيسية لم تكن راضية عن حكم يزيد بن معاوية الذي قرَّب إليه القبائل اليمانية، واعتمد عليها بحكم القرابة التي تربطه بهم، فانضم القيسيون إلى صف عبدالله بن الزبير ضد معاوية الثاني، ولا يوجد موقف محدد لمعاوية الثاني ضد القيسية، وربما يعود ذلك إلى أن معاوية الثاني لم يبقَ في الخلافة غير فترة قصيرة، إذ لم يلبث فيها غير ثلاثة أشهر، وقيل أربعين يوما[3]، فضّل فيها العزلة عن الناس، وكان يرى أن لا أحد من أسرته يستحق الخلافة، وأن جده معاوية قد نازع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في أمر الخلافة وهو أحق بها، وفضّل أن يعتزل الخلافة وأن يجعل الأمر شورى بين الناس، حيث خطب في الناس بعد توليه الخلافة قائلا: **"والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلد وزرها وتتعجلون أنتم حلاوتها فأتعجل مرارتها، اللهم إني بريء منها متخل عنها اللهم إني لا أجد نفرا كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها ما يرونه أهلا لها"**[4].

بكل تأكيد لم يدر في ذهن معاوية بنْ أبي سفيانْ ولَوْ للحظة بسيطة أن منصب الخلافة الذي اقتنصه من بني هاشم، وبذل ما في وسعه للمحافظة عليه وإبقاءه بيد بني أمية، سيتخلى عنه حفيده بكل بساطة وبدون حرب، بل بتنازل يعلنه معاوية الثاني بعد أن صرَّح علانية أن الخلافة لم تكن في يوم من الأيام حقا من حقوق معاوية بن أبي سفيان.

مما لا شك فيه أن تولي معاوية الثاني للخلافة وسط أجواء معقدة ملؤها الانقسام والتفرقة لأسباب حدثت زمن والده يزيد بن معاوية ابتداء من قتل الحسين بن علي، وانتهاء بوقعة الحرة وما سبق ذلك من وصول والده يزيد إلى الخلافة كولي للعهد (بالوراثة) كلها عوامل اجتمعت في ذهن معاوية الثاني، وجعلته يتنازل عن هذا المنصب، كما لا نستبعد أيضا أن تكون شخصية معاوية الثاني لها دور كبير في التأثير على قراره السياسي هذا، فتصف لنا المصادر معاوية

---

(١) الضحاك بن قيس : هو الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة، اعتبره ابن كثير واحدا من الصحابة، شهد فتح دمشق وسكن بها، جعله معاوية بن أبي سفيان نائبا له في الكوفة سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م، ثم نائبا على دمشق، وظل عليها حتى زمن معاوية بن يزيد. انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٠٠.
(٢) السيد، المرجع السابق، ص١٤٣.
(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٣؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٧٩؛ السيوطي، المصدر السابق، ص١٦٠.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٦.

الثاني على أنه كان "رجلا صالحا"[١] ووصفه القلقشندي بأنه "كان شابا ديِّنا"[٢] لذلك لا نستغرب سرعة انسحابه من الوسط السياسي؛ لأنه تولى الأمر وهو كارها له[٣].

لقد كان تنازل معاوية الثاني عن الخلافة ووفاته بعد مدة قصيرة دون أن يستخلف أحدا من بعده بمثابة ضربة قاصمة وجهت لبني أمية، بعد أن أطمأنوا قليلا لوجودهم في دائرة السلطة، وما زادهم ارتباكا اضطراب الأوضاع في بلاد الشام وانقسامها، فريق يرى ضرورة بقاء الخلافة في بني أمية وخاصة قبيلة كلب اليمانية أخوال يزيد، وفريق ثاني يضم الزعامات السياسية كان يرى أن عبدالله بن الزبير هو الأصلح باعتباره أحد أبناء الصحابة، ولشهرته بالعلم والصلاح[٤]، وكما سبق الحديث فإن عبدالله بن الزبير قد انتهز فرصة وفاة معاوية بن يزيد، وخلو منصب الخلافة في بلاد الشام فدعا إلى نفسه في مكة، وبايعه أهل الشام ومصر والعراق، ففي دمشق وقف الضحاك بن قيس في صف ابن الزبير وبايع له سرا، وفي حمص بايع النعمان بن بشير الأنصاري[٥] لعبدالله بن الزبير، كما ثار زفر بن الحارث الكلابي[٦] في قنسرين وبايع لابن الزبير، ووقف ناتل بن قيس الجذامي[٧] في صف ابن الزبير ودعا له في فلسطين[٨]، وبذلك تكون كل أجناد بلاد الشام قد بايعت لابن الزبير ولم يبقَ سوى جند الأردن[٩].

في تلك الأثناء كان مروان بن الحكم وأهله في المدينة المنورة، فأخرجهم منها عبدالله بن الزبير، وتوجه إلى بلاد الشام ليجد أن الأمور قد ساءت، والانقسامات بين الناس وصلت حدها، مما جعل مروان يفكر بالعودة إلى الحجاز، ومبايعة عبدالله بن الزبير على أن يأخذ منه أمانا لبني أمية، ولكن وصول الحصين بن نمير السكوني وعبيدالله بن زياد إلى الشام أوجد نقطة تحول كبيرة في الموقف؛ فكان وصولهما في الوقت المناسب غيَّر من خطة مروان في مبايعة

---

(١) ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٩، ص٢٩٦.
(٢) القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م). مآثر الأناقة في معالم الخلافة. ج١، ط٢، مطبعة جكومة الكويت، الكويت: ١٩٨٥م، ص١٢٢.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٨١.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣؛ العزام، صبحي محمد. خلافة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن: ٢٠٠٦م، ص١٧٢.
(٥) النعمان بن بشير: يكنى أبا عبدالله، وهو أول مولود من الأنصار ولد في المدينة، ولاه معاوية بن أبي سفيان الكوفة ثم عزله، فسار النعمان إلى الشام، ولما توفي يزيد بن معاوية دعا النعمان إلى ابن الزبير وكان عامله على حمص، ولما قتل الضحاك بن قيس في مرج راهط هرب النعمان من حمص ولكن أهل حمص تمكنوا من اللحاق به وقتلوه. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص١٧٦.
(٦) زفر بن الحارث : هو زفر بن الحارث بن عمرو بن معاذ الكلابي، أبو الهذيل، من التابعين من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه، شهد صفين مع معاوية أميراً على أهل قنسرين، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، ولما قتل الضحاك هرب زفر إلى قرقيسيا ولم يزل متحصناً بها حتى مات، وكانت وفاته في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج٩، ص ص ٤٢-٤٤.
(٧) ناتل بن قيس: هو ناتل بن قيس بن ثعلبة بن زيد بن حباء بن امرئ القيس، من أهل فلسطين، كان سيد جذام في فلسطين، شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، وبايع لابن الزبير بعد وفاة معاوية الثاني، فأقره ابن الزبير على فلسطين وظل على ولايتها حتى تولى عبد الملك بن مروان الخلافة فأرسل له عمرو بن سعيد الأشدق وقتله سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م. انظر: المصدر نفسه، ص ص٩٦-٩٨.
(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣.
(٩) المصدر نفسه، ص١٠٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٧٧.

ابن الزبير، واستحثوا همم الأمويين خاصة مروان بن الحكم، فقد أخبر الحصين بن نمير مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير، واستحثه على توحيد الكلمة، واختيار أمير قبل أن يغلب عليهم ابن الزبير[١]، أما عبيدالله بن زياد فقد قال لمروان بعدما علم بعزمه على مبايعة ابن الزبير: **"استحييت لك مما تريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنعه! فقال له مروان: ما فات شيء بعد"**[٢].

لقد لامس ما طرح على مروان بن الحكم من الحصين السكوني وعبيدالله بن زياد هوى في نفسه، ولكن كان عليه أن يواجه مشكلة مبايعة القيسية في بلاد الشام لعبدالله بن الزبير، ومشكلة انقسام اليمنية أنصار الأمويين إلى فريقين: فريق أراد مبايعة خالد بن يزيد بن معاوية[٣]، ويمثل هذا الفريق الكلبيون وعلى رأسهم مالك بن هبيرة السكوني[٤]، وحسان بن مالك بن بحدل[٥] وهم أخوال خالد، والفريق الآخر يميل إلى مبايعة مروان بن الحكم لخبرته وكبر سنه، وليكون ندا لابن الزبير[٦].

عُقد مؤتمر الجابية في الثالث من ذي القعدة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وكان من أولوياته النظر في من هو أحق بالخلافة، وكان أمل مبايعة مروان أقوى؛ وذلك باعتباره أكبر أبناء البيت الأموي سنا، وأكثرهم خبرة، بالإضافة إلى مُبايعة أغلب القبائل الشامية له وبخاصة اليمانية، ولا ننسى الدور الذي لعبه عبيدالله بن زياد في جمع المؤيدين لمروان، وسعيه للإطاحة بالضحاك بن قيس وإضعاف نفوذه في دمشق[٧].

في الجابية تشكل مجلس الملأ[٨] من زعماء بني أمية، وزعماء اليمنية برئاسة حسان بن مالك، حيث عمل المجلس على مناقشة أمر الخلافة بعد موت معاوية الثاني، ومناقشة من سيتولى الخلافة بعده، شرط أن تبقى الخلافة في الشام، وأجمع الحاضرون على مبايعة مروان

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٤١.

(٣) خالد بن يزيد: هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولد سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م، واشتهر بعلمه خاصة في الكيمياء والطب، تتلمذ على يد الراهب الرومي مريانوس، عاش خالد حتى خلافة الوليد بن عبد الملك وتوفي سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، وقيل سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٦، ص ص ٣٠١-٣١٥؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان. تحقيق: إحسان عباس، ج٢، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ص٢٢٤-٢٢٥.

(٤) مالك بن هبيرة: هو مالك بن هبيرة بن خالد السكوني الكندي، من رؤساء كندة، أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) وشهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، ولما بويع معاوية بالخلافة كان مالك أول من بايعه، وولي حمص لمعاوية ، وكان ممن شهد فتح مصر مع مروان بن الحكم، وتوفي في أيام مروان بن الحكم . انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج٢٤، ص ص ٧٤-٧٦.

(٥) حسان بن مالك: هو حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف كان من قادة جيش معاوية في معركة صفين، وقيل أن الناس سلموا أمر الخلافة لحسان أربعين ليلة ثم سلم حسان الأمر إلى مروان بن الحكم. انظر: المصدر نفسه، ج٦، ص٣٠٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٧٩.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٣.

(٨) أبو تمام، حبيب بن اوس الطائي (ت ٨٠١هـ/١٣٩٨م). نقائض جرير والأخطل. د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٢٢م، ص١٢.

بن الحكم، على أن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد، ومن بعده عمرو بن سعيد الأشدق[1]، وبهذا اتحدت كلمة اليمانيين.

كان القيسية قد اجتمعوا في مرج راهط بزعامة الضحاك بن قيس الفهري، وبايعوا عبدالله بن الزبير، على الرغم أن الضحاك كان من المخلصين للدولة الأموية وخاصة البيت السفياني، ولكن موقفه المتذبذب هذا ومبايعته لابن الزبير ربما يعود إلى كون ابن الزبير من القيسيين، وأهل الحجاز ينتمون إلى القبائل المضرية، والأهم من ذلك طموح الضحاك بن قيس في الزعامة، حيث دعا إلى نفسه في دمشق، مما أثار الشك بين أنصاره[٢].

لقد كانت بيعة مروان بن الحكم مقدمة لمواجهة بين اليمنية والقيسية، إذ توجه مروان إلى مرج راهط لمواجهة الضحاك بن قيس، في الوقت الذي تمكن فيه يزيد بن النمس[٣] من الاستيلاء على دمشق وطرد عامل الضحاك بن قيس منها، واستولى على الأموال، وأعلن البيعة لمروان بن الحكم[٤]، هذا الفعل من يزيد بن النمس أثار الخوف والاضطراب في جيش الضحاك، على الرغم من كثرة عددهم مقارنة بجيش مروان بن الحكم، واستمر القتال بين الطرفين عشرين يوما دون نتيجة، وهنا حدثت خدعة كان صاحب الفكرة فيها عبيدالله بن زياد، إذ أشار على مروان أن يرسل السفراء للضحاك بإيقاف الحرب والموادعة، فإذا قبل الضحاك شدَّ عليهم مروان، فأرسل مروان للضحاك بذلك، فقبل بالأمر ظنا منه أن الجيش الأموي قد أصابه التعب، ووضع أصحاب الضحاك أسلحتهم وتوقفوا عن القتال، وهنا انتهز مروان الفرصة فشدَّ قتاله عليهم وهم في غفلة من أمرهم، وقتل أعداد كثيرة من قيس[٥]، وقتل الضحاك بن قيس[٦]، وبذلك انتهت موقعة مرج راهط في محرم سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وكان أول نصر لأتباع الأمويين في دمشق بعد وفاة معاوية بن يزيد[٧]، ليحتدم الموقف بعدها بين القيسية واليمنية من جديد، ويتجدد الصراع القبلي بين الطرفين في حرب أهلية[٨] تمثلت في غارات تشبه أيام العرب في الجاهلية.

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٨١.
(٣) يزيد بن النمس: ارتد عن الإسلام مع جبلة بن الأيهم، ثم أسلم وشهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٣.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٨١.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣؛ المسعودي، مروج الذهب،ج٣، ص٧٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٠٤٣.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠.
(٨) حسين، المرجع السابق، ص١١١.

بعد أن اطمأن مروان على الأوضاع في بلاد الشام حيث التأييد الذي حصل عليه من الأردن ودمشق وحمص وفلسطين بالإضافة إلى الجزيرة الفراتية[1] ترك ابنه عبدالملك في دمشق، وتوجه بجيشه إلى مصر؛ لطرد عبدالرحمن بن جحدم[2] عامل عبدالله بن الزبير، ووجه ابنه عبد العزيز[3] في جيش من جهة أيلة[4] حتى يشتت قوة خصمه[5]، ونجحت خطة مروان؛ فقد اضطر ابن جحدم أن يُقسِّم جيشه إلى ثلاث فرق، فرقة اتجهت من ناحية البحر، وفرقة سارت من ناحية البر، وفرقة ثالثة بقيادة زهير بن قيس البلوي[6] إلى أيلة لتواجه عبد العزيز، وتمكن مروان من دخول عين شمس ثم الفسطاط في أول جمادي الأولى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وقاتل ابن جحدم الذي بنى خندقا لمواجهة مروان، وفي نهاية القتال تمكن مروان من هزيمة ابن جحدم[7]، وبنى الدار البيضاء لتكون مقرا له، وبايعه الناس، وضرب أعناق من ظل متمسكا ببيعة ابن الزبير.

عاد مروان إلى الشام بعد أن جعل ابنه عبد العزيز واليا على مصر[8]، ولكن قبل وصوله إلى فلسطين سمع بخبر الجيش الذي أرسله ابن الزبير لاستعادة الشام بقيادة أخيه مصعب بن الزبير[9]، فسيّر مروان جيشا بقيادة عمرو بن سعيد الأشدق لمواجهة ابن الزبير، وتمكن عمرو من هزيمة مصعب وأصحابه[10]، ثم ما لبث أن سيّر مروان جيشين، أحدهما إلى عبدالله بن الزبير في الحجاز بقيادة حبيش بن دُلجة[11]، والآخر إلى العراق بقيادة عبيدالله بن زياد[12].

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٨١.

(٢) عبد الرحمن بن جحدم: هو عبد الرحمن بن عتبة بن أبي إياس بن الحارث بن عبد أسد العامري، تولى إمارة مصر لعبدالله بن الزبير، وبعد أن بويع مروان بن الحكم بالخلافة دعاه شيعته من أهل مصر ليقدم إليهم، فسار مروان إلى مصر وتمكن من هزيمة ابن جحدم، وكانت مدة إمارته على مصر تسعة أشهر. انظر: الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت بعد ٣٣٥هـ/ ٩٦٤م).تاريخ ولاة مصر. ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت:١٩٨٧م، ص٣٩-٤١.

(٣) عبد العزيز بن مروان: هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ويكنى أبا الأصبغ، ولد في المدينة، ثم دخل الشام مع والده مروان، ولي العهد بعد أخيه عبد الملك ، وقد ولاه والده إمارة مصر وأقره عليها بعد ذلك عبد الملك، وكان عبد الملك أراد خلع أخيه عبد العزيز وتولية ابنه الوليد، ولكن عبد العزيز مات قبل ذلك، وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص ص١٣٢-١٣٣.

(٤) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت بعد ٣٣٥هـ/ ٩٦٤م). الولاة والقضاة. د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص٤٢.

(٥) العزام، المرجع السابق ، ص٢١٢.

(٦) زهير بن قيس: هو زهير بن قيس البلوي يكنى أبا شداد ، شهد فتح مصر وولاه أميرها عبد العزيز بن مروان برقة سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، توفي زهير في مواجهة مع الروم الذين توجهوا من القسطنطينية إلى برقة وثبت زهير في وجههم حتى قتل سنة ٧٦هـ/٦٩٥م. انظر: ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد(٣٤٧هـ/٩٥٨م). تاريخ ابن يونس. ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م، ص ص١٨٨-١٨٩؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٩، ص١١٤.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٥٩٩.

(٨) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). تاريخ اليعقوبي. ج٢، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٢٥٧؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م). نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج٢١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠٤م، ص٥٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ، ص٥٩٩.

(٩) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٤؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، ج٦، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٢م، ص٢٧.

(١٠) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٤؛ النويري، المصدر السابق، ج٢١، ص٥٦.

(١١) حبيش بن دُلجة: هو حبيش بن دلجة القيني، من أهل الأردن وواحدا من أشراف الشام، شهد صفين مع معاوية بن أبي سفيان، ثم ولاه يزيد بن معاوية على أهل الأردن يوم الحرة، ثم أرسله مروان بن الحكم إلى مكة لقتال ابن الزبير، فقتل بالربذة وقد قتله حنتف بن السجف. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص ص٨٦-٨٧.

(١٢) علي، محمد كرد. خطط الشام. ج١، ط٢، مكتبة النوري، دمشق، د.ت، ص١١٦.

تمكن جيش حبيش من التقدم نحو المدينة المنورة بنجاح بعد أن ألحق الهزيمة بعامل ابن الزبير في وادي القرى[1]، فأرسل ابن الزبير في طلب المساعدة إلى كل من الحارث بن عبدالله ابن أبي ربيعة[2]، عامله على البصرة يأمره أن يوجه إليه جيش لمساعدته[3]، كذلك فعل ابن الزبير مع ابن مطيع[4] عامله على الكوفة[5]، والتقى جيش الحارث وجيش ابن مطيع بالإضافة إلى الجيش الذي أرسله ابن الزبير التقوا جميعا بجيش حبيش بن دُلجة بالقرب من المدينة المنورة، وتمكن جيش ابن الزبير من هزيمة جيش مروان[6]، أما بالنسبة لجيش العراق فلم يخرج بنتيجة تذكر في حياة مروان بن الحكم الذي وافته المنية سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[7].

خالف مروان بن الحكم الاتفاق الذي خرج به مؤتمر الجابية، بأن تكون الخلافة من بعده لخالد بن يزيد بن معاوية ثم عمرو بن سعيد بن العاص، فقد بايع مروان لابنيه عبدالملك ثم عبدالعزيز بالخلافة، ولم يكتفِ بل أخذ يحقر خالد بن يزيد أمام الناس حتى يقلل من قيمته، فقد دخل خالد مرة على مروان وشتمه، فدخل خالد على أمه فاختة[8]التي تزوجت من مروان بعد وفاة أبيه- يزيد- وأخبرها بما حدث له مع مروان، فقالت له: **"لا يعلمن أحد أنك اعلمتني وانا اكفيك"**[9]، فلما نام مروان وضعت على وجهه وسادة حتى مات، ويذكر البلاذري أن مروان قال لخالد: **"يا ابن الرطبة"** وعندما علمت فاختة بذلك وضعت وسادة على وجهه بمساعدة جواريها حتى مات[10].

لقد توفي مروان بن الحكم بعد أن أثار مشكلة جديدة، وهي مشكلة ولاية العهد ومبايعته لابنيه، وكان على من يتولى الأمر بعده أن يكون قادرا على تفاديها، المشكلة هذه المرة ستختلف عن مشاكل البيت السفياني الذي كان مهمته المحافظة على السلطة وإبقائها بيد الأمويين .

---

(١) وادي القرى: وادي بين المدينة والشام. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٥،ص٣٤٥.

(٢) الحارث بن عبدالله: هو الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي، تولى أمر البصرة لابن الزبير، ولقب بالقُباع. انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). أسد الغابة في معرفة الصحابة.تحقيق: علي محمد عوض وآخرون. ج١، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠٣م، ص ص ٦١٩-٦٢٠.

(٣) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٥٦.

(٤) عبدالله بن مطيع: هو عبدالله بن مطيع بن الأسود القرشي العدوي، كان أميرا على قريش، هرب إلى مكة يوم الحرة، وقتل مع عبدالله بن الزبير في مكة. انظر: النمري، أبو عمر يوسف بن عبد البر(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).الإستيعاب في أسماء الأصحاب.ج١، د.ط، دار الفكر، بيروت:٢٠٠٦م، ص٥٩٧.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص٢٨٩-٢٩٠.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٩١؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٧٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٦٠٠.

(٧) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢، ص٥٩٨.

(٨) فاختة: هي فاختة بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية ، تزوجت ابن عمها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأنجبت منه ثلاثة من الأبناء: معاوية وخالد وأبا سفيان، ثم تزوجت بعده الخليفة مروان بن الحكم. انظر: كحاله، عمر رضا. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. ج٤، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص ص١٣-١٤.

(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص ٢٩٧-٢٩٨؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٧٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤؛ ابن العبري، المصدر السابق، ص١١٣.

(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٩٩.

تولى عبدالملك بن مروان أمر الخلافة بعد وفاة والده، وقد ولد عبدالملك بن مروان في المدينة سنة ٢٦هـ/ ٦٤٧م في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ونشأ نشأة علمية، إذ تتلمذ على يد كبار الصحابة من أهل المدينة، وعُرف بحمامة المسجد لمداومته على تلاوة القرآن، تولى مناصب إدارية في الدولة، فكان كاتبا على ديوان المدينة المنورة في السادسة عشر من عمره، في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة زيد بن ثابت[١]، وفي سنة ٤٢هـ/٦٦٢م تقلد عبدالملك رئاسة جيش المدينة في الحملة البحرية ضد البيزنطيين[٢].

أُخرج عبدالملك بن مروان مع أبيه من المدينة المنورة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م بسبب الفتنة الثانية بعد أن أعلن أهل المدينة ثورتهم ضد يزيد بن معاوية، وطردهم للأمويين الذين كانوا بها - كما تقدم سابقا- ثم عاد إليها في جيش مسلم بن عقبة الذي أرسله يزيد بن معاوية، وشهد عبدالملك موقعة الحرة التي انتهت بانتصار مسلم بن عقبة وجيشه، وهزيمة أهل المدينة، وعندما توجه مروان بن الحكم إلى مصر لاسترجاعها من سيطرة عبدالله بن الزبير، عين مروان ابنه عبدالملك نائبا عنه في دمشق[٣].

لا ريب أن تقلد عبدالملك بن مروان مناصب إدارية مهمه في الدولة، وتحمله للمسؤولية منذ سن مبكر ساعده كثيرا في صقل شخصيته وإظهار قدراته، فقد بويع له بالخلافة بعد وفاة والده مروان سنة ٦٥هـ/٦٨٤م[٤]، واستمر في خلافته وأحدا وعشرين سنة وهي مدة طويلة مكنته من العمل على توحيد الدولة العربية الإسلامية والقضاء على العديد من حركات المعارضة- كما سيتضح لاحقا-

تسلم عبدالملك بن مروان زمام الأمر والأمة الإسلامية تمزقها العصبية القبلية، فبعد وفاة يزيد بن معاوية استند حسان الكلبي على العصبية القبلية، ودعا القبائل اليمنية في البلقاء وأذرعات[٥] لمبايعة ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية، وأخذ يحرض هذه القبائل ضد عبدالله بن الزبير، ولكن مع دعوة حسان لابن أخته خالد بن يزيد تصادف وجود تأييد يمني لمروان بن الحكم شيخ قريش وسيد القوم في ذلك الوقت، لذلك كان لابد من أن يعقد مؤتمر الجابية لاتخاذ قرار يستطيع فيه الطرفين الانتصار ضد خصمهم-عبدالله بن الزبير- وعلى الرغم من الاختلاف في الآراء في مؤتمر الجابية – كما أوضحنا- إلا أن المجتمعين خرجوا في النهاية بقرار هو في

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٥؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٩٤؛ المقدسي، المطهر بن طاهر(ت٣٥٥هـ/٩٦٦م). كتاب البدء والتاريخ. ج٦، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٢٦.
(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٢٢١.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٨٥.
(٤) ابن العبري، المصدر السابق، ص١١٢.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج ٦، ص٢٥٩.

صالح بني أمية ومن معهم من اليمنيين بمبايعة مروان بن الحكم، وبذلك يكون للقبائل اليمنية دور كبير في استرداد السلطة الأموية، ثم كانت موقعة مرج راهط التي أعادت العصبية القبلية بعد انتصار بني أمية وحلفائهم اليمنيين على الضحاك بن قيس ومن معه من القيسية، والهزيمة النكراء التي لحقت بالقيسية، فكان عودة القتال بين القبيلتين أمر لا مفر منه، وهنا يظهر زفر بن الحارث أمير قنسرين[١] الذي اجتمعت إليه قبائل قيس لمواجهة اليمنية من قبيلة كلب وغيرها[٢]، ودارت الحرب بين الطرفين، وكل قبيلة تهدف للقضاء على القبيلة الأخرى، ووقعت بينهم وقائع منها يوم الكحيل[٣]، ويوم ماكسين[٤].

يرى نبيه عاقل أن عودة الصراع بين "الحزبين السياسيين" بعد موقعة مرج راهط كان أحد العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية فيما بعد[٥]، وقد حاول عبدالملك بن مروان القضاء على العصبية بين القبيلتين، وصالح زعيم القيسية زفر بن الحارث وقربه إليه، وأصبحت القيسية جزءا من جيشه، ومنحهم العطاء الذي حرموا منه أثناء الصراع مع اليمنية، كما سجن عبدالملك عدد من وجوه القبائل اليمنية بسبب مقتل غلام من قيس[٦].

من هنا نرى أن عبدالملك بن مروان كان فطنا إلى أن حل الصراع القائم بين اليمانية والقيسية أولى الخطوات في تشكيل دولة قوية وموحدة، فالاتحاد بين العناصر والقبائل الداخلية للدولة تمكن الدولة من مواجهة أي أخطار خارجية، كما تُؤدي إلى الاستقرار والأمن الذي هو أساس الازدهار الاقتصادي.

واجه عبدالملك بن مروان حركات المعارضة في كل من بلاد الشام والحجاز والعراق، ففي بلاد الشام كان عليه أن يواجه حركة عمرو بن سعيد الأشدق الرجل الأموي القيادي الذي رأى مروان بن الحكم أنه أهل ليكون خليفة للدولة الأموية، فبايعه بالخلافة بعد خالد بن يزيد[٧]، ولكن مروان سرعان ما غيَّر في اتفاقية مؤتمر الجابية وأعلن سنة ٦٥هـ/٦٨٤م البيعة لابنيه عبدالملك ومن ثم عبد العزيز[٨]، وربما يعود ذلك إلى أن مروان قد تمكن من تثبيت نفسه على

---

(١) قنسرين: بلدة تقع في جنوب حلب، فتحها المسلمون سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م على يد أبي عبيدة بن الجراح . انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٠٣.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٩٦.
(٣) يوم الكحيل: هو يوم لبني سعد وبني عمرو بن حنظلة والكحيل أرض بالموصل. انظر البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٧٦-٧٨.
(٤) يوم ماكسين: تواجه في هذا اليوم قيس وتغلب، وكان النصر حليفاً للقيسيين. انظر البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٦٤-٦٥.
(٥) عاقل، نبيه. خلافة بني أمية، ط٣، دار الفكر، دمشق: ١٩٧٥م، ص١٣٠.
(٦) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٧٦م). الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ج٢٢، ط١، دار صادر، بيروت:٢٠٠٢م، ص٩٩.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٣.
(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٩؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٧، ص٢٦٢.

منصب الخلافة، وأراد الاحتفاظ بذلك لأبنائه، لذلك كانت حركة عمرو بن سعيد أمر متوقع، فقد ظل ذلك في نفس الأشدق حتى خلافة عبدالملك بن مروان، وفي سنة ٦٩هـ/٦٨٩م خرج عمرو بن سعيد الأشدق مع عبدالملك بن مروان من دمشق إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير، وفي الطريق طلب عمرو بن سعيد من عبدالملك أن يوفي بوعد والده مروان بن الحكم وأن يعينه وليا للعهد، أو أن يكتب له أمرا خطيا موثقا بذلك[١]، ولكن عبدالملك لم يعطه اهتماما، وربما يكون عبدالملك قد أدرك مسعى عمرو الأشدق، وعمل على إبطال مخططه الذي يرنو إليه، وذلك بتهميش عمرو صاحب القيادة العسكرية، الذي سمحت له قيادته أن يلفت الأنظار إليه، فصار عبدالملك حريصا على ألا يعهد لعمرو بأي قيادة عسكرية بعد صده للحملة الزبيرية سنة ٦٦هـ/٦٨٥م[٢] بهدف إضعافه وتقليل مؤيديه، وقد فطن عمرو بن سعيد لسياسة عبدالملك اتجاهه، ورأى أن مخطط عبدالملك هذا ما هو إلا إحدى خطواته لإقصائه عن أمر الخلافة، فعمل الأشدق جاهدا على أن يوثق علاقاته مع الشخصيات الشامية البارزة[٣]، وترك الأشدق معسكر عبدالملك وقفل راجعا إلى دمشق هو وأنصاره، وما أن وصل إلى دمشق حتى هرب واليها[٤]، وأيد أهل دمشق والجند الذين بها عمرو بن سعيد، كما أيده وجوه أهل دمشق ومالوا إليه[٥]، وما أن وصلت أخبار تمرد عمرو لعبدالملك بن مروان حتى أسرع بالعودة إلى دمشق، وضرب حصارا على عمرو بن سعيد الأشدق لمدة ستة عشر يوما[٦]، جرت خلالها مفاوضات بين الطرفين، اشترط فيها عمرو الأشدق أن يكون خليفة بعد عبدالملك[٧]، وأن يكون أميرا على دمشق، وأن يتولى أمر الدواوين وبيت المال[٨]، ويكون له عامل مع كل عامل يعينه عبدالملك[٩]، وأن يكون شريكا في الخلافة، فلا ينفذ عبدالملك بن مروان أمرا إلا بموافقة عمرو[١٠]، فكانت كل بنود الإتفاقية في صالح عمرو بن سعيد الأشدق، وقد أدرك عبدالملك بن مروان خطورة ذلك، ولكن ربما لثقته بقدراته ورغبته في تهدئة الأوضاع في تلك اللحظة وافق على مطالب عمرو، وانتهى حصار دمشق، وتمكن عبدالملك من دخولها.

وافق الخليفة عبدالملك بن مروان على الشروط التي وضعها عمرو الأشدق، ولكنه كان قد وضع خطة مسبقه بالقضاء على عمرو والتخلص منه، فما أن دخل دمشق حتى بدأ بتنفيذ

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٥٨-٦٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٢٤.
(٢) ابن عساكر، المصدر السابق، ج٦١، ص٣٧٥.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١١٢٤.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٨٦.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٥٩.
(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٢٢٤؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج٤٦، ص٤٢.
(٧) ابن خياط، أبي عمر خليفه بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م). تاريخ خليفه بن خياط. مراجعة: مصطفى نجيب وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٥م، ص١٦٦؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٥٦؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج٤٦، ص٤٣.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٥٩.
(٩) ابن خياط، التاريخ، ص١٦٦؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج٤٦، ص٤٣.
(١٠) ابن عساكر، المصدر السابق، ج٤٦، ص٤٤.

خطته بعد أربعة أيام[1]، فدعا عبدالملك بن مروان عمرو إلى قصره وقتله بيده[2]، بعد أن عزله عن أنصاره، ويذكر ابن قتيبة أن الذي قتل عمرو هو ابن الزويرع بأمر من عبدالملك من مروان[3]، ثم أمر عبدالملك أن يُلقى برأس عمرو لأتباعه الذين ينتظرونه، وألقى عليهم المال أيضا، فاكتفى بعض أتباع عمرو بما جمعوه من المال[4]، وتمكنت قوات عبدالملك من القضاء على أتباع عمرو الآخرين الذين حاولوا الانتقام[5].

تمكن عبدالملك بن مروان من القضاء على أحد حركات المعارضة التي واجهته، وكان لهذه الحركة طابعها الخاص لكونها كانت معارضة من داخل الأسرة الحاكمة الأموية، وعلى الرغم من أن عبدالملك بن مروان قضى على خصمه باتباع مبدأ الحيلة والخديعة والغدر إلا أن هدفه كان الحفاظ على خلافة مروانية، بدأ مروان بن الحكم في تثبيت دعائمها، كما أن عبدالملك بن مروان أدرك أنه لا يمكن أن يحكم الدولة رجلان، إذ قال لعمرو: **"والله لو أعلم أنك تبقي علي إن أبقي عليك وتصلح قريش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه"**[6].

ربما يكون عبدالملك بن مروان قد رأى أن نظرية البقاء للأقوى هي النظرية التي يجب أن تسود وتحكم، ويرى مضر طلفاح في تصرف عبدالملك بن مروان وقتله لأحد أفراد البيت الأموي بالحيلة والخديعة أحد أسباب سقوط الدولة الأموية[7]، ويرى دكسن أن المصادر المعادية قد استخدمت هذا الفعل من عبدالملك بن مروان لإدانته[8] دون النظر في ما قدمه عبدالملك من إنجازات مهمه للدولة، ولكن هذا الفعل من عبدالملك بن مروان ليس سببا كافيا لهذه المصادر حتى تدين هذا الخليفة؛ فالإيجابيات تذكر والسلبيات تذكر.

تذكر المصادر[9]أن عبدالملك بن مروان قبل أن يواجه عمرو بن سعيد الأشدق كان متوجها إلى زفر بن الحارث الكلابي الذي تحصن بقرقيسيا[10] بإقليم الجزيرة الفراتية بعد

(١) الطبري، المصدر السابق، ص ١١٢٤؛ ابن الأثير، الكامل، ص٨٦.
(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٢٣٤؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٦٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص ١١٢٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج٤، ص٨٨؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٢٩.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٤.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١١٢٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٨٨؛ النويري، المصدر السابق، ج٢١، ص٦١.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٦٥.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١١٢٥.
(٧) طلفاح، مضر عدنان. "عمرو بن سعيد الأشدق ودوره في الدولة الأموية ٥٠-٧٠هـ/ ٦٧٠-٦٨٩م". المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد٦، العدد١، عمادة البحث العلمي، الأردن: ٢٠١٢م، ص٢٩.
(٨) دكسن، عبد الأمير عبد حسين. الخلافة الأموية ٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م. ط١، دار النهضة العربية، بيروت:١٩٧٣م، ص٢٠٤.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٦٦؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٢٤.
(١٠) قرقيسيا: مدينة من مدن الجزيرة الفراتية، فوق مصب الخابور الأكبر من الفرات. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٢٨.

معركة مرج راهط وبايع لابن الزبير[1]، وقد اجتمع حوله القيسيون بغية الانتقام من قبيلة كلب[2]، وأخذوا يشنون غاراتهم عليها في المناطق المجاورة، وعلى الرغم من أن عبدالملك بن مروان كان يطمح للقضاء على مصعب بن الزبير في العراق إلا أن معارضة زفر كانت تشكل له حرجا[3]، فكان عليه أن يقضي على زفر أولا لكي يحمي ظهره، ثم يتوجه إلى العراق وينهي سيطرة الزبيرين عليها - وسيتم توضيح تفاصيل المواجهة بين عبدالملك بن مروان وزفر بن الحارث لاحقا في فصول الدراسة.

نجح عبدالملك بن مروان في تأمين بلاد الشام قبل توجهه للقضاء على الزبيريين في العراق والحجاز، وتولى عبدالملك قيادة الجيش لأنه لم يرَ أحدا أجدر بذلك منه، ولمعرفته بشجاعة مصعب وقدراته الحربية[4]، فقد عمل عبدالملك على استمالة رؤساء القبائل في جيش مصعب، وكتب لهم يعدهم ويرغبهم بالمال إذا ما تخلوا عن مصعب[5]، وتدانى العسكران بدير الجاثليق[6]، ودارت معركة الجاثليق بين مصعب بن الزبير وعبدالملك بن مروان، وكان ذلك سنة ٧٢هـ/٦٩١م[7]، انتهت المعركة بمقتل مصعب بن الزبير، وتمكن عبدالملك بن مروان من الدخول إلى الكوفة، وبايعه أهلها، وعين عماله عليها[8].

كان مقتل مصعب بن الزبير وزوال العراق من سلطان عبدالله بن الزبير هي بداية النهاية في حكمه؛ حيث لم يبقَ تحت سلطانه سوى الحجاز، فأرسل عبدالملك بن مروان جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي[9] لانتزاع آخر معاقل ابن الزبير، ويعود اختيار عبدالملك بن مروان الحجاج الثقفي لقيادة الجيش لعدة أسباب أهمها:

---

(١) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٣؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ج٥، د.ط، دار الكتاب المصري، القاهرة: ١٩٩٩م، ص٨١.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٣؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٨١.

(٣) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣١.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص ص١١٣٠-١١٣١.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٦؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٨٩؛ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). الأخبار الطوال.ط١، مطبعة السعادة، القاهرة: ١٩١١م، ص٣٠٢؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٣١؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩١.

(٦) دير الجاثليق: دير قديم البناء قرب بغداد في غربي دجلة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٣.

(٧) الدينوري، المصدر السابق، ص٣٠٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٩٣؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٨، ص٢١٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٥٤.

(٨) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٧؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص١٠٦-١٠٧؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٣٠٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٥٧.

(٩) الحجاج بن يوسف: هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، أمير العراق، ولد سنة أربعين، ولي الحجاز ثم العراق لمدة عشرين سنة، وتوفي بواسط سنة ٩٥هـ/٧١٣م. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢، ص ١٠٧١، ١٠٧٩.

- انتدب عبدالملك بن مروان الناس إلى قتال عبدالله بن الزبير بمكة فلم يجبه أحد[١]، وقد أورد الدينوري أن عبدالملك بن مروان انتدب قدامة بن مطعون[٢] ثم عزله وانتدب الحجاج بن يوسف[٣].
- المهارة التي أبداها الحجاج بن يوسف الثقفي في الحفاظ على انضباط الجيش المتوجه لقتال مصعب بن الزبير في العراق[٤].
- رغبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أن تكون نهاية عبدالله بن الزبير على يده، إذ قال لعبدالملك بن مروان: **"يا أمير المؤمنين إني رأيت في المنام كأني أسلخ عبدالله بن الزبير، فقال له عبدالملك: أنت له فاخرج إليه"**[٥].

توجه الجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف إلى الحجاز في جمادي الأولى سنة ٧٢هـ/٧٩١م، وأمر عبدالملك الحجاج ألا يدخل الحرم بالخيل والجنود، وأن ينزل بأي أرض من أراضي الحجاز[٦]، فاستقر الحجاج في الطائف[٧]، وأخذ يبعث الخيل إلى عرفة فيقتتلون مع من يرسلهم ابن الزبير، وكانت خيل الحجاج تعود بالظفر[٨]، ثم كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يطلب منه المدد، وأن يأذن له بمهاجمة مكة، فلبى عبدالملك بن مروان طلبه، وكتب إلى طارق بن عمرو[٩] أن يتوجه إلى الحجاج، وفي ذي القعدة توجها معا نحو مكة، ونزلا بئر ميمون[١٠]، ثم حاصر الحجاج ابن الزبير، واستمر الحصار أكثر من ستة أشهر، ونصبت المنجنيق، ورمى الحجاج الكعبة بالحجارة[١١]، وازداد الوضع سوءا فقد تدهورت الحالة الاقتصادية في الحجاز، ومنعت المواد الغذائية بأمر من عبدالملك بن مروان الذي طلب من الحجاج أن يمنع الميرة عن ابن الزبير[١٢]، وارتفعت الأسعار، وأصاب الناس مجاعة شديدة، في الوقت الذي كانت الإمدادات تصل إلى الحجاج من الشام[١٣]، مما دفع الكثير من أتباع ابن الزبير

---

(١) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٧.
(٢) قدامة بن مظعون: هو قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا عمرو، له صحبة مع الرسول (صلى الله عليه وسلم)، هاجر الهجرتين الأولى والثانية وشهد معركة بدر، ثم أصبح عاملا على البحرين زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). انظر: العسقلاني، الإصابة، ج٩، ص٣٨-٤٣.
(٣) الدينوري، المصدر السابق، ص٣٠٤.
(٤) Encyclopedia of Islam(New edition) .Vol.3.Netherlands , Brill:1991. p.40
(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٧.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١١٦؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٨.
(٧) الطائف: بلدة صغيرة قريبة من مكة، وتقع على طرف واد، كانت تحت حكم قبيلة ثقيف. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٩.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص ١١٥-١١٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦٠.
(٩) طارق بن عمر: هو طارق بن عمر المكي، مولى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) جهزه عبد الملك بن مروان في ستة آلاف لمساعدة الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبدالله بن الزبير، ثم ولاه عبد الملك المدينة سنة ٧٢هـ/ ٧٩١م. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج١١، ص١٦٢.
(١٠) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٣٨-٣٣٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٢.
(١١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٨؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١١٨؛ اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٦٦؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٤٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٥٩.
(١٢) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٨.
(١٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١١٨.

إلى التخلي عنه والانضمام إلى الحجاج، خاصة بعد أن أمنهم الحجاج، وقيل أن نحو عشرة آلاف تركوا ابن الزبير وخذلوه[1] وكان منهم ابنيه حمزة وخبيب[2].

حارب ابن الزبير مع القلة الذين ظلوا معه، وفي رواية تاريخية أن عدد الذين صمدوا معه لم يتجاوز السبعين[3]، وقد أبدى ابن الزبير شجاعة فائقة في القتال وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وظل يقاتل حتى قُتل في السابع عشر من جمادي الأولى سنة ٧٣هـ/٦٩٢م[4]، وبموته تكون الحجاز قد خضعت لعبدالملك بن مروان حيث دخل الحجاج مكة، وبايع من بها لعبدالملك بن مروان[5].

لم يكن القضاء على مصعب بن الزبير في العراق هو نهاية حركات المعارضة التي واجهت عبدالملك بن مروان في خلافته، فقد كانت العراق أرضا خصبة لموجات معارضة كان على عبدالملك بن مروان أن يقضي عليها، وأن يستتب الأمن في المنطقة حتى يتمكن من توحيد سلطانه . وهذا ما سنتطرق إليه تباعا في فصول هذه الدراسة.

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٢.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦١.
(٣) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٤٢.
(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٩؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٨؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٢؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٤٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦٢.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٤.

الفصل الأول

المعارضة الشيعية وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

(٦٦هـ/٦٨٥م -٦٧هـ/٦٨٦م)

الفصل الأول: المعارضة الشيعية وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٦هـ/٦٨٥م - ٦٧هـ/٦٨٦م)

١- انقسام الشيعة[١]

قُتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وانقسمت الأمة إلى قسمين: الأول في صف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) والقسم الآخر في صف معاوية بن أبي سفيان، وتركز أنصار الخليفة علي (رضي الله عنه) في الكوفة بالعراق حيث عاصمة الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكانت شيعته فرقة تعبر عن الرأي السياسي دون أن يكون هناك موقف ديني لهذه الجماعة[٢]، وبمقتل الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) انقسمت شيعته إلى ثلاث فرق: فرقة تسمى "السبأية"[٣] وهم أصحاب عبدالله بن سبأ أول من أطلق على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لقب "الوصي"، وفرقة قالت بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية)[٤] وسميت هذه الفرقة بـ"الكيسانية" نسبة إلى كيسان أبي عمرة صاحب شرطة المختار والذي ناصر القضية الشيعية كثيرا، وقيل نسبة إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي حرض المختار على نصرة آل البيت، وهناك رواية أخيرة تقول أن كيسان مشتقة من صفة "كَيْس" والتي ينسب إلى المختار التحلي بها وتعني الجود والعقل[٥]، ونرى أن الرواية الأولى هي الأقرب إلى الصحة بحكم أن كيسان مولى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) توفي في معركة صفين[٦]، وعرفت هذه الفرقة أيضا بـ"المختارية"[٧] لأن رئيسهم يدعى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وفرقة ثالثة خاب أملها في الحسن بن علي الذي فضل التنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان بسبب عدم ثقته بأنصاره، فاتجهت أنظارهم إلى أخيه الأصغر الحسين بن علي الذي أعلن عن معارضته لخلافة يزيد بن معاوية وتوجه إلى مكة، وما صاحب ذلك من أحداث حتى حدثت (معركة كربلاء) التي قتل فيها الحسين بن علي،

---

(١) الشيعة: "هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده". انظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م). الملل والنحل. تصحيح وتعليق: أحمد فهمي، ج١، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٢م، ص١٤٤.

(٢) ولهاوزن، يوليوس. أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة. ترجمة: عبد الرحمن بدوي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٥٨م، ص١٤٨.

(٣) السبأية: هم أتباع عبدالله بن سبأ اليهودي الذي والى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن الخليفة علي بن أبي طالب إله، فنفاه الخليفة علي إلى المدائن، وقال ابن سبأ أيضا أن علي لم يمت وإن ابن ملجم قتل شيطانا تصور بصورة علي، وعلي صوته في السحاب والرعد والبرق، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض ليملأها عدلا. انظر: النوبختي، الحسين بن موسى (ت ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م) وآخرون. فرق الشيعة. تحقيق: عبد المنعم الحفني، ط١، دار الرشاد، القاهرة: ١٩٩٢م، ص٣٢.

(٤) محمد بن علي بن أبي طالب: المعروف بابن الحنفية، وكنيته أبو القاسم، وهو اخ للحسن والحسين، أمه خولة بنت جعفر الحنفية، كان واسع العلم، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة، ادعى المختار الثقفي أن ابن الحنفية هو المهدي، وأخذ يدعو الناس إلى إمامته، توفي ابن الحنفية سنة٨١هـ/٧٠٠م. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٦٩-١٧٢.

(٥) النوبختي، المصدر السابق، ص٣٨؛ الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر(ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م). رجال الكشي، تحقيق: حسن المصطفوي، د.ط، مؤسسة النشر، د.م، ١٩٢٩م، ص١٢٨؛ مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة: ٢٠٠٤م، ص٨٠٧.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ص٨٤٩.

(٧) يسميهم البلاذري " الخشبية" لأنهم كانوا يقاتلون بالخشب. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٧.

وبوفاة الحسين بن علي اختلف الشيعة وافترقوا، فرقة قالت بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) فهو أولى الناس بالإمامة بعد أخويه الحسن والحسين، وبعد وفاة محمد بن الحنفية سنة ٨١هـ/٧٠٠م تفرق أصحابه "الكيسانية " إلى فرقتين:

الأولى: لم تؤمن بموت محمد بن الحنفية، ومنهم "الكربية" فزعموا أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وسيعود وهو (المهدي المنتظر).

الثانية: أقرت بموت محمد بن الحنفية، ونقل الإمامة إلى شخصيات أخرى، واختلفوا فيمن نقلت إليه الإمامة بعده وكان الاختلاف بين اثنين هما علي بن الحسين زين العابدين[١]، وأبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية[٢] وعرف هؤلاء بـ"الهاشمية".

٢- مقدمات المعارضة الشيعية (حجر بن عدي الكندي، سليمان بن صرد وحركة التوابين)

أ- حجر بن عدي الكندي

يعد حجر بن عدي الكندي أول شهداء الشيعة، وتميل هذه الطائفة إلى تلقيبه "بصاحب النبي"[٣]، قُتل زمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، فقد كان حجر من شيعة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأحد قادته في صفين[٤]، وبعد وفاة الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عارض حجر بن عدي الصلح الذي قام به الحسن بن علي مع معاوية بن أبي سفيان، واقتصرت معارضته في تلك الفترة على القول دون الفعل[٥]، ولكن ما لبث أن تحول هذا الموقف إلى معارضة فعلية سنة ٥١هـ/٦٧١م؛ ويعود ذلك إلى انتهاء سياسة اللين والتسامح التي كان يتبعها والي الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان وهو المغيرة بن شعبة، إذ تجنب سياسة البطش على الرغم من الجدال الذي كان يحدث بينه وبين حجر بن عدي[٦]، أضف إلى ذلك أنه بعد تولي زياد بن أبيه ولاية الكوفة والبصرة تدهورت العلاقة بينه وبين حجر بن عدي فكان ذلك سببا آخر للمواجهة الفعلية بين الشيعة والدولة الأموية، وتختلف المصادر في أسباب الخلاف الذي نشب بين زياد بن أبيه وحجر بن عدي، ويعود أهمها إلى:

---

(١) علي بن الحسين: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين، أمه أم ولد اسمها غزالة، وعرف بعلي الأصغر تميزا على أخيه علي الأكبر الذي قتل في موقعة كربلاء مع أبيه، وهو أحد الأئمة الأثني عشر، ويعد من التابعين، حاول المختار الثقفي أخذ البيعة باسمه ولكنه رفض، وتوفي سنة ٩٤هـ/٧١٢م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص ص٢٠٩-٢١٩؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج٣، ص ص٢٦٦-٢٦٩.

(٢) عبدالله بن محمد بن علي: يكنى أبو هاشم، زعم الشيعة في خراسان أنه ورث الوصية عن أبيه، وأنه أوصى إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وأوصى محمد إلى إبراهيم الإمام، فصارت الوصية بيد بني العباس، وقد قتل أبا هاشم زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي علم بأمره وتشيعه فدس إليه من سقاه سما. انظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ص ١٢٣-١٢٤؛ فوزي، فاروق عمر. نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، ط١، دار الأهلية، عمّان:١٩٩٩م ، ص١١١.

(٣) لامنس، هنري. حجر بن عدي. دائرة المعارف الإسلامية، مجلد٧، دار المعرفة، بيروت: ١٩٨٠، ص٣٢٠-٣٢١.

(٤) الدينوري، المصدر السابق، ص ٢١٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص١٣٧٢؛ العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٤٨٥.

(٥) يقول البلاذري: " لم يزل حجر منكرا على الحسن بن علي بن أبي طالب صلحه لمعاوية، فكان يعذله على ذلك ويقول: تركت القتال ومعك أربعون ألفا ذو نيات وبصائر في قتال عدوك". انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

أولا: أن زياد بن أبيه والي معاوية بن أبي سفيان في العراق بعدما تولى أمر الكوفة والبصرة صعد على منبر الكوفة لأول مرة ولعن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فكان ذلك سببا لبدء المواجهة بين حجر وزياد[1].

ثانيا: ذُكر أن زياد بن أبيه كان يطيل الخطبة ويؤخر الصلاة، فأنكر حجر بن عدي عليه ذلك وابتدأت المواجهة بين الطرفين[2].

ثالثا: أن حجر بن عدي كذَّب زياد بن أبيه وهو يخطب، وجمع ما يقارب من ثلاثة آلاف من شيعته وعسكر خارج الكوفة، فما كان من زياد إلا أن كتب إلى معاوية بن أبي سفيان في خبر حجر بن عدي[3].

وبينما كان زياد بن أبيه في البصرة حصب الشيعة نائب زياد على الكوفة عمرو بن الحريث المخزومي[4]، وأظهروا لعن معاوية والبراءة منه[5]، وما أن وصلت هذه الأخبار إلى مسامع زياد بن أبيه حتى عاد مسرعا إلى الكوفة، ثم ما لبث أن حدثت مواجهة بين شرطة زياد بن أبيه وبين حجر بن عدي[6]، ولم يتحرج أهل الكوفة من الشهادة ضد حجر بن عدي وأصحابه، ومساعدة زياد بن أبيه في القضاء عليه[7]، فقد هددهم بهدم الدور وقطع نخيلهم، وسجن بعضا من رؤساء القبائل ممن وقف في صف حجر[8] ليتمكن بعدها زياد من إلقاء القبض على حجر وأصحابه بعدما تفرق الناس عنه، وقد طلب حجر من زياد الأمان، وأن يحيل قضيته إلى معاوية بن أبي سفيان[9]، فكتب زياد إلى معاوية بن أبي سفيان في أمر حجر وأصحابه وأرسلهم إليه، وكانت التهم التي وجهها زياد لحجر بن عدي هي خلع الطاعة ومفارقة الجماعة، ولعن الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ودعوته إلى الحرب والفتنة، وجمع الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع معاوية بن أبي سفيان[10]، فما كان من معاوية بن أبي سفيان إلا أن أمر بقتل حجر بن عدي وأصحابه بعد أن استشار الناس في قتلهم، وعلى الرغم من أن معاوية كان مترددا في قتل حجر بن عدي[11] ولكن إدراكه للخطر الذي يمكن أن يشكله شيعة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من ناحية، وتحريض زياد له بقتل حجر

---

(١) الطبري، المصدر السابق ، ص ص٩٣٦-٩٣٧.
(٢) المصدر نفسه ، ص٩٣٧؛ النمري، المصدر السابق، ص١٩٨؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص ص ٢٢٧-٢٢٨.
(٣) ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص٢١٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص١٣٧٢.
(٤) عمرو بن الحريث المخزومي: هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله القرشي المخزومي، أول قرشي اتخذ دارا بالكوفة، وكان أغنى أهلها، تولى الكوفة لبني أمية إذ كانوا يثقون به كثيرا، وتوفي عمرو سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص ص٢٠٠-٢٠١.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص٩٣٧؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص١٠٠.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص٩٣٧.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥٥؛ الطبري، المصدر السابق، ص٩٣٧؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص٢١٨.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥٩؛ الطبري، المصدر السابق، ص٩٣٩.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٥٩؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٢٥؛ الطبري، المصدر السابق، ص٩٤٠.
(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٦٢؛ الطبري، المصدر السابق، ص٩٤١.
(١١) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٦٥؛ الطبري، المصدر السابق، ص٩٤٣؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٢٣.

باعتباره رأس الفتنة[1] من ناحية، وخوفه على الأمة من الفتنة من ناحية ثالثة، كلها كانت أسباباً في حكمه على حجر بالقتل، وهذا من جوابه عندما لامته أم المؤمنين عائشة[2](رضي الله عنها) في قتل حجر إذ كان جوابه: **"خشيت فتنة، فكان قتله خيرا من حرب تهراق[3] فيها الدماء، وتستحل المحارم"**[4]، وقوله لها أيضا عندما سألته عن قتل حجر فقال: **"إني رأيت قتلهم صلاحا للأمة، وإن بقاءهم فسادا للأمة"**[5]، فكان على معاوية بن أبي سفيان أن يعمل بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): **"من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"**[6] وقوله عليه الصلاة والسلام: **"إنه ستكون هَنَات وهَنَات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان"**[7]، ولكن معاوية بعد ذلك ندم على قتل حجر[8]، وظل يذكر ذلك طوال حياته حتى مات، فيذكر البلاذري أن معاوية بن أبي سفيان عندما حضرته الوفاة أخذوا يقلبونه فقال: **"أي جسد يقلبون إن نجا من ابن عدي"**[9].

لا ريب أن محاولة معاوية بن أبي سفيان لتثبيت دعائم الحكم الأموي، واستعداده لعمل كل ما يمكن أن يحقق الاستمرارية لهذا الدولة كان واحدا من المبررات التي جعلته يحكم على حجر بن عدي الكندي وأصحابه بالقتل، على الرغم ما عرف عن معاوية بن أبي سفيان من الحلم الشي الكثير، وربما هذا ما جعل معاوية يشعر بالندم ولا ينسى قتله لواحد من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى موته.

إن معارضة حجر بن عدي التي انتهت بمقتله كانت بداية لحركات المعارضة الشيعية ضد الدولة الأموية، فقد أثار مقتله الكثيرين لما عرف عن حجر من **"صلابة في العقيدة، وإيمان عميق بأحقية آل البيت"**[10]ففي الكوفة شعر الناس بالخزي لما جرى لحجر، واستفظعوا هذا الأمر[11]، وفي خرسان قال الربيع بن زياد الحارثي[12]:**"لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت**

---

(١) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٢٦؛ النمري، المصدر السابق، ج١، ص١٩٨؛ ابن عساكر، المصدر السابق ، ج١٢، ص٢١٧.
(٢) عائشة أم المؤمنين: هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، وزوجة النبي (صلى الله عليه وسلم) كانت (رضي الله عنها) أعلم الناس، يسألها الأكابر من الصحابة، وكانت مرجع للفتوى في عهد عمر وعثمان (رضي الله عنهما) توفيت سنة ٥٨هـ/٦٧٧م. انظر: بن سعد، المصدر السابق، ج١٠، ص ص٥٧-٧٦.
(٣) تهراق: من الفعل هرق، وتعني سفك، أي تسفك فيها الدماء. انظر: مجمع اللغة العربية ، المرجع السابق، مادة: هـ ر ق، ص٩٨٢.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ٢٧٣.
(٥) التميمي، المصدر السابق، ص١٢٢؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٢٦؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج١، ص١٢١٨.
(٦) النووي، المصدر السابق، ج١٢، ص٣٣٦.
(٧) المصدر نفسه، ص٣٣٥.
(٨) ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٣٠؛ ابن كثير، المصدر السابق،ج١، ص١٢١٧.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٧٥.
(١٠) عاقل، المرجع السابق، ص٧٤.
(١١) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٢٦.
(١٢) الربيع بن زياد الحارثي: ابن أنس بن الديان، وهو يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة من مذحج، روى عن الخلفية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وولي خراسان وفتح عامتها. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص ص٢٧٩-٢٨٠.

الكوفة عند قتله لم يقتل رجل منهم صبرا، ولكنها أقرت فذلت"[١]، وفي الحجاز أظهرت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) غضبها الشديد ولامت معاوية على ذلك كما أشرنا سابقا.

ب- سليمان بن صرد الخزاعي[٢] وحركة التوابين.

لقد كان لمقتل الحسين بن علي سنة ٦١هـ/٦٨٠م أبعاد سياسية خطيرة على الدولة الإسلامية خاصة في الكوفة حيث قتل الحسين بن علي، فالكوفيون الذين كاتبوا الحسين بن علي ووعدوه بالوقوف إلى جانبه ونصرته، ثم خذلانهم له بعد ذلك ومقتله ترك هذا الأمر شيئا كبيرا في نفوسهم، وشعروا بعظمة الذنب الذي اقترفوه، وأنهم بحاجة إلى عمل يكفِّر عنهم خطيئتهم هذه، فبدأوا ينظمون أنفسهم ليفكروا في طريقة تخلصهم من تأنيب الضمير، ليشكلوا بعد ذلك أول حركة مسلمة خرجت من العراق ضد بني أمية[٣]، عُرفت بـ"حركة التوابيين" وقد تزعم هذه الحركة سليمان بن صرد الخزاعي الذي كانت له صحبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) وشهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الجمل وصفين، فقلدته هذه الجماعة أمرها لسنه وشرفه[٤]، وكان معه أربعة رؤساء هم: المسيب بن نجبة الفزاري[٥]، وعبدالله بن سعد بن نفيل الازدي[٦]، وعبدالله بن وال التميمي[٧]، ورفاعة بن شِداد البجلي[٨]، وكان هؤلاء الخمسة ممن كاتب الحسين بن علي يحثونه على القدوم إلى الكوفة[٩]، ثم خذلوه بعد ذلك مما كان سببا في مقتله، وانضم إلى التوابين حوالي مائة رجل يمثلون وجهاء الشيعة وفرسانها، وكانوا يجتمعون في منزل سليمان بن صرد يوم الجمعة ليخطب لهم نفس الخطبة في كل مرة، يُذكِّرهم فيها بذنبهم في خذلان الحسين بن علي، ويحثهم على الأخذ بثأره والانتقام من قتلته أو الموت دون ذلك[١٠]،

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٩٥٠.

(٢) سليمان بن صرد الخزاعي: هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة الخزاعي، كان اسمه يسارا، ولما أسلم سماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) سليمان، شهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) صفين، وكان ممن كاتب الحسين بن علي يسأله القدوم إلى الكوفة، تولى أمر حركة التوابيين بغية التكفير عن خذلناهم للحسين بن علي بعدما قدم الكوفة، فقُتل على يد الجيش الأموي سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وكان له من العمر ثلاث وتسعين سنة. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص١٤٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٥٤٨.

(٣) خريسات، الدولة الأموية، ص١٩٣.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٥؛ البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠١م). تاريخ بغداد. تحقيق: بشار عواد، ج١، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ٢٠٠١م، ص٥٦٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٥٤٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٦٤٣.

(٥) المسيب بن نجبة الفزاري: هو ابن ربيعة بن رياح بن عوف بن هلال، شهد القادسية، وشهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الجمل وصفين، وكان أحد قادة التوابين، قُتل في معركة عين الوردة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص٣٣٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٢، ص٧٢١.

(٦) عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي: الشامي، من أزد شنوءة، واحدا من رؤساء الكوفة، خرج مع سليمان بن صرد يطلبون بثأر الحسين بن علي، وآلت إليه القيادة بعد مقتل سليمان، وظل يقاتل حتى قُتل . انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٢٥٨.

(٧) لم أقف على ترجمة له.

(٨) رفاعة بن شداد البجلي: شهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يوم الجمل، وهو من رؤساء التوابين، حضر معركة عين الوردة، وعاد بمن بقي بعد المعركة إلى الكوفة، وقُتل بعد ذلك مع المختار الثقفي. انظر: الأمين، محسن. أعيان الشيعة. تحقيق: حسن الأمين، ج٧، د.ط، د.ن، د.م، ١٩٨٣، ص٣١.

(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٨؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٠٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٢.

(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٦٥-٣٦٦؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٢؛ البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٥٦٤.

كل هذا والحركة في طي الكتمان والسرية، يشحذون الهمم، ويجمعون الأعداد حولهم حتى تحين الفرصة لإعلان المعارضة، فاستجاب لهم الكثيرون من الشيعة وغير الشيعة، من داخل الكوفة وخارجها، فقد وجه سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان في المدائن[١] يدعوه هو وأتباعه إلى الانضمام إليهم والطلب بدم الحسين، كما كتب إلى المثنى بن مخربة العبدي[٢] ومن معه من شيعة البصرة فأجابوه[٣]، وبعد مضي ثلاث سنوات من تشكيل الحركة حانت الفرصة لإعلان المعارضة على قتلة الحسين بن علي وعلى الدولة الأموية، وذلك بعد موت الخليفة الأموي يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٤م، فبعد موته اضطربت الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية، وتنازل معاوية بن يزيد عن كرسي الخلافة في دمشق، وامتدت الثورة الزبيرية حتى وصلت العراق، وتمردت البصرة على واليها عبيدالله بن زياد، وثار أهل الكوفة وطردوا عمرو بن الحريث المخزومي عامل عبيدالله بن زياد أمير العراق، وبايع أشراف الكوفة لعبدالله بن الزبير الذي أرسل إليهم عبدالله بن يزيد الأنصاري[٤] واليا[٥]، كل هذه التغيرات التي حدثت خاصة ما حدث في الكوفة كان في صالح التوابين، فالوالي الجديد من قبل عبدالله بن الزبير أعطاهم الحرية في الدعوة إلى حركتهم، وللانتقام من قتلة الحسين طالما أنهم لم يثوروا ضده، بل دعاهم للخروج ومقاتلة عبيدالله بن زياد الذي كان يتقدم نحو الكوفة على رأس جيش كبير للاستيلاء عليها[٦]، فعبدالله الأنصاري رأى أن يستغل حركة التوابين في مواجهة العدو المشترك بينه وبينهم وهم الأمويين بدلا من إثارة الكوفيين عليه وإضاعة الوقت في مواجهتهم، هذه السياسة من عبدالله الأنصاري أتاحت الفرصة لسليمان بن صرد وأتباعه في التوسع وحرية الدعوة إلى حركتهم، وتمت المراسلات مع خارج الكوفة في كل من المدائن والبصرة، وجمع المال والسلاح، فزاد أنصارهم حتى بلغوا حوالي ستة عشر ألف رجل[٧]كانت بيعتهم التي بايعوا

---

(١) المدائن: عبارة عن سبع مدن، بناها ملوك الفرس بين دجلة والفرات، فُتحت على يد سعد بن أبي وقاص زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص ص٧٤-٧٥.

(٢) المثنى بن مخربة العبدي: كان من أصحاب الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) . انظر: ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: ليفي بروفنسال، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٨٢.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٦؛ الطبري، المصدر السابق، ص ص ١٠٤٩-١٠٥٠؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص ص٢٠٥-٢٠٦؛ ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). تجارب الأمم وتعاقب الهمم. تحقيق: سيد كسروي، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠٣م، ص٧٠.

(٤) عبدالله بن يزيد الأنصاري: هو عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين بن عمرو بن الحارث بن خطمة، شهد الحديبية مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولاه عبدالله بن الزبير الكوفة. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٦، ص ص٥٦٠-٥٦٢.

(٥) ابن خياط التاريخ، ص١٦١؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٦؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥١.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٦٧-٣٦٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٦٨؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٠؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٥.

عليها "كتاب الله، وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل بيته، وجهاد المحلين والمارقين، ورد الأمر إلى أهل بيت رسول الله"[1] وكان شعارهم " يالثارات الحسين".

لكن ما لبث أن حدث الخلاف بين أتباع الحركة أنفسهم، فقد أشار عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي على سليمان بن صرد أن يبدأوا حركتهم بالاستيلاء على الكوفة، وقتل عمر بن سعد بن أبي وقاص ورؤساء القبائل وأشراف الكوفة الذين تواطئوا مع السلطة الأموية في قتل الحسين بن علي، ولكن سليمان بن صرد خالف هذا الرأي، ورأى أن عددهم قليل لا يسمح لهم في جعل أشراف الكوفة يكونوا ضدهم، ورأى أن يكون قتالهم في ذي بدء ضد القيادة التي بأمرها قُتل الحسين بن علي وهم الأمويين، وعلى رأسهم عبيدالله بن زياد[2]، وبذلك يكون قد اتفق رأي سليمان بن صرد مع رأي عبدالله بن يزيد الأنصاري والي الكوفة في مواجهة الأمويين، وحانت الفرصة المناسبة لإعلان المعارضة وإظهار الثورة ضد قتلة الحسين بن علي، وكان الاتفاق من قبل على أن يجتمع التوابون وأنصارهم في شهر ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م في معسكر النخيلة، ولكن سليمان بن صرد تفاجأ بوجود أربعة آلاف مقاتل فقط من بين ستة عشر ألف مؤيد بايعوا من قبل، وكان السبب في تناقص الأعداد المؤيدة لسليمان بن صرد هو ظهور المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة وتثبيطه لهذه الجموع بحجة أن سليمان رجل كبير في السن، ولا يملك أي خبرة عسكرية[3]، ومحاولته جمع المؤيدين حوله ليقود المعارضة ضد قتلة الحسين بن علي بدلا من سليمان بن صرد[4]، ولكن على الرغم من خذلان هؤلاء لسليمان بن صرد إلا أنه حاول كسبهم مرة أخرى، فأرسل أصحابه إلى من تخلف عنه يذكرهم بما أعطوه من العهود والمواثيق، فخرج إليه حوالي ألف رجل وخطب فيهم سليمان خطبة محاولا إثارة الحماس الديني لديهم، وعندما علم والي الكوفة عبدالله بن يزيد بخروج سليمان بن صرد وأتباعه توجه إليه وعرض عليه البقاء في الكوفة وعدم الخروج، وأن يقاتلا كجيش واحد ضد عبيدالله بن زياد، وعرض عليه خراج جُوخا[5] ولكن سليمان بن صرد رفض هذا العرض[6]؛ وربما كان الدافع وراء رفض سليمان لعرض والي الكوفة هو أن سليمان لا يعترف بخلافة عبدالله بن الزبير، ويرى أنه مغتصب للخلافة من آل البيت أيضا حاله كحال الأمويين، فلم يكن يحبذ وضع يده في يد والي ابن الزبير.

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥١.
(٢) ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص ص٧٣-٧٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٦.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥١.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٢.
(٥) جُوخا: اسم نهر وعليه كورة واسعة في سواد بغداد. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٩.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦١.

على الرغم من تأخر وصول شيعة المدائن وشيعة البصرة في الوقت المحدد سار سليمان بن صرد بمن معه يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م حتى وصلوا إلى كربلاء، وأقاموا عند قبر الحسين يوماً وليلة، وازدحم الناس على القبر يترحمون ويستغفرون ويعترفون بخطيئتهم حتى كان الزحام على القبر كما يقول أبو مخنف أشد من ازدحام الناس على الحجر الأسود[١]، وكأن تجمعهم حول القبر سيمنحهم النصر، ويخفف عليهم ما أثقلت به صدورهم من الشعور بالذنب والتقصير، بعدها واصلوا مسيرهم حتى انتهوا إلى قريقسيا وفيها زفر بن الحارث الكلابي الذي كان معارضا للأمويين ومبايعا لعبدالله بن الزبير، فساعدهم على معرفة تحركات عبيدالله بن زياد الذي كان في ذلك الوقت قد وصل إلى الرقة[٢]، وعرض عليهم زفر مساعدته، ولكن عرضه قوبل بالرفض أيضا، ولعل رفض سليمان لعرض زفر بن الحارث يعود لنفس الأسباب التي رفض فيها عرض والي الكوفة من قبل، وهو عدم اعترافه بخلافة ابن الزبير، ودلالة واضحة على عدم خبرته العسكرية، وعدم استغلاله للظروف والمواقف من أجل تحقيق هدفه، ثم نصحهم زفر أن يتقدموا إلى عين الوردة ويجعلوا المدينة في ظهورهم فيضمنوا الماء والكلا، ويكون ما بين المدينة وقريقسيا آمنا لهم، فعملوا بنصيحة زفر بن الحارث[٣] وتوجهوا لعين الوردة وعسكروا فيها خمسة أيام لتبدأ بعدها المعركة في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥م، والتي استمرت حتى يوم الجمعة، فكانت معركة لم يستطع فيها سليمان بن صرد الصمود في وجه الجيش الأموي الذي كان يفوقهم في العدد، وقتل سليمان بن صرد ولم ينج إلا عدد قليل تمكن من الهروب إلى قريقسيا، وبعدها التقوا بأصحابهم شيعة المدائن والبصرة الذين وصلوا في الوقت الضائع فعادوا أدراجهم كل إلى مصره[٤]، وقد سر عبدالملك بن مروان بهذه الهزيمة التي لحقت بسليمان بن صرد وأتباعه[٥].

بعد العرض الموجز لمجريات حركة التوابين يجب توضيح طبيعة هذه الحركة والأهداف التي سعت إلى تحقيقها، ومن هم المشاركين في هذه الحركة، وأسباب الهزيمة، بالإضافة إلى ما هي النتائج التي خرجت بها هذه الحركة:

إن حركة التوابين قد رفعت الشعار الديني والثأر للحسين بن علي بهدف جمع المؤيدين حولها، فاستغلت المشاعر والعواطف لتجذب الناس إليها، وقد نجحت في ذلك كما وضحنا سابقا فقد التف حولها الشيعة حتى من خارج الكوفة، ولكن لم يكن الهدف الديني هو السبب الوحيد في

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٢.
(٢) الرقة: مدينة على الفرات. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٩.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٤.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٢.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٨.

معارضة التوابين كما يقول ولهاوزن Wellhausen[1]، فقد كان هناك هدفا سياسيا مستترا أتّضح من المطالب التي قدمها التوابون بعد اصطدامهم بالجيش الأموي، حيث طلب أصحاب سليمان بن صرد من أهل الشام أن يسلموا إليهم عبيدالله بن زياد فيقتلوه، وأن يخلعوا عبدالملك بن مروان، وعلى أن يطرد عمال عبدالله بن الزبير من الكوفة، ويبايع بالخلافة إلى رجل من آل البيت[2]، كذلك أن بيعة سليمان بن صرد قد جاء فيها **"البيعة على كتاب الله، وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل بيته، وجهاد المحلين والمارقين، ورد الأمر إلى أهل بيت رسول الله"** فهذه البيعة تعكس بالإضافة إلى الهدف الديني هدفين سياسيين، وهما محاربة الأمويين الذين أحلوا قتل آل بيت الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإقامة خلافة علوية، فالتوابون لم يعترفوا بابن الزبير الذي أعلن نفسه خليفة وبايعته معظم أقاليم الدولة[3]، وقد وجدت الحركة تأييد بعض فئات قبائل خزاعة والأزد وتيم اللات وهمدان وبكر بن وائل وبجيلة وعبد القيس وفزارة، بالإضافة إلى القراء والقصاص أمثال رفاعة بن شداد البجلي، وأبو الجويرية العبدي[4] الذين أثاروا الحماس الديني للمحاربين[5]، ولا يعرف بالضبط مدى مساهمة الموالي في هذه الحركة فقد ذهب ولهاوزن Wellhausen أن الموالي لم يشتركوا في هذه الحركة[6]، ولكن لا يمكن استبعاد مشاركة الموالي في حركة التوابين؛ فالمولى كان ملزما أن يتبع سيده في وقت الحروب وأن يحارب إلى صفه[7].

ولحقت الهزيمة بالتوابين بعد صدامهم بالأمويين نتيجة الفرق في العدد بين الطرفين على الرغم أن ولهاوزن Wellhausen يرى أن العدد الذي بقي مع سليمان بن صرد كان كافيا للقتال[8]، ولكن الفارق الكبير بين العدد الذي بايع لسليمان بن صرد وهو ستة عشر ألف وبين العدد الذي اشترك فعليا في القتال وهو أربعة آلاف مقابل عشرين ألف[9] أو ثلاثين ألف[10] في الجيش الأموي كان له التأثير على المقاتلين الذين أحسوا بالضعف نظرا لقلة عددهم، ولتأخر وصول المؤيدين لهم من المدائن والبصرة، فكان سببا كافيا للتأثير على نفسية المقاتلين

---

(١) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص١٨٩.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧١.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٣.
(٤) أبو جويرية العبدي: هو عيسى بن أوس بن عصية، من بني عامر، شاعر متمكن، يعد من شعراء عبد القيس في العصر الأموي، عاش في خراسان والعراق والكوفة، أكثر شعره في مدح الوالي الأموي على خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري، توفي أبو الجويرية سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م. انظر: الآمدي. أبو القاسم الحسن (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م). المؤتلف والمختلف. تحقيق: كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت: ١٩٩١م، ص٩٩ ؛ المعيني، عبد الحميد. شعراء عبد القيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي. د.ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت: ٢٠٠٢م، ص٧١.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٦٥.
(٦) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية ، ص١٩٤.
(٧) المقداد، محمود. الموالي ونظام الولاء. ط١، دار الفكر، دمشق: ١٩٨٨م، ص٢٦٥.
(٨) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص١٩٤.
(٩) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٢.
(١٠) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٢.

وهزيمتهم، ولسوء حظ سليمان تواجد المختار الثقفي الإنتهازي المغامر الذي أخذ يشيع أن سليمان بن صرد رجلا كبيرا في السن يفتقر للخبرة العسكرية[1]، وكان لهذه الاختلافات بين الزعامات المؤيدة للمعارضة ضد الأمويين دور في فشل حركة التوابين أيضا، ولكن على الرغم من الهزيمة في القتال إلا أن حركة التوابين قد خرجت بعدة نتائج منها أنها مهدت لثورة تبنت نفس الشعار الديني "يا لثارات الحسين" وهي ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والتي استفادت كثيرا من الأخطاء التي وقعت فيها حركة التوابين[2]، كما أنها كانت سببا في زيادة الأحقاد بين الكوفة وأهل الشام والأمويين[3]، واستمرار التعبير عن الندم والشعور بالذنب بممارسات شيعية كزيارة قبر الحسين والترحم عليه.

٣- حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي

أ- سيرته

المختار هو ابن أبي عُبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي[4]، كنيته أبو إسحاق، وأمه دومة بنت عمرو بن وهب بن معتب[5]، كانت من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل[6]، ولد في السنة الأولى للهجرة في الطائف[7]، والمختار ينتمي إلى قبيلة ثقيف، القبيلة التي ترتبط بصلة النسب مع قبيلة قريش[8]، والتي كان لها مكانة كبيرة في منطقة الحجاز منذ العصر الجاهلي، أما العائلة التي ينتسب إليها المختار فكونها من قبيلة ثقيف يكفيه مكانة في النسب العربي، فوالده أبو عبيد اعتنق الإسلام، وأصبح أحد قواد الجيوش في الفتوح الإسلامية، وقد تسلم قيادة الجيش في معركة يوم الجسر أو قُس الناطف[9] ضد الفرس زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واستشهد في هذه المعركة سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م[10]، وكان أول قتيل في هذه المعركة[11]، وقد حضر المختار هذه المعركة مع والده وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ولكنه لم يشترك في القتال؛ فقد منعه عمه سعد

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥١.
(٢) دكسن، عبد الأمير. "من حركات المعارضة الدينية السياسية في العصر الأموي". المجلة التاريخية، العدد٢، بغداد: ١٩٧٢م، ص١٤٩.
(٣) خريسات، الدولة الأموية، ص١٩٤.
(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ص٢٥٦-٢٥٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١١٧؛ العسقلاني، الإصابة ، ج١٢، ص٤٣٦.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٥.
(٦) كحالة، المرجع السابق، ج١، ص٤٢١.
(٧) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). صفة جزيرة العرب. تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء: ١٩٩٠م، ص٢٣٣.
(٨) المصدر نفسه، ص٢٦٠.
(٩) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي، حدث في هذا الموضع معركة بين المسلمين والفرس زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان القائد فيها أبو عبيد الثقفي والد المختار الثقفي، وقد لحقت الهزيمة بالمسلمين بعد أن قُتل قائدهم أبو عبيد الثقفي. انظر: ابن خياط، التاريخ، ص ص٦٦-٦٧؛ الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٩.
(١٠) النمري، المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٦.
(١١) الدينوري، المصدر السابق، ص١١٣.

بن مسعود الثقفي[١] الذي كان أيضا له مكانة في التاريخ الإسلامي فكان أحد أصحاب الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقد ولاه على المدائن.

وبطبيعة الحال إن المعلومات المتوفرة عن حياة المختار في مطلع حياته إنما هي معلومات يسيره[٢]، ولكن ذلك لا يعني أن المختار لم يكن له حضور سياسي كما يدعي ولهاوزن Wellhausen[٣]، فقد كبر المختار وأصبح له مكانة اجتماعية وسياسية كبيرة، حيث كان ذا شخصية قوية، وواحدا من أهل الفضل والخير[٤]، وعندما حدث من أمر حجر بن عدي الكندي في الكوفة ضد زياد بن أبيه طلب زياد من أهل الكوفة الشهادة ضد حجر بأنه خلع الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وفرّق الجماعة، ودعا إلى الحرب، وكان المختار من ضمن الرجال القلة الذين رفضوا الشهادة ضد حجر، فقد هرب المختار ولم يدلِ بشهادته حيث تمكن من مراوغة زياد بن أبيه فيما طلب[٥]، ولم يتعرض له زياد بأذى وهذا يدل على أن المختار كانت له مكانة اجتماعية، فكانت شهادته مهمة بالنسبة لزياد، كذلك إن المختار ارتبط بالمصاهرة مع أسر وقبائل كانت لها مكانتها الاجتماعية في الدولة، فقد تزوج "أم ثابت"[٦] بنت سمرة بن جندب نائب زياد بن أبيه على البصرة [٧]، و"عمرة" بنت النعمان بن بشير الأنصاري، وتزوج أخته عبدالله بن عمر بن الخطاب[٨].

أما ما يخص مكانته السياسية فإن تأثير البيئة التي نشأ فيها المختار انعكست على دوره السياسي، فقد نشأ في بيت يسوده شجاعة الأب القيادي، والأم ذات الرأي والعقل والفصاحة، كلها مقومات دفعت المختار ليكون ذات شخصية قوية مستقلة بذاتها، كما أن نشأته هذه طبعت فيه مبادئ الشجاعة، والجرأة، والطموح، وأكسبته شخصية كان لها بصمة خاصة على الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية منها:

- كانت أولى مبادرات المختار السياسية في زمن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م وبعد أمر التحكيم، حيث خرج جماعة من الخوارج

---

(١) سعد بن مسعود الثقفي: هو عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولاه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعض أعماله، وشارك سعد مع علي بن ابي طالب في صفين. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٤٥٩؛ العسقلاني، الإصابة، ج٤، ص٣٠٢.
(٢) دكسن، الخلافة الأموية، ص٥٨.
(٣) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص١٩٧.
(٤) النمري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٢.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٢٦٣؛ الطبري، المصدر السابق، ص٩٤٢.
(٦) لم أقف على ترجمة لها.
(٧) ابن الأثير، الإصابة في تميز الصحابة، ج٤، ص٤٦٥.
(٨) ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٢٠.

يريدون المدائن، وكان عليها سعد بن مسعود الثقفي عم المختار، فخرج سعد لمطاردة الخوارج وجعل المختار نائبا عنه في المدائن[١].

- في زمن معاوية بن أبي سفيان تحلى المختار بالشجاعة والجرأة، ورفض طلب زياد بن أبيه في الشهادة ضد حجر بن عدي وأصحابه، والذي شهد ضدهم أهل الكوفة وأشرافها وكان سببا في مقتله.
- في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان أظهر المختار ذكر الحسين بن علي في البصرة، فسجنه عبيدالله بن زياد وجلده مائة جلدة، ثم بعث به إلى الطائف[٢].
- كان للمختار دور كبير في أحداث سفير الحسين مسلم بن عقيل، فقد إختار مسلم بيت المختار بعد توجهه إلى الكوفة[٣]، وكان السبب وراء اختياره لبيت المختار من بين البيوت جميعا هو المصاهرة بين المختار والنعمان بن بشير الأنصاري والي الكوفة، فالمختار زوجا لعمرة بنت النعمان[٤]، وبذلك يكون مسلم قد ضمن الأمان فلا يمكن لوالي الكوفة أن يضره بشي وهو في بيت صهره، وما عرف عن هذا الوالي من سياسة اللين والتسامح[٥]، كما أن عداء المختار للأمويين[٦] كان سببا آخر في اختيار مسلم لبيت المختار، وبذلك ضمن مسلم بن عقيل العمل بحرية بعد مبايعة المختار له[٧]، وقد خرج المختار مع مسلم بعدما علم بخروجه على الأمويين، فأمر عبيدالله بن زياد بسجنه فسجن[٨].
- خرج المختار ليحارب دفاعا عن الكعبة مع عبدالله بن الزبير ضد الجيش الأموي زمن الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م[٩].

على الرغم من أن المختار في هذه الفترة حاول الوقوف موقفا حياديا[١٠] دون إظهار التحيز الواضح لشيعة علي أو للأمويين، ولكن مواقفه السابقة تظهر ميولا شيعيا ضد الدولة

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص٨٦٨.
(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٦، ص٤٩٢.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٦؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٣٢؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٥، ص٣٣؛ الدواداري، أبو بكر بن عبدالله. كنز الدرر وجامع الغرر. تحقيق: جونهيلد جراف، ج٤، د.ط، المؤسسة الجامعية، بيروت: ١٩٩٤م، ص١٤٩.
(٤) عمرة بنت النعمان: هي عمرة بنت النعمان بن بشير بن سعد الأنصارية، شاعرة، أمها ليلى بنت هانئ الكندي، تزوجها المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقتلها مصعب بن الزبير بعد أن رفضت البراءة منه. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٦٩، ص ص٢٩٤-٢٩٥.
(٥) يقول ابن الأثير في النعمان بن بشير:" كان حليما ناسكا يحب العافية". انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٨٦؛ ويقول ابن كثير: "كان يضرب صفحا ولا يعبأ به". انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٦١.
(٦) فوزي، فاروق عمر. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين. ط٢، مكتبة النهضة، بغداد:١٩٨٥م، ص٤٠.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٦.
(٨) المصدر نفسه، ص٣٧٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٥.
(٩) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٧.
(١٠) فوزي، التاريخ الإسلامي، ص٤٠.

الأموية خاصة مؤازرته لحركة مسلم بن عقيل ومبايعته له[1] وخروجه مع من خرج، وربما يعود ذلك إلى موقف عبيدالله بن زياد الوالي الأموي من المختار وسجنه له.

إن هذه المشاركات السياسية المختلفة للمختار تعكس شخصيته الانتهازية، فهو يستغل الفرص المواتية لصالحه، وساعده على ذلك ما كان يتمتع به من كفاءة وقدرة سياسية، وشخصية يمكن الوثوق فيها والاعتماد عليها، أضف إلى ذلك أن الحالة الاقتصادية التي تمتع بها المختار من امتلاكه للأراضي الزراعية والمماليك أعطته "**متسع من الوقت للتفرغ للنشاطات السياسية**"[2] فقد كانت له قرية كاملة اسمها "لقفا" في منطقة خطرنية[3]، كل هذه العوامل جعلت المحدثين يعتبرون المختار واحدا من دهاة العرب إضافة إلى معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه[4].

ب- مبادئه (الغلو)

عُرف أصحاب المختار الثقفي الذين ساندوه في حركته ضد الدولة الأموية وأظهروا معه التشيع لعلي بن أبي طالب باسم المختارية[5]، وقد أشارت المصادر إلى أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي بمسميين دون التمييز بينهما وهما المختارية أو الكيسانية، فالنوبختي يذكر أن هناك فرقة قالت بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية) عُرفت هذه الفرقة باسم الكيسانية، وهم المختارية نسبة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان يلقب بكيسان، وتولى الثأر للحسين وقتل قتلته، وأن ابن الحنفية هو الذي أمره بذلك وسماه كيسان، فالمختار وصي وعامل لمحمد بن الحنفية، وأتباعه هم المختارية الخلص[6]، كما يذكر الحميري أن كيسان هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأن علي بن أبي طالب هو من سماه بذلك[7].

ووصفت المبادئ التي قامت عليها حركة المختار الثقفي بـ" الغلو" ويقصد بالغلو هو المبالغة في الشي ومجاوزة الحد المعقول[8] ويقول عمرو بن هند: "**وجار أكثر الشيعة عن منهج الشريعة واتخذوا الغلو دينا، والسب خدينا، كم ينتظر لهم إمام غائب، ولم يؤب من سفر المنون آيب، وطال**

---

(١) النويري، المصدر السابق، ج٢١، ص٣.
(٢) فوزي، نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، ص١٠٠.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٦؛ الطبري، المصدر السابق، ص ١٠٥٤.
(٤) الخربوطلي، علي حسني.١٠ ثورات في الإسلام. ط٣، دار الآداب، بيروت:١٩٨٦م، ص١٢٥.
(٥) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. مراجعة: علي سامي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة:١٩٣٨م، ص٧٢.
(٦) النوبختي، المصدر السابق، ص٣٨.
(٧) الحميري، أبو سعيد نشوان (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م). الحور العين. تحقيق: كمال مصطفى، ط٢، دار آزال، بيروت: ١٩٨٥م، ص٢٣٦؛ الكشي، المصدر السابق، ص١٢٧.
(٨) مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، مادة: غ ل ل ، ص٦٦٠.

انتظار السبئية لعلي، وأتت فيه السحابية بالكفر الجلي، وأخرجته إلى الربوبية من الانسانية كما فعلت في أئمتها الكيسانية"[١].

ويمكن أن نجمع المبادئ التي قامت عليها المختارية "الكيسانية" في التالي:

- القول بإمامة محمد ابن الحنفية، فهو الإمام المهدي، ووصي لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأن الحسن والحسين ابنا علي (رضي الله عنه) خرجا على الدولة الأموية بأمر من ابن الحنفية، وأن كل من خالفه فهو كافر، والمختار الثقفي مجرد عامل لدى ابن الحنفية خرج بأمره للثأر من قتلة الحسين بن علي[٢]، ومن الواضح أن اختيار المختار الثقفي لمحمد ابن الحنفية هذه المرة- بعد فشل محاولاته في عرض خدماته على ابن الزبير وغيره- من بين أفراد آل البيت لم يكن اختيارا عشوائيا؛ فقد عرف المختار مكانة ابن الحنفية بين الناس، فهو أبرز أولاد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكان يُفضله، ولا يرضى التمييز بينه وبين أخوته في الأعطية[٣]، وكان يقدمه على الحسن والحسين في مواطن الشجاعة والحرب[٤]، أضف إلى ذلك علمه فكان من سادة الطبقة الأولى من التابعين، وكان معروفا بالفقه[٥].
- التكفير بكل من جاء بعد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من الخلفاء، وتكفير أهل صفين والجمل[٦].
- الإيمان "بالرجعة"، وأن ابن الحنفية سيعود بعد موته هو وشيعته، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا[٧].
- ادعى المختار النبوة[٨]، وزعم أن جبريل يأتيه، وينزل عليه قرآنا[٩].

---

(١) الحميري، المصدر السابق، ص٣٠٥.
(٢) النوبختي، المصدر السابق، ص٣٧؛ ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م).الفصل في الملل والأهواء والنحل. تحقيق: محمد إبراهيم وآخرون، ج٤، ط٢، دار الجيل، بيروت:١٩٩٦م، ص١٥٩؛ الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٦٢.
(٣) ذكر البلاذري أن يزيد بن قيس عامل الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أرسل هدية إلى الحسن والحسين ابنا علي، ولم يرسل لابن الحنفيه، فغضب علي بن ابي طالب من فعله، وبعد أن علم يزيد بن قيس بغضب الخليفة أرسل هديته إلى ابن الحنفية. انظر: البلاذري، المضدر السابق، ج٢، ص٣٩٦.
(٤) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٤، ص ص١٧١-١٧٢.
(٥) الشيرازي، أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م). طبقات الفقهاء. تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت:١٩٧٠م، ص٦٢.
(٦) النوبختي، المصدر السابق، ص٣٣.
(٧) الشهرستاني، المصدر السابق، ص١٤٥؛ الحميري، المصدر السابق، ص٢٣٦.
(٨) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). تأويل مختلف الحديث. تحقيق: أبو أسامة سليم بن عيد، ط٢، دار ابن القيم، الرياض: ٢٠٠٩م، ص١٥٨؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٨؛ الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م). التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. تحقيق: محمد زينهم محمد، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهر: ١٩٩٣، ص٢٠.
(٩) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص١٥٨؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٠٠؛ النوبختي، المصدر السابق، ص٣٤؛ الحميري، المصدر السابق، ص٢٣٦.

- القول بأن الدنيا غير فانية[1]، وضعف الاعتقاد بوجود يوم القيامة.
- الدين هو طاعة رجل[2]، مما حمل البعض على ترك الأركان (الفرائض) الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل.
- تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها[3]، وتفسيرها تفسيرا فاسدا يخالف ما جاء في القرآن والسنة، وإتباع الرأي والهوى في تفسيرها.
- القول بجواز البداء على الله، والبداء هو ظهور الرأي بعد أن لم يكن، وهو تغير الرأي عما كان عليه في الأول[4]، أو بمعنى أن الله قد يفعل فعلا ثم يبدو له خلافه فيغيره – تعالى الله عما يقولون- فقد أوّلوا ذلك من قوله تعالى: **"يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"**[5]، فقد كان المختار يدّعي العلم بما سيحدث في المعارك، إما بوحي يوحى إليه أو برسالة من الإمام، فإذا صدق قوله بين أصحابه كان حجة له على صدق دعوته، وإذا حدث العكس كان رده: **"قد بدا لربكم"**[6] فينسب ذلك إلى تغير الله في مشيئته - تعالى الله عن ذلك-
- عدم التفريق بين البداء والنسخ فجواز النسخ في الأحكام أجاز البداء في الأخبار[7].
- أن الإمام لا يضر به السلاح[8]، فيذكر الرازي أن محمد بن الحنفية عندما علم بأمر المختار الثقفي وأنه يدعو الناس إلى الضلالة أراد المسير إليه، وعلم المختار بذلك فنادى في الناس: **"يا قوم قد ذكر أن إمامكم قد قصد نحوكم، ومن إمارات الإمام أن لا يؤثر فيه السيف، فإذا أتى فجربوا هذا"**[9] وهذا دليل واضح على أن المختار شخص انتهازي وينافق في سبيل تحقيق طموحه الشخصي.
- أوجد "تأويلات فاسدة ومخاريق مموهة"، ومنها الكرسي فكان عند المختار كرسي غطّاه بالديباج وزينه، وادعى أن هذا الكرسي لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكان يحمله معه في حروبه ويقول لأتباعه أن هذا الكرسي بمنزلة التابوت لبني إسرائيل[10] فيه السكينة،

---

(١) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٤٥؛ الحميري، المصدر السابق، ص٣١٤.
(٢) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ص١٤٥.
(٤) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). تفسير الفخر الرازي. ج١٨، ط١، دار الفكر، بيروت: ١٩٨١م، ص١٣٥.
(٥) سورة الرعد، الآية ٣٩.
(٦) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٤٧.
(٧) المصدر نفسه، ص١٤٧.
(٨) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م). الأوائل. تحقيق: محمد السيد الوكيل، ط١، دار البشير للثقافة والعلوم الاسلامية، القاهرة:١٩٨٧م، ص٣١١.
(٩) الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٦٢.
(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٣؛ العسكري، المصدر السابق، ص٣١٢؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ١٤٧؛ الحميري، المصدر السابق، ص٢٣٧.

وأن الملائكة ينزلون بالمساعدة لهم من فوقهم[١]، فكانوا يطوفون بهذا الكرسي يستنصرون به[٢]، ومن مخاريقه أيضا أن الملائكة يظهرون فوقهم على صورة حمَام أبيض[٣].

إنَّ المبادئ التي قامت عليها حركة المختار الثقفي أعطاها طابع التميز، فالمختار أوجد بِدعا وآراء دينية كانت ذو حدين في حركته، فمن ناحية كانت هذه المبادئ سببا في انجذاب "الضعفاء" العامة من الناس حول المختار لِما رأوا في هذه البدع والأمور الغيبية من وسيلة لخروجهم من حياة البؤس والضعف التي يعيشونها أي بمعنى أنه استطاع أن يُكوّن من الضعفاء "قبيلة روحية"[٤]، ومن ناحية أخرى ستكون هذه البدع سببا في تخلي أصحاب المختار وأتباعه عنه، وبالتالي سببا في سقوطه وفشل حركته - كما سنوضح لاحقا.

ج- طبيعة حركته

إن شخصية المختار الطموحة وأسلوب المراوغة قادته إلى تشكيل حركة أراد منها تحقيق أهدافه الشخصية أولا مع استغلال الظروف والأوضاع القائمة في تلك الفترة، فالمختار أراد أن تكون له مكانة سياسية بين أقرانه الذين لا يزيدون عليه بشيء - عبدالله ابن الزبير، وعبدالملك بن مروان- وهذا يتضح من قوله: **"إنما أنا رجل من العرب، رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ومروان على الشام، ونجدة على اليمامة[٥]، فلم أكن دون أحدهم"**[٦] ومطالبه من ابن الزبير **"ألا تقضي الأمور دوني، وعلى أن أكون في أول من تأذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك"**[٧]، ورأى المختار أن الموالي وضعفاء العرب قد ساءت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية مع ازدياد نفوذ الأشراف وتوسع صلاحياتهم، فانتهز الفرصة وأخذ يدعو إلى حركة ضد الأمويون وضد الأشراف (الطبقة الأرستقراطية) وليس كما يرى نيكلسون Nicholson بأنها حركة ضد العرب جميعا[٨]، وقد غطى المختار حركته بغطاء ديني، وذلك حتى يجذب إليه الضعفاء الذين لم يبقَ لديهم سوى أمل التعلق بالغيبيات لعلها تخرجهم من أوضاعهم السيئة، فانضم إليه عدد من العرب والموالي، كما يرى فلوتن Vloten أن جُل أتباع المختار كانوا من الموالي[٩]، ويعود مشاركة الموالي في هذه الحركة إلى المعارضة التي يكنها هؤلاء للأشراف، فطبقة الموالي

---

(١) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٤٧.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص٢٣٧.
(٣) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص ص١٤٧-١٤٨.
(٤) الجابري، محمد عابد. العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته. ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت:٢٠٠٤م، ص٢٨٥.
(٥) اليمامة: عُرفت قديما باسم جوا، بينها وبين البحرين حوالي عشرة أيام، وقاعدتها حجر. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٤٢.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٤٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١١٢؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٨.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص ١٠٥٧.
(5) Nicholson, Reynold Alleyne. A literary history of the Arabs. Cambridge University Press, London:1914, p219.
(٩) فلوتن، فان. السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية. ترجمة: إبراهيم بيضون، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت:١٩٩٦م، ص٤٣.

تعاني من تسلط أسيادها، وانضمامها إلى المختار سيضمن لها التخلص من هذه السيطرة[١]، كما أن الدافع الاقتصادي كان سببا رئيسيا في مشاركة الموالي في حركات المعارضة، أضف إلى ذلك سهولة تطويع الموالي، وإغوائهم في الانضمام لأي حركة معارضة[٢]، كلها أسباب جعلت الموالي ينضمون لهذه الحركة ولغيرها من حركات المعارضة، وليس كما يدعي اليوزبكي أن انضمام الموالي لحركة المختار كان بهدف استرجاع سيادتهم والقضاء على السيادة العربية[٣]، فقد انضم إلى حركة المختار أعداد من العرب أيضا، خاصة أولئك الذين حركتهم العصبية القبلية[٤]، وعلى أي حال فقد التقت مصالح المختار مع مصالح هؤلاء الضعفاء من العرب والموالي ليتمكن من تشكيل أول حكم شيعي[٥]، وقد استطاع أن يستقطب الأتباع من خلال المغالاة في شخصية الإمام، ولقب نفسه بأمين ووزير آل البيت، وأنه جاء للأخذ بثأر الحسين بن علي، وفي حقيقة الأمر هي ليست إلا حركة تعبر عن الرأي السياسي، والمعارضة السياسية للأمويين والأرستقراطيين[٦]، حركة خالفت الدين والدولة[٧]، فمخالفتها للدين جاءت من خلال المبادئ التي أشاعها المختار والتي اتسمت بالغلو، وهو ما جعل أتباعه في النهاية يتخلون عنه، ومخالفتها للدولة بالمشاركة في النزاع القائم على كرسي الخلافة في ذلك الوقت مع عبدالملك بن مروان وعبدالله بن الزبير.

٤- علاقة المختار بعبدالله بن الزبير

بعد وقوف المختار إلى جانب مسلم بن عقيل، ونفي عبيدالله بن زياد له من الكوفة توجهت أنظار المختار الثقفي نحو الحجاز حيث عبدالله بن الزبير، ولم يكن المختار في هذه الفترة شيعيا بسياسته وفكره[٨]، ولعل توجه المختار إلى ابن الزبير على الرغم من امتلاكه للقوة العسكرية آنذاك[٩] يعود إلى أنه لم يكن في ذلك الوقت من الشيعة العلويين من هو مستعد لمؤازرته لمصلحته[١٠]، خاصة بعد فشل التوابين في حركتهم ضد الأمويين، أضف إلى ذلك أن معظم أقاليم الدولة الإسلامية قد بايعت لابن الزبير الذي دعا إلى نفسه بعد وفاة يزيد بن معاوية، وكان مسير المختار لابن الزبير هي البدايات الأولى لتوجهه ضد الدولة الأموية، فلم يكن في رأس المختار في تلك الأثناء سوى الانتقام من والي الأمويين عبيدالله بن زياد، الذي حبسه وشتر عينه

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص٧٩.
(٢) الفاعوري، أمجد ممدوح. دور الجماعات غير العربية في الإدارة والجيش الأموي. د.ط، دار زهران، عمّان: ٢٠٠٩م، ص١٠٤.
(٣) اليوزبكي، توفيق سلطان. تاريخ أهل الذمة في العراق. ط١، دار العلوم، الرياض:١٩٨٣م، ص٣١٠.
(٤) عاقل، المرجع السابق، ص١٥٠.
(٥) فلوتن، المرجع السابق، ص١٦١.
(٦) ظهير، إحسان. الشيعة والتشيع. ط١٠، دار السلام، الرياض:١٩٩٥م، ص١٨٦.
(٧) ولهاوزن، يوليوس. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية. ترجمة وتعليق: محمد عبد الهادي، د.ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٩٦٨م، ص٢٤٧.
(٨) فوزي، التاريخ الإسلامي ، ص٤٠.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٧ .
(١٠) فوزي، التاريخ الإسلامي ، ص٤١.

وليس الأخذ بثأر الحسين[1]، وما يثبت ذلك أن بعد خروج المختار من الكوفة، وفي طريقه إلى الحجاز التقى برجل يسمى ابن العرق مولى لثقيف فسأله عن عينه وكان جوابه: **"قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إربا إربا"**[2]، فالمختار كان مستاء من معاملة ابن زياد وحبسه له، ولولا شفاعة عبدالله بن عمر لظل في محبسه[3]، وكان التقاء المختار بابن العرق فرصة للمختار ليعرف أخبار الحجاز وأخبار عبدالله بن الزبير، وكان المختار في الوقت نفسه قد حسم رأيه وموقفه من عبدالله بن الزبير من خلال قوله لابن العرق في رأيه عن عبدالله: **"إنه رجل العرب اليوم، أما إنه يخطط في أثري ويسمع قولي أكفه أمر الناس، وإلا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب"**[4] وهذه المقولة تعكس ثقته العالية بنفسه وغروره وطموحه الواسع، وأنه لا يفكر سوى في مصلحته الشخصية، وفي تحقيق أهدافه وبدون مساعدة من أحد، وذهابه لابن الزبير ليس إلا عرض للتعاون ضد الدولة الأموية، وقد وصل المختار إلى مكة وقابل عبدالله بن الزبير الذي كتم عنه أمره، ورفض أن يسلم المختار شيئاً من الأمر[5]، فخرج المختار إلى الطائف وبقي فيها مدة سنة كاملة، ثم عاد إلى مكة بعد أن بايع الناس لعبدالله بن الزبير، ولم تكن عودة المختار الثقفي من الطائف إلى مكة مرة ثانية أمر صدفة؛ فالمختار علم باقتراب جيش الشام الذي أُرسل لمقاتلة عبدالله بن الزبير، وأدرك حاجة عبدالله له في هذا الوقت[6] فاستغل الفرصة وذهب إلى مكة مبايعا لعبدالله وفق شروط قد وضعها مسبقا وهي: **"أبايعك على ألا تقضي أمرا دوني، وعلى أن أكون أول من تأذن له، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك"**[7].

وافق عبدالله بن الزبير على شروط المختار ليضمن وقوف المختار إلى جانبه، واشترك الطرفان في قتال الحصين بن نمير السكوني قائد يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وأثار الثقفي الحماس بين المقاتلين[8]، وأبدى الكثير من الشجاعة والقوة، حتى أن عبدالله بن الزبير قال: **"ما أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت فإني لم أر أشجع منه قط"**[9]، وبعد فك الحصار عن مكة لم يلقَ المختار من عبدالله سوى التهميش، مما أدى ذلك إلى امتعاضه، وخروجه من الحجاز متجها إلى الكوفة التي كانت قد أعلنت ولاءها لابن الزبير[10].

---

(١) أبو الشعر، هند. حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة. د.ط، د.ن، الأردن:١٩٨٣م، ص١٩٤.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٥؛ الدواداري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٩.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٥.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٦.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٨.
(٦) صرح بذلك إلى جلسائه في المسجد فقال: "والله إنه إلى لأحوج مني إليه". انظر: المصدر نفسه، ص٣٧٨.
(٧) المصدر نفسه، ص٣٧٨.
(٨) المصدر نفسه، ص٣٧٩؛ الطبري، المصدر السابق، ١٠٥٧؛ التميمي، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٤.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٦٠.
(١٠) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٧؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٠٧.

لم يجد المختار الثقفي عند عبدالله بن الزبير ما يحقق هدفه، فالمختار لم يكن يرضى أن يكون تابعا لعبدالله بن الزبير، وأراد أن يشاركه دورا قياديا في مواجهة عدوهم المشترك وهي الدولة الأموية[1]، وهذا يعكس سوء الرأي لديه؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك ربانيين في سفينة واحدة، كما كان المختار يرى أنه يستطيع الاعتماد على نفسه دون مساعدة من عبدالله بن الزبير، ودون أن يكون تابعا له، وربما يكون عبدالله بن الزبير قد فطن إلى مبتغى المختار وطموحه، لذلك عمد إلى تهميشه بعد أن ضمن مبايعته له، فكان المختار أكثر فطنة منه وترك ابن الزبير واتجه إلى الكوفة.

خرج المختار من الحجاز إلى الكوفة، وبعلم من ابن الزبير الذي لم يمنعه من الخروج[2]؛ ربما لأن ابن الزبير لم يكن يعلم أن خروج المختار هذه المرة بهدف تشكيل سلطة خاصة به، وكان المختار في طريقه يسأل المارة عن الكوفة وحال أهلها، فكان الجواب: "**إلا أن طائفة من الناس، إليهم عدد أهل المصر، لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض**"[3] كما كان جواب أحدهم: "**الناس كغنم ظل راعيها**"[4]، ويبدو أن المختار قد خطط مسبقا في تشكيل سلطة خاصة به، نستشفها من جوابه "**أنا لها إذ ليس لها أحد غيري، أنا راعيها إذا أظل راعيها**"[5]، "**أنا ملاح السفينة**"[6]، " **انا أقتل بهم كل جبار عنيد**"[7].

كان مسير المختار إلى الكوفة دون غيرها يعود إلى عدة عوامل تجمعت في الكوفة وساعدته على اختيارها من بين الأقاليم، منها أن المختار يعد من أشراف الكوفة وله مكانته الاجتماعية والسياسية فيها، وأن العراق هي موضع القلاقل والاضطرابات والتذمر ضد الأمويين، فأراد أهل الكوفة الحفاظ على عاصمة الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كمركز للخلافة والتي قد نقلها الأمويون إلى دمشق، وفي الكوفة يرفع شعار الثأر للحسين بن علي، أضف إلى ذلك أن سكان الكوفة خليط من عناصر كثيرة من عرب وفرس وسريان وأنباط ومسيحين ويهود وهذا يعني اختلافات حضارية وعقائدية ودينية[8] يمكن استغلالها، ولا يوجد

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٨.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٥٣.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص ص ١٠٥٧-١٠٥٨؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٠٧.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٨.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٧٩.
(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص١٠٠.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٨؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٠٧.
(٨) دكسن، الخلافة الأموية، ص٧٨.

قائد فذ يأخذ بيد هؤلاء الجماعة ويقود معارضتهم للدولة الأموية[1]، لذلك سار إليها المختار وكان لا يرى أحد في طريقه إلا بشره بالنصر القريب والفتح العاجل[2].

٥- علاقة المختار الثقفي بآل البيت (ابن الحنفية، وأبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية)

أ- المختار وابن الحنفية

وصل المختار إلى الكوفة في رمضان سنة ٦٤هـ/ ٦٨٤م، ودار على الشيعة يدعوهم إلى ابن الحنفية، حيث كانت أول خطبة له: **"إن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني إليكم أمينا ووزيرا، ومنتخبا وأميرا، وأمرني بقتال المحلين، والطلب بدماء أهل بيته الطيبين"**[3]، وقد تزامن قدوم المختار مع التفاف الشيعة حول سليمان بن صرد، الذي عزم على الأخذ بثأر الحسين، ولكن غرور المختار وعدم محبته أن يكون تابعا جعله يحبط الناس عن الانضمام إلى سليمان ، مما جعل الناس يلتفون حوله، ولكن سجن والي الزبير للمختار ساعد سليمان بن صرد فلم يشكل له عقبه، حيث رماه عبدالله بن يزيد الأنصاري في السجن عندما علم عن أمره ونواياه[4]، فتشفع له صهره عبدالله بن عمر، وأخرجه من السجن، وأخذ أعداد الشيعة في تزايد يبايعون للمختار الثقفي، في الوقت الذي عزل فيه عبدالله بن الزبير واليه على الكوفة عبدالله بن يزيد الأنصاري، وولى عبدالله بن مطيع بن الأسود، وكان المختار قد وضع يوما اتفق فيه مع شيعته على الوثوب بالكوفة، ولكن الشك راود جماعة منهم انطلقت إلى ابن الحنفية ليأخذوا بالخبر الأكيد، فكان جوابه أن قال: **"فوالله لوددت أن الله انتصر لنا بمن شاء من خلقه"**[5] ففسروا جوابه بأنه هو من أرسل المختار، وربما ابن الحنفية وقتها كان يقصد أنه يريد الانتقام من قتلة الحسين، ولكنه لم يوضح أنه أرسل المختار، فقد أراد أن يحفظ نفسه من الأمويين، وفي الوقت نفسه لا يلتزم مع حركة المختار الثقفي، فكان جوابه هذا يشوبه شيء من الإبهام والغموض، وساعد رده هذا على أن يصبح المختار الثقفي أول من ينال الرئاسة بالحيلة[6].

ولكن لماذا وقع اختيار المختار الثقفي على ابن الحنفية بالذات؟ وما هو موقف ابن الحنفية من دعوة المختار باسمه؟

إن إدراك المختار الثقفي لتوجه أنظار الشيعة إلى محمد ابن الحنفية كان سببا في بث الدعوة باسمه، فلم يكن في البيت العلوي من هو من نسل فاطمة، وفي عمر مناسب يلتف حوله

(١) بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة: نبيه أمين وآخرون، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت:١٩٨٦م، ص١٣٢.
(٢) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٠.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٠.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨١؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٨.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٨.
(٦) العسكري، المصدر السابق، ص٣١١.

الشيعة غير ابن الحنفية، فهو أكبر العلويين سنا[1]، وابن الحنفية هذا رجل لم تكن له مشاركات سياسية من قبل[2]، سوى مشاركته في قتال جيش الشام أيام يزيد بن معاوية بعد إلحاح عبدالله بن مطيع وعبدالله بن عمر[3]، فعداؤه للدولة الأموية كان أكثره قولاً دون فعل[4] فهو لا يطمح للخلافة[5]، أضف إلى ذلك إلى أن ابن الحنفية لم يبايع لعبدالله بن الزبير[6]، ومواقفه المبهمة وغير الملتزمة دائما[7]، ومحاولة المختار تكوين حزب شيعي باسم علي بن الحسين (زين العابدين) ورفضه، فقد أرسل المختار إلى علي بن الحسين بعد أن خلع ابن الزبير طالبا منه أن يأخذ البيعة باسمه، ولم يكتفِ بذلك بل أرسل إليه المال لإغرائه، ولكن علي بن الحسين رفض طلب المختار ورفض ماله أيضا[8]، كلها أسباب دفعت أنظار المختار للتوجه إلى محمد بن الحنفية.

وتختلف المصادر والمراجع حول رأي ابن الحنفية من أخذ المختار للبيعة باسمه، فالبعض يرى أنه كان مؤيداً، والبعض الآخر يرى أنه معارض، ولكن مما لا شك فيه أن ابن الحنفية لم تكن له ثقة بأهل الكوفة الذين خذلوا أباه وأخاه من قبل، أو ربما قد خشي ابن الحنفية بطش ابن الزبير به إن هو أظهر تأييده للمختار[9]؛ لكونه يعيش تحت ظل ابن الزبير في الحجاز مع جماعة من بني هاشم.

ب- المختار وأبي هاشم عبدالله بن محمد (ابن الحنفية)

تولى محمد بن أبي الحنفية الدعوة إلى نفسه بعد فشل الشيعة بقيادة المختار الثقفي، فأخذ يدعو إلى نفسه سرا، وانتقلت الدعوة إلى آل البيت من الصورة العلنية والقتال المسلح إلى مرحلة التقية والكتمان، ثم أوصى ابن الحنفية إلى ابنه عبدالله المعروف بأبي هاشم الذي واصل أمر الدعوة، وبويع له بالإمامة، فأسس فرقة شيعية عرفت بالهاشمية[10]، ثم أوصى أبو هاشم هذا إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس[11] فانتقلت الحركة الهاشمية إلى دعوة عباسية بقيادة

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٦٢؛ دفتري، فرهاد. الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم. ترجمة: سيف الدين القصير، ط١، دار الساقي، بيروت:٢٠١٢م، ص١١٩.
(٢) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٨.
(٣) المقريزي، تقي الدين (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م). المقفى الكبير. تحقيق: محمد اليعلاوي، ج٦،ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩١م، ص٢٨٢.
(٤) فوزي، التاريخ الإسلامي، ص٤١.
(٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص١٠٠.
(٦) التميمي، المصدر السابق، ص٢٧٦.
(٧) فوزي، التاريخ الإسلامي، ص٤٢.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٥٤؛ الكشي، المصدر السابق، ص١٢٨.
(٩) ماجد، عبد المنعم. التاريخ السياسي للدولة العربية. ط٨، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة:١٩٩٨م، ص١٠٢.
(١٠) النوبختي، المصدر السابق، ص٤٤.
(١١) محمد بن علي بن عبدالله بن العباس: ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، كان وصي لأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، توفي في خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص ص٤٧٠-٤٧١.

العباسيين الذين نجحوا في تشكيل دولة خاصة بهم، قضت على الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، لذلك لا يمكن أن ننكر دور المختار الثقفي، وآراءه التي استفادت منها الفرقة الهاشمية في المرحلة الأولى من الدعوة كثيرا، وربما كان فشل حركة المختار في الكوفة يعود إلى أن الوقت لم يكن مناسبا بعد لمثل هذه الأفكار والمبادئ[١].

لكن على الرغم من وجود التشابه في المبادئ وبعض الآراء إلا أن ذلك لا يعني أن الحركتين اعتمدتا على الموالي كعنصر رئيسي كما يدعي ولهاوزن Wellhausen[٢]، إن المختار أخطأ عند اعتماده على الموالي في حركته، ومعاداته لطبقة الأشراف في الكوفة فهم رأس القوة والنفوذ، ولكن الدعوة العباسية لم تكرر هذا الخطأ، بل على العكس فقد أدركت أهمية العرب، لذلك كان جل اهتمامها بعرب خراسان كقوة ضاربة، وتركت الظروف الاجتماعية والاقتصادية تتدخل في انضمام الموالي إليها أو عدم انضمامهم.

٦- المواجهة بين المختار الثقفي ومصعب بن الزبير

كان أتباع المختار الثقفي يرون أن انضمام إبراهيم بن مالك بن الاشتر إلى حركة المختار سيعطي الحركة زيادة في القوة، فإبراهيم هذا واحد من أصحاب النفوذ والمكانة في الكوفة[٣]، آثر عدم الانضمام إلى سليمان بن صرد الخزاعي وإلى المختار من قبل ربما لأنه لم تكن لديه الثقة بهذين الزعيمين، واعتبر نفسه من القدرة والكفاءة ما يجعله محل هؤلاء الزعماء، فهو مساو لهم في المكانة[٤]، في حين يرى ولهاوزن Wellhausen أن ابن الأشتر لم يكن لديه إيمان بالحركة الشيعية أساسا[٥]، لذلك لم ينظم إليهما من قبل، وما يؤكد وجهة النظر الأولى أنه بعد أن طلب المختار من إبراهيم الانضمام إليه للأخذ بثأر الحسين بن علي وافق شرط أن تكون له قيادة الحركة[٦]، وكان المختار يرى ضرورة انضمام ابن الأشتر إلى حركته، لذلك ادَّعى أن رسالة كُتبت من ابن الحنفية لابن الأشتر يدعوه فيها للانضمام إلى المختار وحركته[٧]، جاء في هذه الرسالة: **"من محمد المهدي بن علي إلى إبراهيم بن مالك أما بعد: فإني بعثت إليكم المختار بن أبي عبيد نصيحي ووزيري، وثقتي وأميني المرضي عندي للطلب بدماء أهل بيتي فانهض معه بنفسك وعشيرتك وأتباعك ومن أطاعك فإنك إن نصرتني وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة ولك الأعنة والمنابر وكل بلد ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام"**[٨]، إن معظم المصادر التاريخية تشكك في صحة

---

(١) فوزي، التاريخ الإسلامي، ص٥٢.
(٢) ولهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٤٧٧.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٥؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٣٨٢؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٨.
(٤) دكسن، الخلافة الأموية، ص٧٣.
(٥) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص٢٠٥ .
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٥؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٩.
(٧) الدينوري، المصدر السابق، ص ص ٢٨٣-٢٨٤.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٨٥-٣٨٦.

هذه الرسالة؛ لأن الرسالة التي استلمها ابن الأشتر كان الختم فيها حديثا[1]، وترى هند أبو الشعر أن المختار كان لديه الوقت ليضع الختم على الرسالة من قبل[2]، وفي الحقيقة نرى بناء على شخصية المختار الثقفي الانتهازية أنه قد زور الرسالة بالفعل، فهو لم يكن يعرف مطالب ابن الأشتر من قبل، ولم يكن لديه الوقت ليرسل إلى ابن الحنفية بأمر ابن الأشتر ومطالبه، فالطريق من الكوفة إلى الحجاز كان يستغرق أكثر من عشرة أيام، والمختار تمهل ثلاثة أيام فقط بعدما علم بمطالب ابن الأشتر، أضف إلى ذلك أن رسالة ابن الحنفية قد جاءت متضمنه لمطالب ابن الاشتر، مما يعني أنها كتبت بعد اللقاء مع ابن الأشتر ومعرفة رأيه، ولا ننسى الشك الذي راود ابن الأشتر بعد قراءته للرسالة، فقد كان على تواصل مع ابن الحنفية من قبل، وأسلوب رده كان يختلف كثيرا هذه المرة عن المرات السابقة[3].

وبعد هذه الرسالة التي تثبت أن المختار كان صاحب حيلة ومراوغة، وعلى الرغم من الشكوك التي ساورت ابن الأشتر في البداية حول مصداقية الرسالة إلا أنه بايع المختار الثقفي بعد شهادة جماعة من أصحاب المختار بأن الكتاب من ابن الحنفية، فأصبح ابن الأشتر يحضر الاجتماعات في بيت المختار الثقفي، وتم الاتفاق على أن يكون يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٦هـ/٦٨٥م[4] هو اليوم الموعود للخروج.

ساور الشك عبدالله بن مطيع من الاجتماعات المتكررة في بيت المختار، فأرسل قوته وشرطته فالأسواق والنواحي مراقبة، وتأهبا لأي طارئ قد يحدث، وبالفعل قد حدث ما كان يخشاه عبدالله بن مطيع فبينما إبراهيم بن الأشتر متوجها إلى بيت المختار هو وحوالي مائة من أتباعه لقي إياس بن مضارب[5] صاحب شرطة عبدالله بن مطيع، وبعد مجادلة بينهما قتل ابن الأشتر إياس بن مضارب وشرطته، وأكمل مسيره إلى بيت المختار حاملا معه رأس إياس بن مضارب، فكان هذا الفعل من ابن الأشتر سببا في إعلان الثورة قبل موعدها[6]، ولكن ابن سعد يروي سببا آخر لإعلان الثورة قبل موعدها وهو أن عبدالله بن مطيع أمر إياس بن مضارب أن يأتيه بالمختار، فقبض عليه وسار به إلى القصر، فلحقته الشيعة واستنقذوه من أيديهم[7]، ولكن يبدو أن رواية ابن سعد ضعيفة لكونها الرواية الوحيدة، وأجمعت مع باقي الروايات حول مقتل صاحب شرطة عبدالله بن مطيع، والذي يبدو أنه هو السبب الرئيسي في إعلان الثورة، فقد أمر

---

(١) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨٢.
(٢) أبو الشعر، المرجع السابق، ص٢٠٨.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٦؛ الدواداري، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٢.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٨٦؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٠؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٣١.
(٥) لم أقف على ترجمة له.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٠؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص ص٢٣٢-٢٣٣.
(٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص١٤٧.

المختار أتباعه بإشعال النار في القصب دلالة على التجمع، وأمرهم النداء **"يا لثارات الحسين"** وبشعار **"يا منصور أمت"**[١]، وفي يوم الأربعاء الثالث عشر من ربيع الأول سنة ٦٦هـ/٦٨٥م تمكن المختار من تنظيم أتباعه، وعسكر بهم في دير هند[٢] في منطقة السبخة، وكان في جيشه جماعة من الموالي بلغ عددهم حوالي خمسمائة[٣]، وفي المقابل حشد الوالي عبدالله بن مطيع رجاله الذين بلغ عددهم حوالي عشرين ألف[٤]، وجعل شبث بن ربعي التميمي[٥] قائدا عليهم ودار القتال بين الطرفين، وكاد أتباع شبث بن ربعي أن ينهزموا لولا أن آثار شبث الحماس فيهم بقوله: **"يا حماة السوء بئس فرسان الحقائق انتم أمن عبيدكم تهربون"**[٦] فكان لهذا القول تأثير على الموالي أتباع المختار، الذين أخذوا يسقطون صرعا الواحد تلو الآخر، وكانت قوات الوالي تقتل كل أسير من الموالي، ويتركون الأسرى من العرب يفرون، فأصبح المختار في موقف حرج لولا نجدة إبراهيم بن الأشتر الذي كان مشغولا بقتال فرقتين من فرق العدو في المدينة، وما لبث أن وصل إبراهيم إلى المختار حتى لحقت الهزيمة بشبث بن ربعي وأتباعه، والذي أخذ في التراجع حتى وصل إلى المدينة، وتمكن إبراهيم من دحرهم، وهرب الوالي ومن معه من الأشراف إلى القصر، وحاصرتهم قوات المختار لمدة ثلاثة أيام، ثم هرب ابن مطيع من القصر والتجأ إلى بيت أبي موسى الأشعري[٧]، أما الأشراف فطلبوا الأمان من إبراهيم واستسلموا للمختار وبايعوه[٨].

كانت الهزيمة التي لحقت بقوات الوالي ابن مطيع سببا في زيادة أتباع المختار الثقفي، وساعد في ذلك امتعاض أهل الكوفة من سياسة ولاة ابن الزبير[٩]، وبعد هرب الوالي من القصر استولى المختار على القصر، وتلقى البيعة من الأشراف وغيرهم من العرب والموالي، وكانت

---

(١) يا منصور أمت: أي أقتل، والمنصور واحد من الألقاب المعروفة في جنوبي الجزيرة العربية، وهو المنقذ المنتظر الذي سيخرج لملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا، فهو شعار مهدوي استهوى القبائل اليمانية في حركة المختار فشكلوا أساس الحركة وقوتها. انظر: فوزي، فاروق عمر. دراسات في التاريخ الإسلامي. ط١، دار مجدلاوي، الأردن: ٢٠٠٦م، ص٣٧٢.
(٢) دير هند: من قرى دمشق. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص٥٤٣.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٣.
(٤) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٥.
(٥) شبث بن ربعي التميمي: ابن حصين بن عثيم بن ربيعة بن زيد بن رياح ، يكنى أبا عبد القدوس، أحد أشراف بني تميم، كان ممن خرج على علي (رضي الله عنه) ثم أناب ورجع عن ذلك. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص٣٣٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٨٢٠.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٢؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٦.
(٧) أبو موسى الأشعري: اسمه عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر، أسلم في مكة وهاجر إلى الحبشة، كان عذب الصوت بالقرآن، قال فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم): "أعطي مزمارا من مزامير آل داود"، وتوفي سنة٥٢هـ/٦٧٢م في خلافة معاوية بن أبي سفيان. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٤، ص ص٩٨-١٠٩.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٩.
(٩) عاقل، المرجع السابق، ص١٤٧.

بيعتهم على "كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم"(1)

بذلك يكون المختار قد تمكن من فرض سيطرته على الكوفة، فقد حصل على تأييد غالبية القبائل العربية في الكوفة، وشاركوا معه في الثورة كالنخع وهمدان ونهد وشاكر وخثعم وشبام وأسد وحنفية وعبس والأزد ومزينة وبكر واحمس(2)، وحاول المختار الاستيلاء على الكوفة دون إراقة للدماء وهذا يتضح منذ البداية، فقد أوصى قائده إبراهيم بن الأشتر بمحاولة تجنب قوات الوالي، وأن لا يحارب إلا إذا هوجم(3)، وبعد استيلاءه على الكوفة أخذ المختار بسياسة التسامح، وإشاعة العدل والأمن، فقد أرسل مائة ألف درهم إلى عبدالله بن مطيع الذي كان مختبأ في دار أبي موسى الأشعري، وطلب منه الخروج من الكوفة، فتوجه إلى البصرة حيث مصعب بن الزبير واليا لأخيه عبدالله بن الزبير عليها(4)، ومنع أصحابه من القتل(5)، كما أنه أظهر روح العدالة، فقد وجد في بيت مال الكوفة تسعة ملايين درهم قسمها بين الذين اشتركوا معه في الاستيلاء على القصر، وبين الذين انضموا إليه بعد ذلك، وقرب إليه الأشراف(6)، وأعطاهم مناصب مهمة، فكان استيلاء المختار على الكوفة يعني أن المختار حكم شرق العالم الإسلامي؛ لأن كل البلاد الواقعة إلى شرق الكوفة وشرق العالم الإسلامي كانت تابعة إداريا للعراق(7)، من خراسان وأصفهان والري مرورا بأذربيجان وأرمينية، وانتهاء بهمدان وأرض الموصل وأرض الجزيرة بأجمعها، وحدودها الجنوبية عند الجزيرة العربية والبصرة، وما جاورها من بلاد فارس، وحدودها الغربية بلاد الشام دولة بني أمية(8).

ولكون المختار رجلا سياسياً بامتياز أدرك كلّ الأدراك أن تصفية الأمر مع الأشراف الذين كانوا يتمتعون بكل الامتيازات في المجتمع الكوفي أمر سابق لأوانه، فالخطر الخارجي يتهدده، من الغرب دولة بني أمية التي أرسلت جيشا قويا لإعادة الكوفة والبصرة إلى حظيرة الدولة الأموية، وفي الجنوب عبدالله بن الزبير الذي فطن إلى أن المختار قد سلب منه أرض الكوفة، وطرد عامله عليها، وكان عليه أن يواجه المختار خاصة أن البصرة لا زالت في يده،

---

(1) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٥.
(2) ابن أعثم ، المصدر السابق، ج٦،ص٢٣٤-٢٣٥؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨٥.
(3) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨١.
(4) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٥؛ اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٦٣؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤١.
(5) بعد أن بايع المنذر بن حسان الضبي المختار الثقفي، قُتل هو وابنه من قبل أحد أتباع المختار المتحمسين، وعندما علم المختار بذلك لم يرض به. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٥.
(6) البلاذري، المصدر السابق، ج٦،ص٣٩٥؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٥.
(7) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٨م).عيون الأخبار، ج٢، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة:١٩٩٦م، ص٢١٤.
(8) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨٥؛ الطبري، المصدر السابق، ص ص١٠٨٥-١٠٨٦؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤١.

لذلك عمل المختار على تأمين الأوضاع الداخلية في الكوفة، وقرَّب إليه الأشراف وأعطاهم الامتيازات، حتى أن هذا الفعل كان سببا لغضب ابن الحنفية على المختار الذي لم يرضَ عن تباطأ المختار في أخذ الثأر من قتلة الحسين - أشراف الكوفة خاصة- فقال: **"يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساءه على الكراسي يحدثونه"**[1] وربما يكون بُعد النظر لدى المختار هو ما دفعه إلى ذلك، وفي نفس الوقت قد أثار هذا الفعل من المختار حفيظة الموالي، وظنوا فيه الظنون، واشتكوا إلى أبي عمرة كيسان زعيمهم وصاحب شرطة المختار، ولكن المختار كان يدرك كل الإدراك مشاعر الأشراف نحوه، وكان يتحين الفرصة للقضاء عليهم، وحاول المختار جاهدا أن يرجع للموالي الحقوق التي سلبها منهم الأشراف مع مرور الأيام، وحاول تطبيق مبدأ المساوة بين هذه الطبقة والموالي على الرغم من أن الإسلام عندما جاء ساوى بين الناس فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولكن تأصلت العصبية القبلية في هؤلاء الأشراف، مما أكره الموالي فيهم[2]، وجعلهم من ضمن القطاع المحروم في المجتمع، مثلهم كمثل غيرهم من العرب المحرومين أيضا[3]، وهذه المعاملة من قبل الأشراف تجاه الموالي بطبيعة الحال تعكس وجهة نظر الأشراف لا وجهة نظر الدولة الأموية عامة[4]، ويمكن اعتبار أن السبب الحقيقي حول انضمام الموالي إلى المختار هو محاولة منهم في تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية كغيرهم من الضعفاء العرب أيضا، إذ اشركهم المختار مع العرب في الفيء، وركوب الخيل[5] وعين كيسان أبو عمرة وهو مولى على حرسه[6]، ومنحهم الأعطيات، وقرب مجالسهم[7]، مما أدى إلى زيادة اتباعه من الموالي، فبعد أن كانوا خمسمائة في بداية الحركة، انضم إليه جميع الموالي الذين كانوا في الكوفة، خاصة بعد أن حقق انتصاراته، وفي الجانب الآخر قرب إليه العرب، وولاهم مناصب مهمة في الدولة، وولاهم مناصب قيادية، وبذلك تمكن المختار نسبيا من القضاء على الفوارق الاجتماعية[8]، وأن يحقق الموازنة والمساوة بين الطبقتين الاجتماعيتين.

تمكن المختار نسبيا من تأمين الأوضاع الداخلية في الكوفة، وأصبح عليه أن يوجه أنظاره إلى العدو الخارجي، وأن يحمي حدود كيانه، وكان يدرك أن الأمويين وابن الزبير لن يظلوا

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٠٥.
(٢) الفاعوري، المرجع السابق، ص١٠٦.
(٣) فوزي، التاريخ الإسلامي، ص٤٧.
(٤) الفاعوري، المرجع السابق، ص١١٨.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١١٠٨؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٦٠.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٩٥؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨٦.
(٧) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٩١.
(٨) ولهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٦٤.

ساكتين على سيطرته للكوفة، وكان أكثر ما يخشاه المختار هو ابن الزبير[1]، فلا ننسى أن المختار قد بايع لابن الزبير من قبل في الحجاز، لذلك هو يُعد الآن خارجا عليه، كما أن المختار قام بطرد عامل ابن الزبير على الكوفة، وحاول المختار أولا أن يتحاشى الاصطدام الدموي مع ابن الزبير[2]؛ حتى يوطد نفسه على الأقل، فأرسل إلى ابن الزبير رسالة بدون علم أصحابه ادَّعى فيها أن عبدالله بن مطيع قد كاتب عبدالملك بن مروان من ورائه[3]، كما جاء فيها: **"أما بعد فقد عرفت مناصحتي كانت لك، واجتهادي في طاعتك ونصرتك، وما كنت أعطيتني من نفسك، فلما وفيت لك خست لي، ولم تعترف لي بما عاهدتني، فكان مني ما كان فإن تراجعني أراجعك، وإن ترد مناصحتي أنصح لك"**[4] ويبدو أن ابن الزبير قد فهم من رسالة المختار التبعية والخضوع له، وليس كما تدعي صفاء الخطيب أنه كان غباء سياسياً من ابن الزبير[5]، فأرسل ابن الزبير عمر بن عبدالرحمن بن الحارث[6] واليا على الكوفة ومعه ثلاثين ألف درهم، وهنا تظهر حنكة المختار وحيلته فأرسل زائدة بن قدامة[7] إلى عمر بن عبدالرحمن بن الحارث مع سبعين ألف درهم وخمسمائة فارس، وطلب منه أن يعرض المال على عمر بن عبدالرحمن، فإن لم يقبل خوّفه بجيش الفرسان الذين معه، ولكن عمر بن عبدالرحمن قبِل المال، واتجه إلى البصرة خجلا من فعلته مع ابن الزبير.

كان على المختار هذه المرة أن يواجه ابن الزبير عسكريا ومن ناحيتين: البصرة والحجاز، فمن ناحية البصرة كان على المختار أن يفرض سيطرته عليها حتى يتمكن من تحقيق تبعية العراق والأقاليم الشرقية له، ثانيا أن البصرة تعتبر مصدر دخل قوي بالنسبة لابن الزبير، واستيلاء المختار عليها سيحرم ابن الزبير من هذا المصدر الغني، فلا يبقى لديه سوى الحجاز الفقير بمصادره، أضف إلى ذلك أن سيطرته على البصرة سيزيد من أتباعه، وبالتالي ستزيد قوته العسكرية[8]، والوقت كان مناسبا للمختار فجُل فرسان البصرة يقاتلون الخوارج بقيادة

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٥.
(٢) الخطيب، صفاء. دولة المختار الثقفي، ط١، دار العلوم، الرياض: ٢٠١١م، ص ٢٧١.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٤٧.
(٤) المصدر نفسه، ص٤١٥.
(٥) الخطيب، المرجع السابق، ص٢٧٢.
(٦) عمر بن عبد الرحمن: هو عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي، ثقة، روى عن جماعة من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولد في العام الذي توفي فيه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة ٢٣هـ/٦٤٤م. انظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: بشار عواد معروف، ج٢١، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٠م، ص٤٢٤.
(٧) زائدة بن قدامة: هو أبو الصلت، زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي، عرف عنه الصدق، وكان ثقة صاحب سُنة، قاتل الخوارج أيام الحجاج بن يوسف فقتله شبيب الخارجي سنة ٧٦هـ/٦٩٥م. انظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). تهذيب التهذيب. اعتنى به: إبراهيم الزيبق، ج١، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٥٩م، ص ص٦٢٠-٦٢١.
(٨) دكسن، الخلافة الأموية، ص٨٧.

المهلب بن أبي صفرة[١] في فارس، وعبدالله بن الزبير لا يستطيع إرسال جيشه إلى المختار؛ لأن عليه التأهب لمواجهة جيش عبدالملك بن مروان، وكان البصريون قد طردوا عبيدالله بن زياد، وبايعوا لعبدالله بن الزبير الذي ولى عليهم الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة[٢] المعروف بـ"القباع".

أرسل المختار المثنى بن مخربة العبدي ليدعو له في البصرة، وكانت الدعوة في ذي بدء دعوة سرية، حتى تمكن المختار من استلام زمام الأمور في الكوفة، فأعلن المثنى دعوته لتبدأ المواجهة بينه وبين والي ابن الزبير الحارث بن عبدالله، الذي تمكن من هزيمة المثنى وطرده من البصرة، فتوجه المثنى إلى الكوفة، وانضم إلى المختار الثقفي. وتعود أسباب فشل ثورة المثنى إلى قلة أتباعه[٣]، فالبصرة كانت عثمانية في ولائها السياسي، تتشكل من قبائل باهلة ذات الولاء الأموي، وتميم وبكر بن وائل والأزد وعبد القيس التي كانت تدين بالولاء إلى آل البيت، ووقفت إلى جانب المثنى[٤]، ولكن عددها كان قليلا لذلك لم تكن لها أهمية كبيرة في مجريات الأحداث السياسية[٥]، أضف إلى ذلك أن أهل البصرة عامة لم يكن لهم أي ولاء للأمويين، ولا لابن الزبير ولكنها كانت تفضل مصلحتها التجارية والمادية، فتنضم إلى من يدفع لها أكثر **"من عجل لنا بالنقد قاتلنا معه"**[٦].

بعد فشل الدعوة في البصرة وجه المختار أنظاره إلى الحجاز حيث عبدالله بن الزبير، وحاول المختار الوصول إلى الحجاز مرتين، الأولى كانت علانية، وابن الزبير على دراية بها أما المرة الثانية فكانت سرية، ففي المرة الأولى خشي المختار أن يداهم من قِبل جيش الشام ومن جهة البصرة، فيصبح بين فكي كماشة، لذلك آثر إظهار الميل لابن الزبير، وأرسل له رسالة يعرض فيها مساعدته له ضد جيش عبدالملك بن مروان، فالمختار انتهازي وهذا يعكس شخصيته السياسية، فجاء رد ابن الزبير: **"إن كنت على طاعتي فبايع لي وخذ بيعة من قبلك، فإنه إن جاءتني بيعتك صدقت مقالتك، وكففت الجنود عن بلادك، وسرح الجيش الذي أنت باعث به إلى وادي القرى ليلقوا بها من جند ابن مروان"**[٧] وهنا تأتي مكيدة المختار وحنكته، فقد وجدها الفرصة المناسبة

---

(١) المهلب بن أبي صفرة: هو المهلب بن ظالم بن سراق، يكنى أبا سعيد، أدرك الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولي خراسان سنة٨٣هـ/٧٠٢م، ثم ولى ابنه يزيد من بعده، فأقره الحجاج بن يوسف الثقفي. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص١٢٩.
(٢) الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي: المعروف بالقباع، يعده ابن سعد من التابعين من أهل المدينة، كان خطيبا من وجوه قريش، تولى البصرة لابن الزبير لمدة سنة ثم عزله، وتوفي الحارث سنة ٨٠هـ/٦٩٩م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص ص٣٢-٣٣؛ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م). البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج١، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٩٨م، ص١٩٦.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٧.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص٤١٦-٤١٧.
(٥) الخطيب، المرجع السابق، ص٢٧٥.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٨.
(٧) المصدر نفسه، ص٤١٩.

حتى يدخل جنده الحجاز، فأرسل جيشا من ثلاثة آلاف رجل أكثرهم من الموالي بقيادة شرحبيل بن ورس[1] للتوجه إلى الحجاز، وكانت خطته استيلاء شرحبيل على المدينة أولا، ثم التوجه إلى مكة حيث ابن الزبير، ولكن ابن الزبير فطن إلى هذه المكيدة من المختار، فأرسل من طرفه عباس بن سهل الساعدي[2] في ألفي رجل، وتقابل الجيشان في الرقم[3] قرب المدينة، وهُزم جيش شرحبيل بن ورس.

أما المرة الثانية وهي السرية فكانت بسبب تصرف غير منطقي من ابن الزبير، إذ عمد إلى تنفيذ عمل لم يكن في الحسبان، واتخذ قرارا ربما يمكن أن نطلق عليه رد فعل مستعجل وغير مدروس، فقد قرر أخذ البيعة من ابن الحنفية بالرضى أو بالقوة، ولكن ابن الحنفية رفض مبايعة ابن الزبير وكان جوابه: **"إذ لم يبق أحد من الناس غيري أبايعك"**[4] فما كان من ابن الزبير إلا أن حبس محمد ابن الحنفية ومعه عبدالله بن عباس وأربعة وعشرين رجلا من بني هاشم[5] وتوعدهم بالقتل والإحراق.

إن هذا الفعل من ابن الزبير ربما جاء من خوفه بعد أن فقد الكوفة وكثر أتباع المختار وشيعته، فخشي أن يلتفوا حول ابن الحنفية ويبايعوه فيفقد بذلك مركزه وبيعته، أضف إلى ذلك زيادة الضغط على ابن الزبير فقوات عبدالملك بن مروان التي تتقدم إلى الحجاز من ناحية، والمختار الثقفي الذي يحاول السيطرة على العراق من ناحية أخرى، ولكن ردة فعله هذه إنما كان قررا سريعا وغير صائب منه، فهو يعلم أن أتباع المختار كثر ولن يسكتوا.

وبالفعل قد حدث ما يخشى منه، فابن الحنفية اضطر بعد حبسه أن يطلب المساعدة والغوث من المختار الذي يدعو باسمه، وما أن وصلت رسالة ابن الحنفية إلى المختار حتى أدرك أنها فرصة ذهبية يستطيع أن يثبت بها تبعيته لابن الحنفية، وأنه وزيره وأمينه، ومناسبة حتى يثبت لابن الحنفية مدى إخلاصه للعلويين وللقضية العلوية، فأرسل أربعة آلاف رجل بقيادة أبا عبدالله الجدلي[6]، وأرسل معه المال الكثير لابن الحنفية، وقد تمكن هذا الجيش من دخول مكة

---

(١) لم أقف على ترجمة له.

(٢) عباس الساعدي: هو عباس بن سهل بن سعد الساعدي، أدرك الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وهو من رواة الحديث الثقاة، توفي سنة ٧٥هـ/٦٩٤م. انظر: ابن حبان، محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م). الثقات. مراقبة: محمد عبد المعيد خان. ج٥، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد:١٩٧٣م، ص ص٢٥٨-٢٥٩.

(٣) الرقم: موضع بالمدينة قريب من وادي القرى، تنسب إليه الرقميات، وكانت فيه وقعة لغطفان على عامر. انظر: البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق: مصطفى السقا، ج٢، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص٦٦٦؛ الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٥٨.

(٤) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٧.

(٥) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٦١.

(٦) أبو عبدالله الجدلي: اسمه عبدة بن عبد بن عبدالله بن أبي يعمر بن حبيب بن عائذ بن مالك بن وائلة بن عمرو، واسمه الحارث بن قيس وسمي الحارث عدوان، عرف عنه بأنه كثير التشيع لآل البيت، وكان على شرطة المختار الثقفي، أرسله إلى عبدالله بن الزبير ليدافع عن ابن الحنفية ويحميه مما أراد به ابن الزبير. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ٣٤٧.

وتخليص ابن الحنفية من سجن عبدالله بن الزبير، ليترك ابن الحنفية مكة متجها إلى الطائف بعد أن وزع المال الذي أُرسل إليه من المختار بين أصحابه[1].

وهنا يرد التساؤل ، لماذا لم يذهب ابن الحنفية إلى المختار الذي نصره وأرسل له من يخلصه من محبسه؟

نظرا لأن ابن الحنفية مثله مثل آل البيت عامة في تلك الفترة رجل مسالم يكره العنف، ويحب العيش بسلام فضل الابتعاد عن المشاكل، وعن التدخل في المواجهة بين المختار وابن الزبير، فاستنجاده بالمختار كان بمشورة من أصحابه، وربما لو وجد غير المختار ومن له القدرة على إنقاذه لأستنجد به، فهو لا يثق بالكوفيين عامة بعدما خذلوا والده وأخاه الحسين ولا يثق بالمختار خاصة[2]؛ فالمختار أشاع في الكوفة أن المهدي لا يضر به السلاح، فخشي ابن الحنفية أن يقتله الكوفيون[3]، وهنا تبدو انتهازية المختار وايثاره لمصلحته.

في الجانب الأموي تولى عبدالملك بن مروان زمام الأمور بعد والده، وكتب إلى عبيدالله بن زياد الذي خرج من قبل بأمر من مروان بن الحكم إلى العراق بمتابعة الخطى نحو العراق، لنرى أن عبدالملك بن مروان قد آثر القضاء على المختار قبل ابن الزبير ربما لأن الجيش فعلا قد خرج قبل توليه زمام الخلافة، أو لأنه أدرك مدى خطورة الحركة الشيعية التي نادى بها المختار، وسيطرته على الكوفة، أضف إلى ذلك إدراك عبدالملك بن مروان للمشاكل التي تواجه المختار من ناحيتين، ناحية ابن الزبير وناحية الأشراف[4]، ففضل أن يبدأ به وقد تمكن الجيش الأموي الذي بلغ نحو ثمانين ألف بقيادة ابن زياد من الوصول إلى الموصل في طريقه إلى الكوفة، فارسل عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني[5] والي الموصل إلى المختار يعلمه بعدم مقدرته على مواجهة الجيش الأموي، وأنه لجأ إلى تكريت[6]، فأرسل المختار جيشه بقيادة يزيد بن أنس الأسدي[7]، وتمت المواجهة بين الطرفين في العاشر من ذي الحجة سنة ٦٦هـ/٦٨٦م[8] وتمكن جيش المختار من الانتصار، وأسر العديد من أهل الشام الذين تم قتلهم

(١) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٤.
(٢) دكسن، الخلافة الأموية، ص٩٢.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٥١.
(٤) الخطيب، المرجع السابق، ص٢٩٠.
(٥) لم أقف على ترجمة له.
(٦) تكريت: بلدة بين بغداد والموصل. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٨.
(٧) لم أقف على ترجمة له.
(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٨٨.

بعد ذلك[1]، ولكن يزيد توفي في المساء بسبب مرض ألم به، مما أدى إلى تراجع جيش المختار خوفا من الأعداد الكثيرة للجيش الأموي.

وصلت الأخبار إلى الكوفة بانسحاب جيش يزيد من أرض المعركة، فأرسل المختار جيشا آخر بقيادة إبراهيم بن الأشتر لإكمال ما بدأ به يزيد بن أنس، فخرج ابن الأشتر في حوالي سبعة آلاف رجل على أن يضم معه من بقي من جيش يزيد بن أنس، وكان لخروج ابن الأشتر من الكوفة فرصة مناسبة للأشراف الذين استغلوا الموقف واستغلوا ضعف المختار، فقوة الشام متجهة إلى الكوفة، وابن الأشتر خرج من الكوفة، فوجدوا أنها الفرصة المناسبة للتمرد على المختار الذي طالما حملوا في قلوبهم ضده مشاعر الحقد والكراهية، خاصة بعدما جعل للموالي في الفيء نصيبا، وحاول مساواتهم مع أسيادهم[2].

علم المختار ما يحيكه الأشراف ضده، وحاول مواددتهم وكسب الوقت قليلا على الأقل حتى يعود إبراهيم بن الأشتر، ولكن الأشراف أدركوا أنها فرصتهم، فأعلنوا الخروج على المختار، ونقض بيعتهم له في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م[3]، وحاصروه في مركز المدينة، وكان المختار قد أرسل لإبراهيم بن الأشتر وطلب منه العودة إلى الكوفة بأسرع وقت ممكن، وحالما وصل الكتاب إلى ابن الأشتر قفل راجعا إلى الكوفة، وأنقذ المختار من أزمته التي وقع فيها، وقد تمكن المختار في مواجهته هذه مع الأشراف في معركة جبانة السبيع من تحقيق هدف حركته وهو قتل قتلة الحسين؛ حيث قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وشمر بن ذي الجوشن[4] وغيرهم ممن أشترك في قتل الحسين بن علي، كما هدم دورهم وأحرقها، وهرب من بقي من الأشراف إلى البصرة[5]، حيث سلطان ابن الزبير الذي عين أخاه مصعب واليا على البصرة، وكانت هذه المعركة في صالح المختار، فقد زاد عدد أتباعه[6]، خاصة من الموالي، وكسب رضا ابن الحنفية[7].

---

(١) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٠.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٩٤.
(٤) شمر بن ذي الجوشن الضبابي: من قبيلة بني كلاب من هوازن، اسمه ابن شرحبيل بن الأعور بن مسعويه، كان ممن بايع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وشارك في معركة صفين إلى جانبه، لكنه تمرد عليه في فتنة الخوارج وبعد ذلك أصبح من أمراء عبيدالله بن زياد، وشارك في قتل الحسين بن علي. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص٦٤٤-٦٤٥؛ القمي، عباس. سفينة البحار. ج٤، ط٢، دار الأسوة، طهران: ١٩٩٥م، ص٤٩٢.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٥٠٨؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٩٢؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص ٢٦٣؛ النويري، المصدر السابق، ج٢١، ص٢٥.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٥٤.
(٧) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٧.

بعد يومين من معركة جبانة السبيع[1] أرسل المختار إبراهيم بن الأشتر لمقاتلة الجيش الأموي بقيادة عبيدالله بن زياد، الذي كان في طريقه من الموصل إلى الكوفة، والتقى الطرفان في معركة الخازر، التي انتهت بانتصار جيش المختار ومقتل عبيدالله بن زياد وعدد من أشراف الشام، كالحصين بن نمير السكوني، وشرحبيل ذي الكلاع[2]، وكان لشجاعة إبراهيم وكفاءته العسكرية دور في نجاح المعركة، والحماس الديني للشيعة، والذي أثاره إبراهيم قبل المعركة، أضف إلى ذلك خيانة القيسيين لعبيدالله بن زياد، إذ انضموا إلى جيش ابن الأشتر انتقاما من الأمويين، ولما حدث لهم في مرج راهط[3]، ويرى خريسات أن لعوامل الطبيعة من شمس وغبار ساعدت جيش المختار على الانتصار[4].

بعد الانتصار الذي حققه ابن الأشتر للمختار آثر البقاء في الموصل بسبب امتعاضه من الآراء الدينية التي كان ينشرها المختار[5]، والتي تسير نحو الغلو والتطرف، كمسألة الحمامات البيض التي أشاع المختار بأنها ملائكة تساعدهم في قتال أهل الشام، والكرسي الذي يطوف حوله غلاة الشيعة لأخذ البركة والنصر، أو ربما قد تحقق لإبراهيم ما كان يرجوه من مساعدة المختار وهو ما وعده به ابن الحنفية في الرسالة المزورة "**ولك الأعنة والمنابر وكل بلد ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام**"[6] كل هذه الأمور كانت سببا في ابتعاد القائد الفذ إبراهيم بن الأشتر، وبالتالي سببا في فشل حركة المختار.

لم تنتهِ الأخطار التي واجهها المختار بانتصاره على جيش الشام، فكان عليه هذه المرة أن يواجه عبدالله بن الزبير الذي أرسل أخاه مصعب لقتال المختار الثقفي، فازدياد نفوذ المختار في الكوفة من ناحية، وتحريض الأشراف الذي فروا من الكوفة لمصعب مِن ناحية أخرى، أسباب دفعت مصعب للخروج إلى قتال المختار، وكان على رأس هؤلاء الأشراف شبث بن ربعي التميمي، ومحمد بن الأشعث الكندي[7]، ولم يوافق مصعب في بادي الأمر على قتال المختار إلا في حالة انضمام المهلب بن أبي صفرة إليه[8]، فالمهلب في فارس يقاتل الأزارقة

---

(١) ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣١٥.
(٢) شرحبيل ذي الكلاع: اسمه اسميفع أبو زرعة الحميري الحمصي، من سكان حمص، قدم دمشق مبايعا لابن الزبير، وقتل شرحبيل مع عبيدالله بن زياد يوم الخازر سنة ٦٦هـ/٦٨٥م . انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٢٢، ص ص٤٥٣-٤٥٤.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٤٩؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٥.
(٤) خريسات، الدولة الأموية، ص١٩٧.
(٥) فوزي، التاريخ الإسلامي، ص١١٠.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٨٥-٣٨٦.
(٧) محمد بن الأشعث الكندي: هو محمد بن قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، أمه أم فروة أخت لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وكان محمد يكنى بأبي القاسم، كان في مقدمة الجيش الذي أرسله مصعب بن الزبير لقتال المختار الثقفي فقتل محمد بن الأشعث وذلك سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٦٨؛ العسقلاني، الإصابة، ج١٠، ص٤٩٧.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٢٨؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٠٨.

ويمتلك قوة عسكرية هائلة، ومعدات قتال كثيرة، أضف إلى ذلك خبرته العسكرية في القتال، وقد وافق المهلب على الانضمام إلى جيش مصعب بعد أن ترك ابنه المغيرة نائبا عنه في فارس[١]، خرج جيش البصرة إلى الكوفة في منتصف سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م[٢]، والتقى بجيش المختار الذي كان بقيادة أحمر بن شبيط البجلي[٣]، ودارت بين الطرفين معركة المذار التي انتهت بهزيمة جيش المختار، ومقتل قائده أحمر بن شبيط، وعدد كبير من الموالي الذي اشتركوا في المعركة لكونهم ليسوا مقاتلة أشداء، وكان لهذه الهزيمة التأثير المعنوي الكبير على المختار فقد كانت "هزيمة قاتلة" أثرت حتى على أتباعه، إذ وعدهم بالنصر من قبل فقالوا: **"هذه المرة كذب"**[٤].

٧- نهاية المختار بن أبي عبيد الثقفي

استمر مصعب بن الزبير في تقدمه نحو الكوفة، وحاول المختار عرقلة وصوله[٥] ولكن دون جدوى، فحصَّن المختار المسجد والقصر، وعسكر في حروراء، تاركا عبدالله بن شداد الجشمي[٦] نائبا عنه في الكوفة، والتحم الفريقان في معركة حروراء، وألحقت الهزيمة بجيش المختار، الذي اضطر إلى الانسحاب والتراجع إلى القصر بعد ضغط أتباعه عليه[٧]، فاستمر مصعب في تقدمه نحو الكوفة وحاصرها، وقطع الماء والمؤنة عن المختار وأتباعه، وأحكم حصارهم، واستمر هذا الحصار مدة أربعة أشهر، ضجر فيها أصحاب المختار من طول الحصار، وأخذوا يتسللون من القصر الواحد تلو الآخر، ولم يبقَ معه إلا عدد قليل، فحث المختار من بقي معه على القتال، ولكن الأغلبية منهم آثر الاستسلام لمصعب بن الزبير، وخرج المختار في جماعة قليلة لم تتجاوز العشرين رجلا، فقاتلوا حتى قُتل المختار، وكان مقتله في الرابع عشر من رمضان سنة ٦٧هـ/٦٨٧م، وله من العمر سبعة وستون سنة[٨]، وأمن مصعب من بقي في القصر، ثم قتلهم بعد ذلك[٩]، فكان لفعلته هذه الأثر الكبير على الزبيريين، وسببا في انهيار جيش مصعب بن الزبير بعد مواجهته لجيش عبدالملك بن مروان، ولم يكتفِ مصعب بقتل أتباع المختار من الرجال، فقد أتى بحريم المختار، وطلب منهن البراءة من المختار ففعلن، إلا زوجتين له، وهما أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارية، وعمرة بنت النعمان بن بشير

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٢٩؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٨٥.
(٢) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص٢٢٧.
(٣) أحمر بن شميط البجلي: قائد من قواد المختار الثقفي، أرسله على رأس جيش لمقاتلة مصعب بن الزبير، والتقى الطرفان في المذار، فقتل ابن شميط وتفرق من معه. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ص٤١-٤٢.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١١٠٩.
(٥) نقل مصعب بن الزبير أصحابه في السفن عبر الفرات وعندما علم المختار بذلك نزل السيلحين، فسكر الفرات على مجتمع الانهار وذهب ماء الفرات في هذه الأنهار، وبقيت سفن أهل البصرة في الطين. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٠٩.
(٦) عبدالله بن شداد: هو عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي، فقيها روى عن عمر وعلي (رضي الله عنهما) وقد خرج عبدالله مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف الثقفي فقتل يوم دجيل. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص٢٤٧.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١١١٠؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٢٠.
(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١١١٥.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٤٤٢؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٣٠٠؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٩٣؛ المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). التنبيه والإشراف. د.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٩٨١م، ص٢٨٦.

الأنصارية، فسجنهما مصعب ثم كتب إلى أخيه عبدالله بخبرهما، وطلب عبدالله من مصعب قتلهما إن لم يرجعا عن أمرهما، فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه، ورفضت عمرة ذلك فقتلها مصعب، وكانت عمرة بنت النعمان أول امرأة ضرب عنقها صبرا[١]، وبذلك عادت العراق إلى سلطان ابن الزبير الذي بقي الهدف الأساسي لعبدالملك بن مروان.

إن فشل حركة المختار الثقفي تعود إلى أن المختار أبعد طبقة الأشراف العرب ذات النفوذ الكبير في المجتمع الإسلامي، وقرب إليه الضعفاء من العرب والموالي، وبالتالي لم يجد الدعم والسند الذي يحتاجه، بل على العكس من ذلك جعل الأشراف يقفون ضده ويحاربوه، هذا بالإضافة إلى أن المختار اتخذ من "الغاية تبرر الوسيلة" شعارا يحقق به طموحه السياسي فابتدع من المبادئ والأفكار ما لا يتناسب مع المجتمع في تلك الفترة[٢]، وقد بالغ في إيجاد "تأويلات فاسدة ومخاريق مموهة" جعلت القائد الكبير إبراهيم بن الأشتر يتخلى عنه وهو الذي حقق انتصارات كثيرة للمختار من قبل، وفضَّل إبراهيم التمتع بما أصبح في يده من ولاية الموصل، حتى أن المختار بعدما علم بتوجه جيش البصرة لمحاربته ظن أن إبراهيم بن الاشتر كان وراء هذا الجيش[٣]، كما اتضح لأهل العراق أن الهدف الحقيقي للمختار من وراء حركته كان هدفا سياسيا شخصيا ليس إلا، فهو لم يكن مخلصا للقضية الشيعية[٤]، وإنما تستر وراءها بهدف الوصول إلى الرئاسة.

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٦٤.
(٢) فوزي، فاروق عمر. الخلافة الأموية. ط١، دار الشروق، عمان:٢٠٠٩م، ص١٨٧.
(٣) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٢٨٦.
(٤) بطاينة، محمد ضيف الله. دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين. ط١، دار الفرقان، الأردن:١٩٩٩م ، ص٣٨٧.

الفصل الثاني: حركات الخوارج

١-الخوارج الأزارقة وموقف الخليفة عبدالملك بن مروان منهم.

٢-الخوارج النجدات وموقف الخليفة عبدالملك بن مروان منهم.

٣-الخوارج الصفرية وموقف الخليفة عبدالملك بن مروان منهم.

الفصل الثاني: حركات الخوارج

ضم مصطلح الخوارج جدلا تاريخيا كبيرا بين المؤرخين، بدأ هذا الجدل بالمعنى الاصطلاحي لكلمة الخوارج ليصل الاختلاف إلى الفرق المتفرعة والمنقسمة عن فرقة الخوارج فيما بعد[١]؛ حيث حملت كتب التاريخ العام وكتب الفرق الإسلامية معاني مختلفة لمصطلح الخوارج تباينت بين المدلول السياسي والمدلول الديني لهذه الكلمة، فيُعرِّف البعض الخوارج بالجماعة التي خرجت عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد قبوله بأمر التحكيم[٢]، ونادت لا حكم إلا لله، وتسموا باسم "المحكّمة"، وعُرفوا أيضا "بالحرورية" نسبة إلى قرية حروراء التي خرجوا إليها. ويعرف الشهرستاني الخارجي بكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة، سواء أكان هذا الخروج في عهد الخلفاء الراشدين أم بعدهم[٣]، ونرى التعريف يحمل مدلولا آخر حين يعرفه البعض بمعنى الخروج من الدين استنادا لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): **"إن ناسا من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية"**[٤]، أو بمعنى الجهاد في سبيل الله استنادا لقول الله تعالى: **" وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"**[٥] كما أرادت هذه الجماعة أن تميز نفسها وتسمت باسم "الشراة" أي أنهم اشتروا الآخرة بالدنيا.

من هنا نرى أن مصطلح الخوارج جاء بناء على تعدد الغايات والأهواء التي استخدم من أجلها، وشاع استخدام مصطلح الخوارج في مصادر كتب التاريخ على جماعة المحكّمة التي فارقت الخليفة علي بن أبي طالب بعد معركة صفين، فكثيرا ما نجد كلمة الخوارج مقترنة بكلمتي " المحكّمة"[٦] أو "الحرورية"[٧]، وكان استخدامها فيما يبدو بمعنى الخروج على الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ولكن البروز الفعلي لمصطلح الخوارج جاء في سنة ٧٢هـ/٦٩١م[٨] للدلالة على جماعة الأزارقة التي ساد الغلو والتطرف في تعاملها مع المعارضين[٩].

---

(١) هناك اختلاف كبير بين المؤرخين فيما إذا كانت الأباضية فرقة من فرق الخوارج، وسنوضح الاختلاف في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٢) النوبختي، المصدر السابق، ص١٩؛ الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق: محمد محي الدين، ج١، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت:١٩٩٠م، ص١٦٧.

(٣) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٠٥.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير، ج٤، ط١، دار طوق النجاة، بيروت: ٢٠٠١م، ص٤٠٠.

(٥) سورة النساء، الآية١٠٠.

(٦) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م). الفقه الأكبر. ط١، مكتبة الفرقان، دبي: ١٩٩٩م، ص٦٠؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٣، ص١٢١.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٨) السابعي، ناصر بن سليمان. الخوارج والحقيقة الغائبة، ط١، د.ن، د.م،١٩٩٩م، ص١٤٢.

(٩) جاء في رسالة خالد بن عبدالله القسري إلى عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ/٦٩١م : " فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا في الدين". انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٣٦.

حدث أول انقسام بين جماعة المحكّمة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بعد عودتهم من مكة مدافعين عن الحرم إلى جانب عبدالله بن الزبير، وما أن وصلوا إلى البصرة حتى اختلفوا فيما بينهم حول موضوع استمرار القتال أو القعود عن ذلك، فانقسموا إلى أزارقة، ونجدات، وصفرية، وأباضية، انتهج البعض منهم منهج الغلو والتطرف، ومال البعض الى الاعتدال والقعود عن القتال، جاء هذا الانقسام نتيجة لاتّباع الأهواء الشخصية، ولجهل البعض بأمور الدين والشرع[١]، فكان ولأول مرة يحدث جدل عقائدي بتأثير عربي بحت دون تدخل أجنبي[٢] وسيتطور بعد ذلك إلى جدل سياسي بين هذه الفرق.

تعود أسباب عداء الخوارج للدولة الأموية إلى اعتقادهم بوجوب الخروج على الإمام الجائر[٣] والجهاد ضده، فهم لا يعترفون بشرعية الحكم الأموي، وقد خرج أفراد هذه الفرقة من أغلب القبائل العراقية التي شعرت في ذاتها من القوة ما يسمح لها بمقارعة السلطة كقبائل تميم وربيعة[٤]، واستمروا يشكلون ضغطا كبيرا على دولة عبدالملك بن مروان، وفي الصفحات القادمة سنتحدث عن فرق الخوارج الثلاث التي عرفت بغلو مبادئها وتطرفها وهي فرق الأزارقة والنجدات والصفرية.

١- الخوارج الأزارقة وموقف الخليفة عبدالملك بن مروان منهم

عرفت الجماعة التي تبعت نافع بن الأزرق[٥] بعد تفرق المحكّمة باسم الأزارقة، نسبة إلى قائدهم نافع الذي ينتمي إلى قبيلة بني حنيفة، وقد تمتع نافع بصفات أهلته أن يتولى منصب قيادة هذه الفرقة، فكان كثير التردد على عبدالله بن عباس[٦] يسأله في الدين وتفسير القرآن، حتى ملّه ابن عباس وضجر منه[٧]، وقد ساعدت هذه النشأة الدينية لنافع وما تمتع به من مقدرة في الخطابة أن يتولى منصب قيادة هذه الفرقة، وتزامن ذلك مع اضطراب الأوضاع في الدولة الإسلامية حيث وفاة يزيد بن معاوية ثم تنازل معاوية بن يزيد عن الحكم، ومبايعة الأقاليم الإسلامية لعبدالله بن الزبير، وقد ورثت هذه الفرقة العداء للأمويين، عداء بدأ بعد موقعة صفين

---

(١) الغصن، سليمان بن صالح. "صفات الخوارج". مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد٤٩، الرياض، ٢٠٠٥م، ص١١٦.
(٢) حركات، إبراهيم." التيارات الفكرية في صدر الاسلام". مجلة دار الحديث الحسنية، العدد٣، الرباط، ١٩٨١م، ص٤٢١.
(٣) البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر(ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م). الفرق بين الفرق. تحقيق: محمد عثمان، د.ط، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٧٢؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٠٧.
(٤) حسن، ناجي. "الخوارج بين البداوة والتحضر". المجلة التاريخية، العدد٣، مؤسسة دار الكتب، الموصل :١٩٧٤، ص٣٠٦.
(٥) نافع بن الأزرق: هو نافع بن الأزرق بن قيس بن بهار من بني حنيفة، نسبت إليه فرقة الأزارقة الخارجية، كان من أصحاب عبدالله بن عباس، وهو أول من أحدث الخلاف بين فرقة الخوارج. انظر: الأشعري، المصدر السابق، ج١، ص١٦٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٣.
(٦) عبدالله بن العباس: هو عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كنيته أبو العباس، دعا له الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالحكمة، وروى عنه الأحاديث، شهد مع علي (رضي الله عنه) الجمل وصفين، وتوفي بالطائف سنة ٦٨هـ/٦٨٧م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٢٠-٣٤٦.
(٧) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ/٨٩٨م). الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أحمد الدالي، ج٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٧م، ص١١٥٢.

وأمر التحكيم، وتشكل نتيجة الاختلاف في أمر الإمامة ومن يتولى الخلافة، وقد تأجج هذا العداء مع مبايعة معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بالخلافة وجعلها خلافة وراثية، وما تبع ذلك من تشدد يزيد بن معاوية في مواجهة المعارضين لحكمه ومنهم فرقة الخوارج، وقد تولى هذا الأمر قائد يزيد عبيدالله بن زياد الذي كان يحبس الخوارج تارة ويقتلهم تارة أخرى[1]، وكان نافع واحدا من الذين حبسهم عبيدالله بن زياد بسبب الاجتماعات التي كانوا يعقدونها في بني حنيفة، وهربا من بطش عبيدالله بن زياد فقد خرج الأزارقة من البصرة متجهين إلى مكة حيث عبدالله بن الزبير الذي يستعد لمواجهة الجيش الأموي بقيادة مسلم بن عقبة، ومن هنا يمكن تقسيم الموقف السياسي وتطوره بالنسبة لفرقة الأزارقة إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: توجه الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق إلى مكة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م لمساعدة عبدالله بن الزبير في التصدي لجيش الشام، وكان توجههم إلى عبدالله بن الزبير بهدف الدفاع عن بيت الله الحرام أولا ومقاتلة الأمويين ثانيا، إضافة إلى رغبة الأزارقة في الكشف عن التوجهات السياسية لابن الزبير الذي يشكل رأس المعارضة الأموية في ذلك الوقت، وحتى تتسنى لهم الفرصة أيضا في تشكيل قوة موحدة ضد الأمويين، وهذا يتضح من خطاب ابن الأزرق لأصحابه: "**اخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك في أمورنا**"[2] ونرى أن عداء الأزارقة للأمويين في هذه المرحلة لا يتجاوز أن يكون عداء للخلافة الدنيوية والحكم الوراثي الذي ابتدعه الأمويون؛ ولولا ذلك لكان عدائهم لعبدالله بن الزبير أيضا فهو يخالفهم فيما يخص الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) فعبدالله بن الزبير لا يتبرأ من الخليفة عثمان على عكس الخوارج، ولعل استقبال ابن الزبير للخوارج في مكة وسماحه لهم بالوقوف إلى جانبه كان بهدف الاستفادة من قوتهم ومساعدتهم لا أكثر، فقد قال ابن الزبير: "**لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها**"[3]، وبعد أن قضى الأزارقة عدة شهور من سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م إلى جانب عبدالله بن الزبير وخروج جيش الشام من مكة، لم يجدوا خلالها اتفاق رأيهم مع ابن الزبير فعادوا أدراجهم إلى البصرة لتبدأ المرحلة الثانية من مواجهتهم للأمويين.

المرحلة الثانية: بعد عودة الخوارج إلى البصرة انقسموا إلى قسمين قسم منهم بقي مع نافع بن الأزرق في البصرة والقسم الآخر توجه إلى اليمامة[4] برئاسة نجدة بن عامر الحنفي،

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٥؛ المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١١٧٤.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٣.
(٣) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢١٠.
(٤) اليمامة: هي واحدة من مدن نجد، قاعدتها هجر، وقد سميت باليمامة نسبة إلى زرقاء اليمامة بنت سهم، كما عرفت اليمامة أيضا باسم جوا. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص٤٤٢.

ويذكر خليفة بن خياط أن الانقسام حدث بعد وفاة يزيد بن معاوية مباشرة[١] في حين يرى المبرد أن هذا الانقسام قد حدث بعد عودة الخوارج من مكة[٢] ونرى أن رأي المبرد ربما يكون هو الأقرب إلى الصحة لأن خبر وفاة يزيد بن معاوية قد وصل إلى الحجاز والحرب قائمة بينهم وبين جيش الشام، وكان الخوارج لحظتها يساعدون ابن الزبير في قتاله للأمويين لذلك يستبعد أن يكون انقسامهم حدث تلك اللحظة فلا مبرر للانقسام وقتها، أضف إلى أن احتمال حدوث الانقسام بعد عودة الخوارج إلى البصرة هو الأقرب وذلك يعود إلى أنه بعد عودة الخوارج إلى البصرة كانت الأوضاع السياسية فيها مضطربة نتيجة لوفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، وطرد البصرين لعامل عبيدالله بن زياد عمرو بن الحريث وما تبع ذلك من صراعات عصبية بين القبائل حيث قرر وقتها نافع بن الأزرق أن يخرج من البصرة إلى الأهواز وإقليم فارس المجاور.

تجمعت قبائل بني حنيفة وتميم وبكر حول نافع بن الأزرق الذي بدأ في ممارسة نشاطه السياسي ضد الأمويين، ويعتقد محمد عبد الحي شعبان أن عداء الأزارقة لبني أمية في هذه الفترة ما هو إلا عداء قبيلة بني حنيفة للحكم الأموي[٣] ونرى أنه من المستبعد أن يكون العداء هو عداء قبلي بين بني حنيفة والأمويين فقط فلم تكن هي القبيلة الوحيدة التي تشكلت منها فرقة الأزارقة حيث انضمت إليهم أيضا قبائل تميم وبكر وعبد القيس، حتى سيصبح فيما بعد قادة الحركة من بني تميم كقطري بن الفجاءة[٤] ومن أبناء الماحوز أيضا ، فالخوارج عامة ومن بينهم الأزارقة كانت العقيدة والأفكار هي التي تربطهم ولم يرتبطوا بنظام أو حزب معين[٥] هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان غالبية المقاتلين ضد الأزارقة بقيادة المهلب بن أبي صفرة هم من قبيلة الأزد ولكن ذلك لا يعني أن جيش الدفاع كان من قبيلة الأزد فقط فقد انضمت قبائل أخرى أيضا من تميم وبكر وهمدان وكندة ومذحج وأسد[٦].

---

(١) ابن خياط التاريخ، ص١٥٧.
(٢) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢١١.
(٣) شعبان، محمد عبد الحي. صدر الإسلام والدولة الأموية. د.ط، دار الأهلية، بيروت:١٩٨٧م، ص١٠٩.
(٤) قطري بن الفجاءة: هو قطري بن الفجاءة بن مازن بن يزيد بن زياد بن حرقوص المازني، المعروف بأبو نعامة، اشتهر بفصاحته وبلاغته، تولى قيادة الخوارج الأزارقة لمدة عشرين سنة، فأرسل إليه الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وتمكن من قتله سنة ٧٨هـ/٦٩٧م. انظر: الجاحظ البيان والتبيين، ج١، ص ص ٣٤١-٣٤٢؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج٤، ص ص٩٣-٩٤.
(٥) النعيمي، سليم. "ظهور الخوارج". مجلة المجمع العلمي العراق، مجلد١٥، العراق:١٩٦٧م، ص١٧.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٥؛ ابن ابي الحديد، عز الدين (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد ابو الفضل، ج٤، ط٢، دار الجيل، بيروت: ١٩٩٦م، ص١٨٠.

كان طابع السلم يغلب على نافع بن الأزرق في بادئ الأمر، فقد سار على رأي أبي بلال مرداس بن أدية[١] "**لا تزر وازرة وزر أخرى، ولا نقاتل إلا من يقاتلنا، ولا نجبي إلا ما حمينا**"[٢]، ولكن سرعان ما تغير مسار معادته للأموين والمعارضين لتتسم بطابع العنف والتشدد؛ حيث أباح قتل الأطفال، واستحل دماء القعدة، وامتحن المهاجرة، واستحل الأموال قبل الخوض في القتال[٣]، وبذلك أصبحت فرقة الأزارقة أكثر الفرق الخارجية تشددا[٤]،ونقل نافع بن الأزرق أتباعه من الخوارج إلى الأهواز[٥] بهدف إعلان المعارضة المسلحة ضد الدولة الأموية؛ لأن أوضاع البصرة الداخلية لا تسمح بذلك حيث الأغلبية يناصبونهم العداء، إضافة إلى كونهم تجاراً يحبون الاستقرار ويكرهون الفوضى، وهذا يتضح من رسائل نافع بن الأزرق إلى خوارج البصرة، التي دعاهم فيها للالتحاق به في الأهواز ومقاتلة الأمويين معه "**والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة، والدين واحد، ففيم المقام بين أظهر الكفار، ترون الظلم ليلاً ونهاراً، وقد ندبكم الله إلى الجهاد ...ولم يجعل لكم في التخلف عذراً في حال من الحال**"[٦] وكان لردة فعل الخوارج البصرين الأثر الكبير الذي أدى إلى إحداث الخلاف والانقسام بين الخوارج، فنافع قد اتَّهم القعدة بالكفر، وأعلن البراءة من كل القعدة الذين رفضوا المقاتلة والانضمام إلى الجهاد ضد الأمويين[٧]، وبذلك يكون الأزارقة قد انفردوا بتكفير القعدة[٨]، ويبدو أن آراء نافع بن الأزرق والتي تهدف للانفصال عن المجتمع المسلم ككل تعكس طابع الغرور والتعالي، ومحاولة فرض الرأي وعدم احترام آراء الآخرين .

أحكم الأزارقة سيطرتهم على الأهواز وكورها وكرمان[٩] وإقليم فارس[١٠]، فعمل نافع على نشر عماله في المنطقة، وجبى خراجها[١١]، واتخذ الأهواز قاعدة لهجومه على الدولة الأموية، وكان لسيطرة الأزارقة على الأهواز الأثر الكبير على سكان البصرة الذين كانوا يعتمدون في عطائهم على مداخيل الأهواز التي تبلغ ثلاثين ألف درهم[١٢]، فكان أشبه ما يكون

---

(١) أبو بلال مرداس بن أدية: هو أبو بلال مرداس بن جرير بن عامر بن عبد بن كعب بن ربيعة، أحد قادة الخوارج، شهد صفين مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأنكر التحكيم، ونزل في آسك مع جماعة لا يزيد عددهم عن اربعين رجلا، فأرسل إليهم عبيدالله بن زياد جيشا بقيادة عباد بن علقمة المازني فهزمهم وقُتل أبي بلال مرداس بن أدية. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٢؛ البكري، المصدر السابق، ج١، ص٩١.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص١٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص ص١٤٤-١٤٦؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٠.

(٤) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٧٨.

(٥) الأهواز: عرفت عند الفرس باسم خوزستان، وسماها العرب الأهواز، وهي تقع بين البصرة وفارس. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٤.

(٦) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢١٩.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص١٤٥؛ الأشعري، المصدر السابق، ج١، ص١٦٩؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٣٦.

(٨) البغدادي، تاريخ بغداد، ص٧٩.

(٩) كرمان: ولاية مشهورة تقع بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج ٤، ص٤٥٤.

(١٠) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١١١.

(١١) من مقولة الأحنف بن قيس إلى الحارث بن عبدالله "إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا، فلم يبق إلا أن يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلا". انظر: المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣٩ ؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٨٠؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤.

(١٢) الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٥.

بضرب حصار اقتصادي على البصرة، وهذا ما دفع سكانها إلى التضجر من عمل الأزارقة، وطلب المساعدة من عبدالله بن الزبير في مواجهتهم، على الرغم أن البصرة في تلك الفترة كانت مستقلة نسبيا عن سلطة ابن الزبير وسلطة الأمويين[١]، ولكن عدم اتِّحادهم تحت قيادة واحدة لن يمكنهم من مواجهة الأزارقة، فكان عبدالله بن الزبير "أهون الشرَّين"[٢] لذلك طلبوا مساعدته، فكلف عبدالله بن الزبير عبدالله بن الحارث بن نوفل[٣]مهمة التصدي للأزارقة في الأهواز، وجهز ابن الحارث جيشا بقيادة مسلم بن عبيس[٤]، وخرج هذا الجيش في جمادي الآخر من سنة ٦٥هـ/٦٨٤م متجها إلى الأهواز، مجبرا الأزارقة الذين بلغ عددهم ستمائة رجل فقط[٥] على التراجع إلى قرية دولاب[٦]، حيث دارت المواجهة بين الفريقين، وأسفرت المواجهة الأولى عن مقتل نافع بن الأزرق ومسلم بن عبيس[٧]، وبعد شهرين من المواجهة تمكن الخوارج رغم عددهم القليل من الصمود في وجه جيش البصرة؛ وذلك بسبب ما كانوا يمتلكون من أدوات حرب وأسلحة كالدروع والجواشن[٨]، أضف إلى ذلك الإمدادات التي وصلتهم من خوارج اليمامة[٩]، وهذا يدل أيضا على الشجاعة التي تمتع بها الخوارج[١٠]، فقد سموا أنفسهم شراة لأنهم يزعمون أنهم اشتروا رضا الله والجنة بالدنيا، وبذلك تمكنوا من هزيمة جيش البصرة الذي اضطر للانسحاب إلى البصرة. كان للهزيمة المروعة التي لحقت بالبصريين على الرغم من كثرة عددهم سببا في مكاتبتهم لعبدالله بن الزبير مرة أخرى، مستنجدين به ليخلصهم من خطر الخوارج الذي تفاقم عليهم، طالبين من ابن الزبير أن يولي أمر البصرة إلى رجل قادر على جمع صفوفهم في وجه الأزارقة، فكتب ابن الزبير هذه المرة إلى عمرو بن عبيدالله بن معمر[١١]،

---

(١) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٦٥.
(٢) خريسات، الدولة الأموية، ص١٩١.
(٣) عبدالله بن الحارث: هو عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هشام القرشي الهاشمي، الملقب ببه، ولي البصرة لعبدالله بن الزبير بعد وفاة يزيد بن معاوية، وقيل أنه توفي في عمان سنة ٨٤هـ/٧٠٣م. انظر: العسقلاني، الإصابة، ج٨، ص ص١٣-١٤.
(٤) مسلم بن عبيس: هو مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، قتله الخوارج في معركة دارت بينهما في الأهواز. انظر: ابن أعثم، المصدر السابق، ج٦، ص١٧٩؛ ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م). الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. ج٦، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٠م، ص٨١.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص١٤٨.
(٦) دولاب: قريه من قرى الأهواز. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٨٥.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص١٤٨-١٤٩؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٦٥؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٠
(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص١٠٥.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص١٤٩.
(١٠) يقول ابن كثير في وصف جرأة وشجاعة الخوارج: "فيهم شجاعة وعندهم أنهم متقربون بذلك، فهم لا يصطلى لهم بنار، ولا يطمع في أن يؤخذ منهم بثأر". انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج١، ص١١٥٦.
(١١) عمرو بن عبيدالله بن معمر: هو عمرو بن عبيدالله بن معمر بن عثمان التميمي القرشي، أحد القادة البارزين الأجواد، تولى قتال الأزارقة سنة٦٨هـ/٦٨٧م، ثم وكل إليه عبد الملك بن مروان قتال أبا فديك سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، وتوفي زمن الخليفة عبد الملك بن مروان. انظر: الزبيري، المصعب بن عبدالله(٢٣٦ه/٨٥٠م). نسب قريش. تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٨٨.

موليا إياه البصرة، فعمل عمرو على تشكيل جيش وضع قيادته لأخيه عثمان بن عبيدالله[١]، ولكن نتيجة الصدام بين هذا الجيش وجيش الأزارقة كان كسابقته إذ انهزم الجيش في معركة سوق الأهواز وقتل قائده عثمان، وأصبحت أراضي البصرة أكثر عرضة لخطر الأزارقة؛ حيث وجه قائد الأزارقة عبيد الله بن بشير بن المحاوز[٢] قوته لمحاصرة البصرة بقيادة الزبير بن علي بن الماحوز[٣]، واكتفى الأزارقة بمحاصرة البصرة دون دخولها بهدف نشر الخوف والرعب بين السكان[٤]، وزادت أحوال البصرة سوءا فكسدت التجارة، وانخفضت موارد بيت المال، ولكن ذلك لم يحبط من عزيمة أهل البصرة، فتولى أمر مواجهة الخوارج هذه المرة القائد الفذ المهلب بن أبي صفرة، الذي كان واليا على خراسان لعبدالله بن الزبير، حيث صرفه عبدالله عن ولاية خرسان[٥] ووكل إليه مهمة التصدي للأزارقة، فالمهلب صاحب خبرة في القتال فهو **"رمز البطولة ومعناها الكامل عند أهل البصرة"**[٦].

وافق المهلب على قبول المهمة شرط أن يولى أمر ما غلب عليه من الأراضي، وأن تكون له حرية التصرف في بيت المال، ينفق منه ما شاء على جنده، وأن يَنتخب للقتال من أحب من الناس[٧] فوافق أهل البصرة على شروطه، وهذا بالطبع يعكس معاناة أهل البصرة من الأزارقة، وقبل الإشارة إلى المواجهة التي حدثت بين الخوارج الأزارقة والمهلب بن أبي صفرة يجب توضيح أوضاع الأزارقة في تلك الفترة، وحجم القوة التي وصلوا إليها، فيرى محمد شعبان أن نزوح قبائل حنيفة وتميم وعبد القيس من أنحاء الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية إلى الأهواز لمساعدة الأزارقة في حربهم ضد البصرة[٨]، وتوسع أعداد الخوارج في الأهواز وفارس، وفرض سيطرتهم على الأراضي الزراعية، وجبي خراجها، وبالتالي تأمين الأموال اللازمة لنفقاتهم كل هذا كان له دور كبير في ازدياد قوة الخوارج الأزارقة في هذه الفترة؛ فقد تمكنوا من تشكيل قاعدة قوية لهم في الأهواز تكون نقطة انطلاقهم ضد البصرة، ومن حسن حظ

---

(١) عثمان بن عبيد: هو عثمان بن عبيدالله بن معمر بن عثمان التميمي القرشي، كان أخوه عمرو بن عبيد أميرا على البصرة لعبدالله بن الزبير، فوكل عمرو إلى أخيه عثمان محاربة الأزارقة في الأهواز، فلقيهم عثمان وتقاتل الفريقان حتى قتل عثمان بن عبيدالله. انظر: الزبيري، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٩.

(٢) عبيدالله بن بشير: هو عبيدالله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي، استخلفه نافع بن الأزرق على الخوارج في الأهواز، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين، قاتله المهلب بن أبي صفرة حتى تمكن من قتله في معركة سلي وسلبرى. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٩.

(٣) الزبير بن علي بن الماحوز: هو الزبير بن علي بن الماحوز السليطي اليربوعي، تولى زعامة الأزارقة بعد مقتل عبيدالله بن بشير، واستمر في قتال الولاة الأمويين في الري واصفهان حتى تمكن عتاب بن ورقاء من قتله في مواجهة حدثت بينهما. انظر: المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٧٥.

(٤) البكاي، لطيفة. حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (٣٧-١٣٢هـ). ط١، دار الطليعة، بيروت:٢٠٠١م، ص١٣٤.

(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ١٥٨؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٧١.

(٦) فوزي، فاروق عمر." من مظاهر صمود أهل البصرة في التاريخ العربي الاسلامي". مجلة المورد، المجلد١٤، العدد٣، بغداد: ١٩٨٥م، ص١٠.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٥٨؛ الدينوري، المصدر السابق، ص٢٦٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص ١٠٧١.

(٨) شعبان، المرجع السابق، ص١١٠.

البصريين أنه مع موجات الهجرة القبائلية التي حدثت في هذه الفترة وزادت من قوة الخوارج كانت هناك هجرة لقبائل الأزد من الأنحاء الشرقية والوسطى من شبه الجزيرة العربية، وهؤلاء بطبيعة الحال قد وقفوا إلى جانب إخوانهم من أزد البصرة، ما أعطى جيش المهلب بن أبي صفرة الأزدي دفعة من القوة، وتبرر لطيفة البكاي زيادة أعداد الخوارج بالانضمام المكثف لسكان الأهواز(عرب وغير عرب) للخوارج خاصة بعد معركة سوق الأهواز[1]. ونرى أن كلا الرأيين يميل إلى الصحة فانضمام جماعات من أهل البلاد التي سيطر عليها الأزارقة لأجل مصلحتهم حيث خفضت عليهم الضرائب، هذا ساعد الأزارقة كثيرا على تأمين العدد والعدة، وجنبهم على الأقل معارضة سكان هذه المناطق للحركة أو عرقلتها، ومن ناحية أخرى قد تكون للهجرات القبلية دور في زيادة أعداد الأزارقة ولو بنسبة بسيطة.

المرحلة الثالثة : بداية المواجهة الحقيقية بين الخوارج والمهلب بن أبي صفرة، وقد بدأت المواجهة بينهم بموقعة سلي وسلبرى سنة ٦٦هـ/٦٨٥م، والتي انتهت بنتائج مهمة كان أبرزها تمكن المهلب بن أبي صفرة من السيطرة على العديد من المناطق، واستردادها من قبضة الأزارقة[2]، وكان المهلب لا يخرج من المنطقة إلا بعد أن يجبي خراجها، ولعله الحل الوحيد الذي كان يراه لسد العجز المالي الذي يعاني منه بيت المال في البصرة[3]، وبالتالي تمكنه من الإنفاق على جيشه الذي أصبحت أعداده في تزايد؛ طمعا في الغنائم[4]، وقد تمكن المهلب من الاطلاع على معسكر الأزارقة ومكنوناته، ورسم صورة عامة عن الأوضاع فيه من خلال الجواسيس الذين دسهم في معسكر العدو[5]كما سنوضح ذلك لاحقا.

تكبد الأزارقة خسائر فادحة تمثلت في مقتل قائدهم عبيدالله بن بشير بن الماحوز ومعه سبعة آلاف من جيشه، وانسحب العدد الباقي منهم من الأهواز بقيادة الزبير بن علي بن الماحوز حيث انتقلوا إلى أرجان[6] من بلاد فارس، وبذلك قل خطرهم على البصرة[7]. وفي الحقيقة إن اختيار الأزارقة للزبير بن علي كان بسبب مكانته السياسية، فقد تولى قيادة العديد من الحملات العسكرية في زمن عبيدالله بن بشير الماحوز[8]، وتوسع الزبير بمن معه من الأزارقة في منطقة

---

(١) البكاي، المرجع السابق، ص١٣٦.
(٢) انظر التفاصيل: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ١٥٩ وما بعدها.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٢٢؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص ص١٤٥-١٤٦.
(٤) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٤٣؛ البكاي، المرجع السابق، ص١٣٧.
(٥) المبرد، المصدر السابق، ج٣،ص١٢٤٥؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٩٦-١٩٧؛ البكاي، المرجع السابق، ص١٣٧.
(٦) أرجان: مدينة كبيرة تعد أكبر مدن فارس. انظر: الإصطخري، المصدر السابق، ص١٢٨.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص١٦٣.
(٨) المصدر نفسه، ص١٥٨؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤،ص١٤٤.

فارس حتى وصلوا المدائن[1]، واتبعوا سياسة القتل والبطش بسكان الأقاليم، حتى النساء والأطفال لم يسلموا منهم، وانتقل الأزارقة بعدها إلى اصفهان[2]، وحاصروها أشهرا، فتصدى لهم عتاب بن ورقاء الرياحي[3] الذي قتل زعيمهم الزبير، وآلت زعامة الخوارج الأزارقة إلى قطري بن الفجاءة الذي عاد إلى الأهواز مرة أخرى.

المرحلة الرابعة: تبدأ هذه المرحلة بتولي قطري بن الفجاءة قيادة الأزارقة سنة ٧١هـ/٦٩٠م، بناء على كفاءته السياسية فهو لم يكن من مؤسسي الحركة[4]، وقد بدأ قطري نشاطه بالانسحاب من أصفهان إلى الأهواز مرة أخرى[5]، وعاد الخطر يهدد البصرة، فطالب البصريون مصعب بن الزبير الذي كان واليا على البصرة لأخيه عبدالله بن الزبير أن يولي المهلب قتال الأزارقة مقابل مشاركتهم معه في قتال عبدالملك بن مروان، وكان قطري قد استغل الحرب الدائرة بين مصعب وعبدالملك بن مروان فتوجه إلى كرمان للاستعداد، وهناك انضمت إليه أعداد كثيرة من العرب والموالي[6]، ثم عاد لمقاتلة المهلب الذي تمكن من إبعاده إلى رام هرمز، وقد تزامن ذلك مع انتقال الحكم في العراق إلى الخليفة عبدالملك بن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير[7].

أقر عبدالملك بن مروان المهلب بن أبي صفرة على قتال الخوارج[8]، وأمر واليه على البصرة خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد القسري أن يستشير المهلب في كل ما يخص أمر الخوارج، ولكن خالد ولدوافع شخصية عزل المهلب عن قتال الأزارقة، وتولى أمر قتالهم بنفسه[9]، وقد توجه المهلب معه للقاء الأزارقة في الأهواز بمساعدة أهل الكوفة أيضا، إذ طلب عبدالملك من بشر بن مروان[10] والي الكوفة أن يمد البصريين بالرجال إدراكا منه بالخطورة التي يشكلها الأزارقة على البصرة والعراق ككل، فأرسل بشر بن مروان خمسة آلاف مقاتل

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٦٦.
(٢) أصفهان: عرفت أيضا باسم أصبهان، وهي مدينة كبيرة تقع بين همذان وكرمان. انظر: الأصبهاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م). تاريخ أصبهان. تحقيق: سيد كسروي حسن، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٩٠م، ص٣٢.
(٣) عتاب بن ورقاء: هو عتاب بن ورقاء الرياحي، من أهل الكوفة، يكنى أبا ورقاء، فتح الري، وتولى ولاية أصبهان زمن فتنة ابن الزبير، ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي مهمة قتال شبيب بن يزيد الخارجي فتفرق عنه جيشه وقتل. انظر: القرشي، الزبير بن بكار(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). الأخبار الموفقيات. تحقيق: سامي مكي العاني، ط٢، عالم الكتب، بيروت:١٩٩٦م، ص٢٠٩؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٥.
(٤) البكاي، المرجع السابق، ص١٤٤.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧١.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١١١٧.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٠٨.
(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ١٠٦.
(٩) ابن خياط التاريخ، ص١٦٧؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص ٤١١؛ المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٨٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٧١.
(١٠) بشر بن مروان: هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، كنيته أبو مروان، تولى ولاية البصرة والكوفة لأخيه عبد الملك بن مروان، وكان أول أمير يتوفى بالبصرة. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٥.

بقيادة عبدالرحمن بن محمد الأشعث[١] لمساعدة جيش البصرة، وكاد جيش خالد أن يمنى بهزيمة مروعة لولا مساعدة المهلب وتدخله[٢]، حيث تمكنوا من إبعاد الخوارج إلى كرمان بعد أربعين يوما من القتال، وعاد خالد بن عبدالله إلى البصرة بعد أن سلَّم قيادة الجيش إلى أخيه عبدالعزيز بن عبدالله[٣]، وعين المهلب واليا على الأهواز، وبعد خمسة أشهر استقر الأزارقة في داربجرد في إقليم اصطخر فالتقى بهم عبدالعزيز، وبسبب قلة خبرته العسكرية حقق الأزارقة انتصارا ساحقا على جيشه[٤]، وكان على خالد بن عبدالله هذا المرة أن يدفع ثمن معارضته للخلافة وعزله للمهلب عن قيادة الجيوش، فكان الثمن أن قام عبدالملك بن مروان بعزله عن ولايته، وجمع لبشر بن مروان ولاية البصرة مع الكوفة، وكتب له أن يُقر المهلب بن أبي صفرة على حرب الأزارقة[٥]، ولكن لم يكن بشر بأحسن من خالد فقد حاول أيضا أن يحبط جهود المهلب في قتال الأزارقة، وربما يعود سببه في ذلك أن الخليفة عبدالملك بن مروان جعل له الحرية في اختيار مقاتليه، وكانت له الاستقلالية في إدارة شؤونه عن الوالي بشر[٦]، وحاول بشر عرقلة المهلب بمعارضة خروج الأعداد الكبيرة من المقاتلة الذين اختارهم المهلب، كما قام بتحريض عبدالرحمن بن مخنف[٧] قائد جيش الكوفة بمخالفة أوامر المهلب[٨]، ولكن ابن مخنف هذا كان أكثر إدراكا لخطورة الوضع الذي تتعرض له العراق، ففضَّل أن يحافظ على مصلحة قومه وجماعته بدلا من أن يخدم الأهواء الشخصية للوالي، وتمكن المهلب بقوات البصرة والكوفة أن يدحر الأزارقة من الأهواز ويبعد خطرهم عن البصرة، إذ أجبرهم على التراجع، وتمكن من السيطرة على رامهرمز[٩] وذلك سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، وفي هذا الوقت وصلت الأخبار بوفاة الوالي بشر بن مروان فتسلل أهل البصرة والكوفة عائدين إلى مدنهم، وظل المهلب وقواده وابن مخنف في عدد قليل[١٠]، ولعل مبررات الهروب من المعسكر تعود إلى تضجر المقاتلة من كثرة الحروب ومقاومة الثورات التي تقوم ضد الدولة، وعدم إيجاد سلطة مستقرة يتوحد ولائهم اتجاهها؛ فتارة يقاتلون لابن الزبير، وتارة أخرى للدولة الأموية، كما كان لموقف الفقهاء من قتال حركات المعارضة القائمة ضد السلطة الأموية دور في تثبيط جهود المقاتلة عن القتال؛

---

(١) لمزيد من المعلومات عن شخصية عبد الرحمن بن محمد الأشعث انظر الفصل الرابع.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤١٤.
(٣) عبد العزيز بن عبدالله: هو عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي، عرف عنه الجود، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٣، ص٩٢.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤١٤؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٣.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص ٤٢١؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٤٣.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٥.
(٧) عبد الرحمن بن مخنف: هو عبد الرحمن بن مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة الأزدي الغامدي، أحد القادة الشجعان، كان مع المهلب بن أبي صفرة في قتال الأزارقة، وقُتل في إحدى مواجهاته معهم. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٩؛ العسقلاني، الإصابة، ج١٠، ص٨٧.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٢٢؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٩.
(٩) رامهرمز: ويقال لها رام مهرمز، وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص١٧.
(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ٤٢٢؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٥؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص ص١٨٠-١٨١.

فيروي الملطي أن رجلا جاء للحسن البصري[1] فقال لـه: "**يا أبا سعيد: إن هؤلاء استفزوني لأقاتل الخوارج فما ترى؟ فقال: إن هؤلاء أخرجتهم ذنوب هؤلاء، وإن هؤلاء يرسلونك تقاتل ذنوبهم فلا تكن القتيل منهم فإن القوم أهل خصومة يوم القيامة**"[2].

وبموت بشر بن مروان تنتهي مرحلة يمكن وصفها غير منظمة وغير دقيقة؛ حيث ولاة البصرة الذين كانوا يقدمون مصالحهم وأهواءهم الشخصية على المصلحة العامة، خاصة في عدائهم للقائد المهلب بن أبي صفرة، وتعيين قادة ليسوا على دراية بجغرافية المنطقة مما أعطى الفرصة للأزارقة للتوسع في فارس والأهواز وتعزيز قدراتهم المالية والعسكرية[3].

المرحلة الخامسة: تبدأ هذه المرحلة بتولي الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م وتنتهي سنة ٧٨هـ/٦٩٧م وهي السنة التي تم فيها القضاء على الأزارقة، حيث كان لوعي الخليفة عبدالملك بن مروان ونظرته الثاقبة دور في تعين الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق، خاصة بعد قضائه على ثورة عبدالله بن الزبير في الحجاز، ويعتبر دكسن وصول الحجاج لولاية العراق في هذه الفترة نقطة تحول في قتال الخوارج[4]، فمن الأمور التي أجراها الحجاج وساعدت بشكل مباشر في القضاء على الأزارقة أولها تثبيته للقائد المهلب بن أبي صفرة في قتال الخوارج واعترافه بحاجة الدولة إليه في قتالهم، حيث عبَّر عن ذلك برسالة بعث بها إلى المهلب جاء فيها: "**أما بعد فإن بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناه عنك وأنا أريك حاجتي إليك فأرني الجد في قتال عدوك**"[5]، ومنحه خراج الأراضي التي يفتحها بين فارس والبصرة، وأجبر المقاتلة الذين تسللوا من جيش المهلب بعد موت بشر على العودة إلى صفوف المقاتلة[6]، كما قام الحجاج بتزويد جيش المهلب بأعداد من الكوفيين والبصريين غير المقاتلة[7]، ولم يكتفِ الحجاج بذلك بل خرج بنفسه في عدد من أهل البصرة والكوفة إلى رستقباذ[8] ليشد ظهر المهلب والمقاتلة بوجوده قربهم[9]، وحتى يمنع المقاتلة من الهرب كما فعلوا سابقا[10]

(١) الحسن البصري: كان اسمه يسار، ولد في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ونشأ في المدينة المنورة، عرف عنه الحكمة والعلم والفصاحة، وولي منصب القضاء في البصرة زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص ص ١٥٧؛ وكيع، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م). أخبار القضاة. تحقيق: عبد العزيز مصطفى، ج٢، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة: ١٩٧٤م، ص ص ٦-١١.
(٢) الملطي، المصدر السابق، ص١٣١.
(٣) البكاي، المرجع السابق، ص١٤٩.
(٤) دكسن، الخلافة الأموية، ص٢٨٦.
(٥) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ص١٨٤.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٢٣.
(٧) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص ص١٣٠٣-١٣٠٤؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ص١٨٢.
(٨) رستقباذ: قرية من قرى اصبهان. انظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي السلفي، ج٢، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٩٩٤م، ص٥٤.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨١.
(١٠) البكاي، المرجع السابق، ص١٥٠.

ويتفقد أوضاعهم[١]، وقرر البقاء حتى ينهزم الخوارج، ولكن ثورة عبدالله بن الجارود[٢] وثورة الزنج كانتا سبباً في تغير خطته حيث اضطر أن يعود إلى العراق.

بدأت المواجهة مرة أخرى بين المهلب بن أبي صفرة والأزارقة في شعبان سنة٧٥هـ/٦٩٤م في رامهرمز حيث تمكن المهلب من دحر جيش العدو، ولكن سرعان ما قام الأزارقة بمباغتة جيش المهلب ليلا في رمضان، وقتلوا قائد الكوفة عبدالرحمن بن مخنف، وتتعدد الروايات التاريخية حول سبب الهزيمة التي لحقت بالجيش، الأولى هي رواية أهل البصرة والتي تبرر سبب الهزيمة بمخالفة أهل الكوفة أوامر المهلب بن أبي صفرة بعدما طلب من عبدالرحمن بن مخنف أن يخندق على معسكر العدو[٣]، في حين أن رواية الكوفة تظهر الشجاعة والبسالة التي أبداها أهل الكوفة في حماية معسكر البصرة بعد مباغتة الخوارج لهم[٤]، ونرى أن الرواية الأولى – رواية البصرة- أقرب إلى الصحة بكثير من رواية الكوفة وذلك لأن رفض جيش الكوفة مخالطة جيش البصرة ورفضهم أن يخندقوا[٥] كان من أهم الأسباب التي دفعت الأزارقة للهجوم عليهم في حين غفلة، فمن الطبيعي أن يتجه الخوارج لقتال الفئة الأقل عددا، وقد أدت هذه الهزيمة إلى تعين عتاب بن ورقاء الرياحي قائدا على جيش الكوفة من قِبل الحجاج بن يوسف الذي أوصاه بأن يعمل وفق مشورة المهلب، ولكن بسبب الخلاف الذي وقع بين عتاب والمهلب والذي كاد أن يؤدي إلى حرب قبلية بين تميم رهط عتاب وبين الأزد رهط المهلب[٦]، وبسبب استدعاء الحجاج لعتاب حتى يتصدى إلى ثورة قامت في العراق وهي ثورة شبيب بن يزيد الشيباني[٧] انتقلت قيادة جيش الكوفة إلى حبيب بن المهلب[٨]، ليصبح المهلب وأبناؤه هم القادة في حرب الأزارقة ابتداء من مستهل سنة٧٧هـ/٦٩٦م، واستمر آل المهلب في قتال الأزارقة في سابور[٩]مدة ثمانية عشر شهر، وكان في طول هذه المدة سببا في نفاذ صبر الحجاج الذي أخذ يرسل الرسائل والوفود إلى المهلب يستحثه فيها على سرعة إنجاز مهمته،

---

(١) عاقل، المرجع السابق، ص١٧٠.
(٢) لمزيد من المعلومات عن شخصية عبدالله بن الجارود انظر الفصل الرابع.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥١.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥١.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٢٤.
(٦) المصدر نفسه، ص٤٢٨؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٦.
(٧) شبيب بن يزيد الشيباني: هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت الشيباني الخارجي، يكنى بأبي الصحارى، خرج في الموصل على الدولة الأموية، واتجه إلى الكوفة وحاصر الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم اقتتل الفريقان حتى هزم شبيب وانسحب إلى الأهواز، فارسل له الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي، والتقيا على شط دجيل وهناك غرق شبيب. انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ص١٠٢-١٠٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٨٢٠.
(٨) حبيب بن المهلب: هو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، واحد من قادة الدولة الاموية وشجعانها، ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية كرمان ثم عزله عنها سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، وقتل مع أخيه يزيد عند خروجه بالعراق سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١٢٣٢، ١٢٩٧.
(٩) سابور: بلدة مشهورة في أرض فارس، تقع بين خوزستان وأصبهان. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧.

ويتهمه بالمماطلة وإطالة الحرب[1]، وترى البكاي أن المهلب ربما يكون تعمد إطالة الحرب مع الأزارقة بهدف الاستفادة من خراج المناطق التي فتحها من ناحية[2]، ومن ناحية أخرى كان يتأمل حدوث الفرقة في صفوف الخوارج لأنه على دراية بافتقادهم للوحدة[3]، ويرى ابن أعثم مبررا آخر لإطالة المهلب الحرب مع الأزارقة وهو أن تصيب الأزارقة المجاعة[4]، ونرى أنه ليس من المعقول أن يطيل المهلب حربه مع الأزارقة بهدف الاستفادة من خراج البلاد فقط، فالمناوشات بينه وبينهم والتي استمرت ستكلفه العدد والعتاد مما يعود عليه بالضرر، خاصة بعد أن أخذ منه الحجاج كورة فارس أيضا[5]، كما أن المهلب كان يطمح إلى ولاية خرسان ومن الأكيد أنه كان يأمل إنهاء حربه مع الخوارج حتى يعود إلى ولايته، أضف إلى ذلك مهارة الأزارقة وإثباتهم القدرة على القتال والصمود في المعارك على الرغم من قلة أعدادهم، فالأمر ليس بهين ويحتاج إلى صبر وتروي، ومهما يكن من أسباب التأخر فقد كانت النتيجة طرد الأزارقة من بلاد فارس، ولجوئهم إلى كرمان، وحصنوا أنفسهم في جيرفت[6]، لتبدأ بوادر الضعف والإنقسام تنخر في صفوفهم حيث بداية النهاية للأزارقة.

تعددت الأسباب التي ساهمت في تفشي الخلاف بين الأزارقة، وكانت بداية لتمزق وحدتهم ومن هذه الأسباب:

١- استخدام المهلب بن أبي صفرة حيل كثيرة هدف منها تفكيك وحدة الأزارقة، وعمل المكايد التي من شأنها أن تفرق صفوفهم، فقد اختلق أحاديث نبوية بهدف إثارة الحماس في جيشه وتثبيط صفوف الخوارج[7]، كما عمل المهلب على إثارة الشك بين صفوف الأزارقة، فيروي البلاذري أن حدادا من الأزارقة كان يرمي بنصال مسمومة في معسكر المهلب الذي استغل الموقف وحوره لصالحه، فأرسل بكتاب ومعه ألف درهم وألقاه في معسكر الأزارقة وقد جاء في الكتاب: **"إنه قد أتتنا نصالك، وقد بعثت إليك بألف درهم فزدنا نصالا"**[8] وما أن علم قطري بن الفجاءة بذلك حتى قتل الحداد، مما أثار سخط

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٤٢٤-٤٢٥؛ المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٣١٢؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٥١.
(٢) البكاي، المرجع السابق، ص١٥٢.
(٣) كتب المهلب للحجاج يقول: "فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوا وعشيا، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم...ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا، وينقص بعضهم عدد بعض، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم". انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٥؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩.
(٤) ابن أعثم، المصدر السابق، ص١٥.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٥.
(٦) جيرفت: هي مدينة من أكبر وأوسع مدن كرمان. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٨.
(٧) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٠.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٢٩.

الخوارج الذين أنكروا فعل قطري، وتنكروا له دون أن يفارقوه[١]، وعلى رأسهم عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة، كما أن المهلب بن أبي صفرة لم يكتفِ بذلك بل أرسل نصرانيا وأمره بالسجود بين يدي قطري، مما أثار الخوارج وقتلوا النصراني فأثار هذا الفعل غضب قطري، وزاد من شدة الخلاف بينه وبين أتباعه[٢]، وقد فطن المهلب أن خلاف الأزارقة غالبا ما يكون حول المسائل الفقهية، لذلك عمد إلى أن يدس بينهم من يثير خلافهم في المسائل الفقهية بأسئلة يطرحها فيختلفون في إجابتها، وبالتالي تبدأ الضغائن والفرقة بينهم[٣].

٢- توالي الهزائم التي لحقت بالأزارقة وانسحابهم من سابور إلى اصطخر ومن ثم إلى كرمان أوجد نوعا من الملل والضعف بين الأزارقة، خاصة بعد فقدانهم لمدينة سابور ذات الموارد الغنية.

٣- محاباة قطري بن الفجاءة لأتباعه وعدم تطبيق مبدأ العدالة بينهم؛ حيث اتهم عبيدة بن هلال اليشكري أحد زعماء الأزارقة بتهمة الزنا، وحاول قطري تبرئته ولكنه فشل في ذلك[٤]، كما اتهم أحد أتباع قطري بالثراء، فاتهم قطري مخالفيه بالرجوع إلى الكفر مما أدى إلى انقسام الأزارقة[٥].

٤- مراقبة الخوارج لأقوال وأفعال قطري بن الفجاءة فكانوا يتصيدون أخطاءه لعزله من قيادة الحركة، وزاد الأمر حدة عندما قرر قطري عزل نفسه عن قيادة الحركة وأصر على تعين المقعطر العبدي[٦]، فاتهموه بالتثاقل عن الحرب وعن قتال العدو[٧].

٥- استخدام الدولة الأموية العيون (الجواسيس) التي عملت على اختراق صفوف الفرقة، ومحاولة إثارة البلبلة داخلها بهدف إشعال نار الخلاف والفتنة بين أتباعها[٨]، وإثارة المسائل الفقهية التي هي دائما سببا في خلافهم[٩].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٢٩؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٧.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٤٢٩-٤٣٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٣٠؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٧.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص٤٣٥؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص ص٢٠٢-٢٠٣.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٦.
(٦) المقعطر العبدي: هو المقعطر العبدي من عبد القيس، كان من علماء الخوارج وفقهائهم وفرسانهم، تولى منصب قاضي عسكر الأزارقة أيام قطري بن الفجاءة وكان عامله على كرمان، أراد قطري أن يوليه زعامة الأزارقة لولا رفض بعض الخوارج. انظر: الجاحظ البيان والتبيين، ج١، ص٣٨، ٣٧٤؛ المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٣٣٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٥.
(٧) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٨١.
(٨) البلوي، سلامة. "مدخل لدراسة الاستخبارات الأموية". مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والانسانية، المجلد٢، العدد١، الشارقة: ٢٠٠٥م، ص١٤١.
(٩) تمكن أحد أفراد الاستخبارات الأموية أن يلعب دور طالب علم، ونجح في تفرقة صفوف الأزارقة بسؤال طرحه عليهم عن رجلين خرجا مهاجرين للأزارقة، مات أحدهما في الطريق ووصل الآخر، فامتحنوه فلم يجز المحنة، فما الرأي الفقهي فيهما؟ فاختلف الجواب بين أن يكون الميت من أهل الجنة أو كافر أو كليهما كافران، فنشب الخلاف بين الأزارقة. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٣٠.

من الممكن ملاحظة أن جُل الخلافات التي وقعت بين الأزارقة كان مرجعها الاختلاف حول مسألة من مسائل الدين (المسائل الفقهية)، فالجدل حول المسائل الدينية كان يغذي الخلاف بينهم ويفرقهم، ويصل بهم إلى درجة القتال بغية أن يدافع كل منهم عن آرائه وأفكاره ومعتقداته.

ومهما كانت أسباب الخلاف بينهم فقد كانت النتيجة انقسام الخوارج الأزارقة سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م إلى ثلاث مجموعات، مجموعة بقيادة قطري بن الفجاءة، ومجموعة بقيادة عبد ربه الصغير الذي انفصل بالعجم والموالي(١)، ومجموعة ثالثة بقيادة عبد ربه الكبير(٢) الذي يبدو أن الخوارج العرب قد قبلوا مبايعته بناء على عقيدتهم التي تتسم بالتسامح مع الموالي، والتي ترى أن القيادة والإمامة حق في من تتوفر فيه شروط الإمامة بغض النظر عن انتمائه القبلي، ونتيجة لما نقموه من سياسة ابن الأزرق.

إن هذا الانقسام في جماعة الأزارقة جعل المؤرخين يفسرونه بناء على القومية؛ فقد فسر ولهاوزن Wellhausen أن الخلاف في صفوف الأزارقة ما هو إلا خلاف بين الموالي والعرب(٣)، وفسرت لطيفة ذلك بـ"استمرار المشاعر العرقية لدى الطرفين"، وغلبة أعدادهم على أعداد العرب، وأدوارهم العسكرية في الحركة(٤)،وأنها ثورة أهل كرمان ضد خوارج المناطق الأخرى خوفا من انتقام الدولة منهم بعد تصفيتها للحركة(٥).

نرى أن الانقسام الذي حدث بين الأزارقة والذي جعل الفرقة تنقسم إلى عرب وموالي يثبت أن إتِّباع بعض الموالي للحركة كان بناء على مبدأ الشورى في الحكم الذي اتخذه الخوارج أساسا لحركتهم في الإمامة، وبهدف المال إذ انضم البعض الآخر من الموالي إلى الحركة دون اقتناع داخلي بذلك بل لأجل المال؛ لأن الخوارج كانوا يعمدون إلى تخفيض الضرائب بعد سيطرتهم على الأراضي(٦)، ثم يجب أن لا ننسى أن حركة الخوارج الأزارقة قد ترعرعت في الأقاليم الفارسية، حيث الغالبية من السكان يعدون موالي، ولكن التطرف الذي ساد الحركة وتمسك زعماء الحركة خاصة بآرائهم ومبادئهم من ناحية، وقلة أعداد الموالي التي انضمت إلى صفوف الخوارج من ناحية أخرى كان من المتوقع أن تتكتل هذه الأعداد القليلة مع بعضها حتى تدافع عن نفسها ضد أي خطر يواجهها، حتى لو كان هذا الخطر من داخل الخوارج أنفسهم.

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٣٥؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٤.
(٢) عبد ربه الكبير: هو مولى بني يشكر، واحد من فرسان الخوارج، بايعته طائفة منهم بعد عن حدث الانقسام في صفوف الأزارقة، فقاتله المهلب بن أبي صفرة وقتله سنة ٧٧هـ/٦٩٦م. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٣٦.
(٣) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص١٠٩.
(٤) البكاي، المرجع السابق، ١٥٧- ١٥٨.
(٥) شعبان، المرجع السابق، ص١١٧.
(٦) الفاعوري، المرجع السابق، ص١٠٥.

وبدأت المواجهة بين الجماعات في جيرفت وانتهت باستيلاء عبد ربه الكبير على جيرفت، وخروج قطري إلى كرمان بعد أن قُتل ألفي رجل من أصحابه، وهنا استغل المهلب بن أبي صفرة خروج قطري بن الفجاءة فقام بمحاصرة عبد ربه الكبير، وكثرت المعارك بينهم، وانتهت بمقتل عبد ربه الكبير وذلك سنة ٧٧هـ/٦٩٦م ، وخرج قطري بن الفجاءة من كرمان إلى طبرستان[1]، حيث انفصل عنه هناك عبيدة بن هلال اليشكري ومضى بأصحابه إلى مدينة قومس[2]، وكان لهذا الانقسام أيضا دور كبير في هزيمة قطري وأتباعه على يد جيش الشام الذي أرسله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٨هـ/٦٩٧م[3] بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي، وبمساعدة فرقة عسكرية كوفية كانت متواجدة في الري، حيث قُتل قطري بن الفجاءة، ومن ثم انصرف سفيان بن الأبرد إلى عبيدة بن هلال وحاصره، ثم دار القتال بين الطرفين والذي انتهى بقتل عبيدة بن هلال أيضا[4]. ويذكر ابن الأثير أن بعد قتل قطري بن الفجاءة انقرضت فرقة الخوارج الأزارقة[5]، وبذلك يكون عبدالملك بن مروان قد نجح في تصفية حركة الخوارج الأزارقة، وساعده على ذلك تفرقهم ونشوب الخلافات فيما بينهم، بالإضافة إلى كره الناس لهم بسبب تشددهم وتطرفهم، وبسبب ما كانوا يحدثونه من الدمار والخراب، وبفضل حنكة عبدالملك في اختيار ولاته وقواده.

٢- الخوارج النجدات وموقف الخليفة عبدالملك بن مروان منهم

سميت الجماعة التي تبعت نجدة بن عامر الحنفي باسم النجدات[6]، وهم جزء من جماعة الخوارج، افترقت عن نافع بن الأزرق بعد اختلافهم حول تكفير نافع للقعدة وإباحته قتل النساء والأطفال[7]، ولكن الدسوقي ينفي أن يكون هناك ثمة اختلاف بين نافع ونجدة، ويرى أن افتراقهم ما هي إلا خطة بينهم لتوسيع دائرة الصراع بين الخوارج والسلطة الأموية، فنافع سيطر على بلاد فارس وطبرستان، ونجدة سيتوسع في بلاد اليمامة وعمان والبحرين وحضرموت هذا دون أن يحدث نزاع بين الرجلين[8].

---

(١) طبرستان: مجوعة بلدان يشملها هذا الاسم، تقع بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص١٣.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٣٩؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤.
(٣) ابن خياط، التاريخ، ص١٧٣.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٤٤١-٤٤٢؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٥٧.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٨٥.
(٦) الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٤٧.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٣؛ الاسفرايني، أبي المظفر(ت٤٧١هـ/١٠٧٨م). التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب، بيروت: ١٩٨٣م، ص٥٢؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ص١١٧.
(٨) الدسوقي، عبد المنعم أحمد." قبيلة بني حنيفة وموقفها من الخلافة الاسلامية حتى عهد عبد الملك بن مروان". مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٠م، ص٣٣٩.

شملت هذه الفرقة ثلاث جماعات الجماعة الأولى كانت بقيادة أبو طالوت[1]، إذ بايعته جماعة من الخوارج سنة ٦٥هـ/٦٨٤م بعد فك الحصار الأموي عن مكة وعودته إلى اليمامة، وانتقل بعدها أبو طالوت إلى الخضارم[2]، حيث كثر أتباعه هناك بعد أن استولى على أرض لبني حنيفة كان معاوية بن أبي سفيان قد أخذها وجعل فيها رقيقا، فاستولى أبو طالوت على الرقيق ووزعه على أتباعه[3]، وجماعة بقيادة نجدة بن عامر الحنفي عادت بعد الدفاع عن مكة إلى اليمامة أيضا، وجماعة فيها عطية بن الأسود الحنفي[4] وأبو فديك[5] كانت في البصرة مع نافع بن الأزرق، ولكنها افترقت عنه وعادت إلى اليمامة، وبايعت نجدة الحنفي زعيما عليها.

تمكن الشاب نجدة بن عامر الذي لم يتجاوز الثلاثين سنة[6] من إثارة إعجاب أتباع أبي طالوت بتفكيره ومهاراته، إذ اعترض قافلة لابن الزبير كانت متجهة من البحرين إلى مكة واستولى عليها، وحمل الغنائم إلى أبي طالوت، ونصح من معه من الخوارج أن يردوا العبيد الذين وزعهم عليهم أبو طالوت إلى الأرض، وكان لهذا الفعل من نجدة أثرا على أتباع أبي طالوت الذين بايعوا نجدة الحنفي زعيما عليهم سنة ٦٦هـ/٦٨٥م[7].

اتخذ النجدات من اليمامة مركزا لهم ومنها بدأ انتشارهم[8] على الرغم من أن الملطي ينفرد برواية تقول أن خروج نجدة بن عامر الحنفي كان من جبال عمان[9]، ونرى أنه من المستبعد أن تكون بداية خروج نجدة الحنفي من جبال عمان، فالملطي هو من ينفرد بهذه الرواية في حين تجمع بقية الروايات على خروجه من اليمامة.

تمكن نجدة من إخضاع البحرين، واتخذ منها مقرا له ولأتباعه، حيث انتقل من اليمامة خوفا من أي هجوم قد يشنه عليه عبدالله بن الزبير[10]، وأرسل جيشا بقيادة عطية بن الأسود الحنفي إلى عُمان، وفرَّق رجاله لجمع الصدقات في كل من كاظمة[11] وصنعاء

---

(١) أبو طالوت: هو سالم بن مطر بن عقبة بن زيد بن جهينة بن الفند، تولى زعامة الخوارج النجدات في البحرين لفترة مؤقتة ثم بايع هو وأتباعه نجدة بن عامر الحنفي. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٣.

(٢) الخضارم: واد بأرض اليمامة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٦.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠.

(٤) عطية الحنفي: هو عطية بن الأسود الحنفي من بني حنيفة، يعد أحد زعماء الخوارج، كان مع نافع بن الأزرق في البصرة ، ثم افترق عنه وبايع نجدة بن عامر الحنفي، وبعدها شكل فرقة خارجية مستقلة في سجستان عرفت باسم العطوية. انظر: الأشعري، المصدر السابق، ج١، ص١٧٦؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م). اللباب في تهذيب الأنساب. ج٢، د.ط، دار صادر، بيروت، ص٣٤٧.

(٥) أبو فديك: هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب، يعد واحدا من زعماء الخوارج، تولى قيادة فرقة خارجية عرفت بالفديكية، وقد انشقت هذه الفرقة عن الخوارج النجدات بعد حدوث الخلاف في صفوفهم. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٣٧؛ الملطي، المصدر السابق، ص٤٢.

(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ١٧٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٤.

(٨) المصدر نفسه، ص١٧٣؛ الأشعري، المصدر السابق، ج١، ص١٧٤.

(٩) الملطي، المصدر السابق، ص٤٢.

(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٦.

(١١) كاظمة: موضع على سيف البحرين. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٣١.

وحضرموت[1]، حتى تمكن من السيطرة على السواحل الشرقية والجنوبية لشبه الجزيرة العربية، ونرى أن نجدة تمكن من التوسع في هذا الوقت بسبب الأوضاع السياسية في الدولة الاسلامية، وتعدد الزعامات فيها حيث عبدالله بن الزبير في الحجاز، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة، والأمويين في دمشق، وربما يكون نفوذ نجدة بن عامر الحنفي وسلطته في ذلك الوقت قد وصلت إلى حد منافسة ابن الزبير؛ فقد قطع حاصلات اليمامة والبحرين عن الحجاز حتى تدخل عبدالله بن عباس لفك الحصار الاقتصادي الذي فرضه نجدة[2]، وخرج نجدة سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م حاجا مع أتباعه الذين وصل عددهم حوالي ثمانمائة وستين، وحاول الزبيريون القضاء على النجدات بسبب توسعهم الكبير، فأرسل مصعب بن الزبير جيشا إلى النجدات سنة ٦٩هـ/٦٨٨م بقيادة عبدالله بن عمير الليثي[3]، ولكن تمكن نجدة من هزيمة هذا الجيش[4].

كان موقف الدولة الأموية من نجدة بن عامر الحنفي بعدما وصل الخليفة عبدالملك بن مروان إلى الحكم موقفا مسالما وذلك لانشغال الخليفة في القضاء على ابن الزبير، على الرغم من أن استقلال النجدات باليمامة والبحرين قد أضعف من ميزانية الدولة الأموية لأنهم استقلوا عنها اقتصاديا[5] ولكن كتب عبدالملك بن مروان إلى نجدة الحنفي يدعوه إلى طاعته ويوليه اليمامة وما حولها، ويهدر له ما أصاب من الأموال والدماء، فأظهر نجدة مهادنة اتجاه الأمويين مما سيكون واحد من الأسباب التي ستؤدي إلى افتراق أتباعه عنه[6]، ويبدو أن عبدالملك بن مروان قد أراد مهادنة نجدة الحنفي حتى يوفر الوقت والجهد على نفسه، فكان شغله الشاغل في تلك الفترة القضاء على منافسه عبدالله بن الزبير وأخيه مصعب في البصرة.

دوام الحال من المحال حيث سرعان ما انقلب أتباع نجدة الحنفي عليه لأسباب متفرقة، ولكنها ملأت قلوب أتباعه عليه بالحقد، وقيل أن من أسباب انقلابهم عليه أن نجدة خالف رأي أبي سنان حي بن وائل عندما أشار عليه بقتل من تبعه مكرها، وأن نجدة كان يُفضِّل بالعطاء جنده الذين يقاتلون في البحر على جنده الذين يقاتلون في البر، وأنه امتنع عن عقاب أحد أتباعه لشربه الخمر، ويرى جميل المصري أن نجدة قد انتهج فكرة الشعب المختار عند اليهود، فكأنه يرى أن مرتكب الذنب إذا كان من الخوارج فإن الله يعفو عن ذنبه، وإذا كان من خارج الفرقة

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٢.
(٣) عبدالله بن عمر الليثي: هو عبدالله بن عمر بن قتادة الليثي، عرف بسيد القراء. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٥٧٨.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ١٧٨؛ اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٧٢.
(٥) الوشمي، صالح بن سليمان. ولاية اليمامة. د.ط، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض:١٩٨٨م، ص١٦٥.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٨٤.

فلا عفو له[1]، كذلك أعاد نجدة جارية من أولاد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كان النجدات قد سبوها في واحدة من غاراتهم، فأعادها إلى الخليفة عبدالملك بن مروان مما اثار غضب أتباعه عليه، وأعطى المال لكل من مالك بن مسمع[2] وعبيدالله بن ظبيان[3] بعدما هربا من مصعب بن الزبير والتجآ إليه في اليمامة[4]، وقد استتابه أتباعه فتاب، ثم قالوا كان عليه أن يجتهد وأن لا يتوب فاختلفوا وتفرق أتباعه[5]، فرقة بقيادة عطية بن الأسود الحنفي توجهت إلى سجستان[6] عرفت بالعطوية، وفرقة بقيادة أبي فديك عبدالله بن بن ثور عرفت بالفديكية[7]، وبعدها حاول نجدة بن عامر الحنفي الانضمام إلى عبدالملك بن مروان ولكنه قُتل على يد أبي فديك سنة ٧٢هـ/٦٩١م[8]، ويرى عواجي أن هذه الأسباب والاختلافات التي وقعت بين النجدات ما هي إلا صورة من صور التعصب القبلي بين قبليتي بني حنيفة (قبيلة نجدة الحنفي) وبني قيس بن ثعلبة (قبيلة أبو فديك) حيث أرادت قبيلة قيس بن ثعلبة أن تكون لها السلطة والزعامة[9]، ومما لا شك فيه أن هذا ليس بأمر مستبعد فالمعروف عن القبائل العربية أنها كانت شديدة التنافس فيما بينها من أجل السيادة والنفوذ، وكانت الحروب مستمرة بينها لأجل تحقيق هذا الهدف، وهذا الفعل من أبي فديك يؤكد لنا أن الخوارج لم يكونوا يتوارون عن تحقيق مصالحهم الشخصية مقابل المصلحة العامة للخوارج، حتى وأن عرض ذلك جماعة الخوارج للخطر.

غلب أبو فديك على البحرين[10] بعد مقتل نجدة الحنفي، وكان موقف الأمويين من أبي فديك أن أرسل خالد بن عبدالله بن خالد القسري والي البصرة أخاه أمية بن عبدالله إلى البحرين، ولكن أبو فديك تمكن من هزيمة أمية[11]، فأرسل له عبدالملك بن مروان جيشا من أهل الكوفة والبصرة بقيادة عمر بن عبيدالله بن معمر، وتوجه هذا الجيش إلى البحرين والتقى بجيش أبي

---

(١) المصري، جميل عبدالله. أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري. ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة: ١٩٨٩م، ص٣٥٧.

(٢) مالك بن مسمع: هو مالك بن مسمع بن سيار من بكر بن وائل، أسلم والده مسمع زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم ارتد بعد وفاته، فقتل في البحرين، وعد مالك انبه الناس، توفي في بداية خلافة عبد الملك بن مروان في البصرة. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٩.

(٣) عبيدالله بن ظبيان: وصفه ابن عساكر "فاتكا بذيء اللسان"، قاتل مصعب بن الزبير، وحامل رأسه إلى الخليفة عبدالملك بن مروان. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٨، ص١٥٧.

(٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م). أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء. ضمن كتاب نوادر المخطوطات (المجموعة السادسة)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة: ١٩٧٣م، ص١٧٩.

(٥) الإسفرايني، المصدر السابق، ص٥٢.

(٦) سجستان: أرض سهلة وناحية واسعة تقع في جنوب هراة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٠.

(٧) الشهرستاني، المصدر السابق، ص١١٩؛ الحميري، المصدر السابق، ص٢٢٤.

(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١١٣٧.

(٩) عواجي، غالب بن علي. الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض: ١٩٧٨م، ص١٧٣.

(١٠) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحر بين البصرة وعمان، والتسمية الآن مقتصرة على دولة البحرين المعروفة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٧.

(١١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٥.

فديك في المُشَقَّر[١]، حيث تمكن جيش الأمويين من قتل أبي فديك وهزيمة أتباعه، وذلك سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م[٢]، وبهذا انتهت شوكة النجدات.

٣- الخوارج الصفرية وموقف الخليفة عبدالملك بن مروان منهم

تنسب فرقة الخوارج الصفرية إلى زياد بن الأصفر[٣]، وقيل لعبدالله بن الصفار[٤]، ويذكر بعض المؤرخين أن تسميتهم بالصفرية جاءت نتيجة صفرة في وجوههم من كثرة العبادة[٥]، وقد خالف الصفرية الأزارقة في بعض تعاليمهم، منها أن الصفرية لم يكفروا القعدة، ولم يسقطوا حكم الرجم عن الزاني، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين[٦]، وكانت الصفرية تقول بإمامة أبي بلال مرداس بن أدية الذي خرج زمن الخليفة يزيد بن معاوية وقتلته جيوش عبيدالله بن زياد.

كان أول من خرج من الصفرية صالح بن مسرح التميمي[٧]، كان رجلا ناسكا، كثير العبادة فقيها زاهدا[٨]، اقتصر في بداية الأمر على تعليم أصحابه للقرآن في منطقة دارا والموصل، ولم تكن له الكثير من النشاطات داخل الحركة الخارجية، حتى بعد الاضطرابات التي شهدتها الدولة بموت يزيد بن معاوية، ولكن بعد ذلك استغل صالح من مسرح التميمي التفاف الناس حوله لزهده وعلمه، وبدأ نشاطه ضد الدولة الأموية فأخذ **"يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك، ويذم الدنيا ذما بالغا، ويصغر أمرها ويحقره"**[٩]، وحرضهم على مقاتلة الأمويين الذين سماهم **"أئمة الضلال"**[١٠]، ولعل السبب الذي منع صالحا في البداية من عدم إعلان ثورته مع موجة ثورات الخوارج التي حدثت بعد وفاة يزيد بن معاوية هو عدم اقتناعه بوجود ضرورة ملحه للثورة ضد السلطة طالما أنه يعيش مع أصحابه في وضعية غير مهددة[١١]، ولكن مع تطور الأوضاع السياسية في العراق وتأزم وضع الخوارج الذين أصبحوا الهدف الأول للسلطة

---

(١) المشقر: حصن بين نجران والبحرين. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٢.
(٢) الزبيري، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٤٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦٢.
(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٧١؛ الاسفرايني، المصدر السابق، ص٥٣.
(٤) عبدالله بن الصفار: هو عبدالله بن الصفار من بني صريم بن مقاعس، يعده ابن حزم واحدا من رؤساء الخوارج. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٨.
(٥) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٠٣؛ ابن الوزير، محمد بن إبراهيم (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م). العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ج٩، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت:١٩٩٢م، ص٢٥٧.
(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٧؛ الشهرستاني، المصدر السابق، ص١٣٧.
(٧) صالح بن مسرح: من بنى امرئ القيس، يكنى أبا مالك، و يعد أحد زعماء الخوارج، خرج زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وانضم إليه شبيب بن يزيد فقتل سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م. انظر: ابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م). الاشتقاق. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت: ١٩٩١م، ص٢١٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص٢١٤.
(٨) ابن ماكولا، المصدر السابق،ج٧، ص١٩٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص١٩٦٨.
(٩) ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٥٢.
(١٠) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٦٦.
(١١) البكاي، المرجع السابق، ص١٨٥.

الأموية في القضاء عليهم، والسياسة الإدارية الجديدة التي وضعها الخليفة عبدالملك بن مروان لإقليم الجزيرة الفراتية ابتداء من تعين محمد بن مروان[1] واليا عليها وضم الموصل إليها، وانتهاء بتعين الحجاج بن يوسف الثقفي واليا على العراق[2]، كلها أسباب منعت الخوارج سواء داخل الجزيرة الفراتية أو خارجها من ممارسة حرية الحركة في المنطقة، وصعوبة التواصل مع أصحابهم من الخوارج، لذلك بدأت الصفرية وقتها بالتحرك وإرسال دعوة الخروج ضد السلطة إلى خوارج المناطق المختلفة، وقد شاءت الأقدار أن تكون هناك شخصية قوية عرفت بشجاعتها وفروسيتها وقفت إلى جانب صالح بن مسرح ألا وهو شبيب بن يزيد الذي كان على المذهب الخارجي، وقد وصلت دعوة صالح بن مسرح إليه فأجابه معترفا بزعامة صالح للحركة، حيث جاء في كتاب شبيب لصالح: **"فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحدا"**[3] وقيل أن شبيب بن يزيد قد خرج للكوفة يسأل عن أهل العبادة والطاعة، فدُل على صالح بن مسرح وسمع منه وقبِل دعوته[4]، ومهما يكن فإن النتيجة كانت التقاء هدف صالح بن مسرح مع هدف شبيب بن يزيد، على الرغم أن شبيب كان في عدائه للأموين هدف شخصي وهو أن عبدالملك بن مروان قد حرمه من العطاء لكثرة تغيبه[5].

خرج شبيب بن يزيد في جماعة من إخوانه وأصحابه إلى دارا حيث صالح بن مسرح، واتفقوا على موعد للخروج، واجتمع حولهم ما يقارب مائة وعشرة أنفس أو مائة وعشرين[6]، وقد حاول صالح بن مسرح أن يغير من طبائع الخوارج التي فشت بين الناس من قتل المخالفين والتنكيل بهم، فدعا أصحابه إلى دعوة المخالفين أولا ثم قتالهم، وإذا ظفروا بهم عفوا عن دمائهم وأموالهم[7]، وهذا بالطبع يختلف عن المبادئ التي اتبعها الخوارج من الشدة والقتل خاصة الأزارقة.

كان على الجزيرة الفراتية يومئذ محمد بن مروان بن الحكم، وقد اتفق الصفرية على الخروج بقيادة صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد الشيباني من بلدة دارا في صفر سنة ٧٦هـ/٦٨٥م، وفي الطريق التقوا بخيل لمحمد بن مروان فاستولوا عليها، مما ساعدهم على تكوين قوة من الفرسان، حيث كان أغلب معسكر الخوارج راجلا، وبعد أن وصل خبرهم إلى

---

(١) محمد بن مروان: هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، ولاه أخوه عبد الملك بن مروان الجزيرة الفراتية، ويعرف بأبو مروان، كان آخر خلفاء بني أمية، قتله بنو العباس حين أظهروا دعوتهم وذلك سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٢٣٣؛ ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). لسان الميزان. تحقيق: سلمان عبد الفتاح، ج٧، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت:٢٠٠٢م، ص٤٩٧.

(٢) البكاي، المرجع السابق، ص١٨٦.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٣.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص١٨.

(٥) المصدر نفسه، ص١٨.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٤.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص٤٨؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٤.

محمد بن مروان استخفَّ بهم، وأرسل لهم ألفاً من جيشه بقيادة عدي بن عدي بن عميرة الكندي[1] ، الذي كان كارها لقتال الخوارج؛ لأنه كان رجلا متنسكا يكره سفك الدماء[2]، أو ربما كان يعلم مدى قوة الخوارج وبأسهم، فخشي مواجهتهم بالعدد القليل الذي معه[3]، وفي المواجهة الأولى بين الطرفين تمكن الخوارج من هزيمة جيش عدي الذي عاد هاربا إلى محمد بن مروان، وما كان من محمد بن مروان هذه المرة إلا أن يعد جيشا أقوى بعد أن أدرك تهاونه بأمر الخوارج، فأمر خالداً بن عبد الله السلمي ومعه ألف وخمسمائة مقاتل، كما دعا الحارث بن جعونة العامري[4] في ألف وخمسمائة وأمرهما بقتال الخوارج، فسار القائدان لمواجهة صالح بن مسرح الذي سار بجيشه نحو آمد[5]، حيث التقى الطرفان وكان على صالح بن مسرح هذه المرة أن يُقسِّم جيشه فرقة بقيادة شبيب بن يزيد ستواجه الحارث بن جعونة العامري، وفرقة بقيادته ستواجه خالد بن عبدالله السلمي، وبدأت المواجهة وتقاتل الفريقان قتالا شديدا انتهى بهزيمة فرقة الخوارج التي خسرت أعدادا كبيرة من جيشها، مما اضطرهم للهرب من أرض الجزيرة الفراتية قاطعين أرض الموصل ومتجهين إلى الكوفة.

كان على الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي، وبعد أن وصله خبر هذه الجماعة من الخوارج أرسل لهم جيشا بقيادة الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني[6] في ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، وكان صالح بن مسرح قد انتهى في العدد القليل الذي بقي معه والذي لم يتجاوز التسعين مقاتل إلى قرية يقال لها مدبج، وبدأت المواجهة بينه وبين الجيوش الأموية في معركة كانت نتيجتها محسومة بسبب الفارق الكبير بين أعداد الفريقين، إذ انتهت المواجهة بهزيمة الخوارج ومقتل قائدهم صالح بن مسرح التميمي، وفر شبيب هاربا بمن بقي معه إلى حصن في المنطقة، فتبعهم الحارث بن عميرة وحاصرهم ، وقد استمر الحصار حتى تمكن

---

(١) عدي بن عدي: هو عدي بن عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم بن النعمان الكندي، عرف بسيد أهل الجزيرة، كان عاملا على الموصل زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، وولي الجزيرة زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك، توفي سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م. انظر: المزي، المصدر السابق، ج١٩، ص ص٥٣٤-٥٣٦؛ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م). الجرح والتعديل. ج٧، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٥٢م، ص٣.

(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص٩؛ ص٨؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٣٢٥.

(٣) ذكر الجاحظ أن واحدة من خصال الخوارج أنهم كانوا على الرغم من قلة أعدادهم في المعارك إلا أنه لا يقوا عليهم أحد، وأن قادة الجيوش قد عرفوا ذلك فكرهوا ملاقاتهم. انظر: الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ/٨٦٨م). الرسائل السياسية. د.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص٤٩٤.

(٤) الحارث بن جعونة: هو الحارث بن جعونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة، تولى قيادة الجيوش الأموية ضد الخوارج الصفرية سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٥.

(٥) آمد: أعظم مدن ديار بكر، وهي بلد قديم على مرتفع دجلة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٥٧.

(٦) الحارث بن عميرة: هو الحارث بن عميرة بن مالك بن حمزة بن أنفع بن زبيب بن شراحيل الهمداني، عرف بممدوح الأعشى . انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٩٣.

الخوارج من مباغتة الجيش الأموي ليلا، وتمكنوا من مقتل قائد الجيش الحارث بن عميرة واستولوا على معسكرهم[١]، مما اضطر جيش الحارث من الانسحاب إلى المدائن.

إن هذه المواجهة تعكس القوة والحماس التي يتمع بها الخوارج وبأسهم الشديد في القتال، فعلى الرغم من قلة أعدادهم إلا أنهم لم يستسلموا، وكانوا يحاولون دائما استغلال الفرص ومباغتة العدو حتى يظفروا بالانتصار.

تولى قيادة هذه الفرقة بعد موت صالح بن مسرح شبيب بن يزيد، وتختلف الروايات في طريقة اختياره قائدا، فيُروى أن شبيب هو من اقترح على من بقي من الخوارج أن يبايعوه عندما كانوا محاصرين في الحصن حتى يتمكن من قيادتهم ليلا ومواجهة معسكر العدو[٢]، وقيل إن صالح بن مسرح هو من استخلف شبيب لقيادة الحركة قبل موته وطلب من أصحابه مبايعته لشجاعته وقوته[٣].

انتقل شبيب بأتباعه إلى الموصل، وهناك انضم إلى صفوفه سلامة بن سيار الشيباني[٤] الذي كان على صلة سابقه بشبيب ويعدُّ واحداً من أصحابه، فوافق سلامة على الانضمام إلى شبيب شرط أن يساعده في قتال بني عنزه أخواله الذين قتلوا أخاه فضالة بن سيار الشيباني[٥]، والذي يعد واحدا من كبار الخوارج ثار في الجزيرة الفراتية من قبل، فوافق شبيب على شرطه لحاجته إلى زيادة أعداد أتباعه، ويشكك البلاذري في قبول سلامة بن سيار في الانضمام إلى شبيب، ولعل هذا الشك في محله إذا لا نجد ذكرا لسلامة في حروب شبيب بعد واقعة سلامة مع أخواله، ونرى أن قبول سلامة لعرض شبيب ما كان إلا تأكيد على أن مواقف الخوارج غالبا ما كانت تنساق وراء أهوائهم ومصالحهم الشخصية؛ لأن سلامة الشيباني قبل الانضمام لشبيب حتى يحصل على مساعدته في قتال أخواله من ناحية ،ومن ناحية أخرى كان هذا الدافع لباسا يواري حقيقته حتى لا يكون لأتباعه من الخوارج حجة عليه في تكفيره واستحلال دمه إذا ما خالفهم في الرأي ورفض الانضمام.

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٥.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٥٥.
(٣) ابن خياط، التاريخ، ص١٧٢؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٠١.
(٤) سلامة بن سيار: هو سلامة بن سيار الشيباني ، شاعرا من شعراء الخوارج، استجاب لشبيب بن يزيد في الخروج على الدولة الأموية لتحقيق مصلحته في الثأر من أخواله الذين قتلوا أخاه فضالة وبعدها لم يستمر مع شبيب. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص١٩.
(٥) فضالة بن سيار: هو فضالة بن سيار الشيباني الخارجي، خرج في الموصل قبل خروج صالح بن مسرح، وكان معه ثمانية عشر رجلا فقط، تمكن عبد الملك بن مروان من القضاء عليهم بمساعدة أخوال فضالة، ففرض لهم عبد الملك بن مروان العطاء وأقطعهم أرضا نزلوا بها. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٨، ص١٩.

أغار شبيب على عشيرته بني تيم بن شيبان وقتل ثلاثين شيخا منهم، وأخذ معه زوجته غزالة[1] لتشاركه في حروبه، ويصف لنا الطبري حالة الرعب التي أصابت القوم بسبب تقدم شبيب نحوهم فيقول: **"أن شبيبا أقبل في أصحابه نحو راذان، فلما سمعت به طائفه من بنى تيم بن شيبان خرجوا هرابا منه، ومعهم ناس من غيرهم قليل، فاقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حولايا، وهم نحو من ثلاثة آلاف، وشبيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا، فنزل بهم ،فهابوه وتحصنوا منه"**[2]، ونرى أن هذه الرواية تلقي الضوء على منهج الخوارج الذي كان له الأثر السلبي على استقرار المجتمع، وعلى نشر الذعر والخوف بين الناس لما اتَّبعوه من أسلوب سفك الدماء، وترويع الآمنين، وقطع الأرحام وغيرها من الأساليب التي تنفر المجتمع منهم.

استمرت غارات شبيب في منطقتي العراق والجزيرة الفراتية مما جعل الحجاج بن يوسف الثقفي يرسل له الجيوش الواحدة تلو الأخرى، ولكن شبيب بفضل خبرته العسكرية وخلفيته الجغرافية عن المنطقة[3] على الرغم من قلة أتباعه، وبسبب خطته في المعارك والتي تعتمد على مباغتة العدو ليلا (البيات) والمفاجئة ثم الانسحاب بعد إرباك خصومه، كلها عوامل مكنته من هزيمة خمسة من جيوش الحجاج[4]، كما تمكن شبيب من دخول الكوفة سنة ٧٦هـ/٦٩٥م، وقيل أن دخول الصفرية إلى الكوفة هذه المرة كان لأجل أن توفي غزالة بنذر نذرته وهو أن تدخل الكوفة وتصلي في مسجدها، وتقرأ فيه سورتي البقرة وآل عمران، حيث يقول عمران بن حطان في ذلك[5]:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تجفل من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جوانح طائر

صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت مناظرة كأمس الدابر

ولكن نرى أنه ليس من المعقول أن يخاطر شبيب بمن معه من الأعداد القليلة ويدخل الكوفة لهذا السبب فقط، فمن المحتمل أن كانت تراوده غايات أخرى حتى تكون لديه الشجاعة لدخول الكوفة، فهو يعلم أن كل من بالكوفة يعدونه عدو ويتمنون القضاء عليه بأسرع وقت ممكن، وأن بالكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي عُرف بقوته وغلظته لأعدائه، وأن بالعدد

---

(١) غزالة: واحدة من ربات الشجاعة والفروسية، وهي زوجة شبيب بن يزيد الخارجي، خرجت معه على الدولة الأموية عندما كان الحجاج بن يوسف الثقفي واليا على العراق، وأوفت بنذ لها وكان أن تصلي في مسجد الكوفة ثم قتلت في مواجهة بين الخوارج والحجاج بن يوسف. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج ٢، ص ص٤٥٤-٤٥٥.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٦.

(٣) البكاي، المرجع السابق، ص١٩٠.

(٤) ابن خياط، التاريخ، ص ص ١٧٢-١٧٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص١٩٦٨.

(٥) ابن خياط، التاريخ، ص١٧٢.

القليل الذي معه لن يتمكن من الاستيلاء على الكوفة، لذلك يبدو لنا أن شبيب أراد مع تحقيق نذر زوجته أن ينشر الرعب والخوف بين أهل الكوفة، ويثبت لهم قوة الخوارج وبأسهم، كما فعل الأزارقة ذلك من قبل عندما حاصروا البصرة ولم يدخلوها، فقد أرادوا إثارة الرعب بين أهلها، أضف إلى ذلك أن شبيب أراد كسر شوكة الحجاج بن يوسف الثقفي فدخوله الكوفة تحديا لوالي العراق أيضا.

بعدما رأى الحجاج أن خطر الصفرية قد استفحل كثيرا خاصة على الكوفة قرر أن يستنجد بالخليفة عبدالملك بن مروان فأرسل له يقول: **"أما بعد، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيبا قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة، في كلها يقتل أمراءهم، ويفل جنودهم، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا عدوهم ويأكلوا بلادهم فليفعل، والسلام"**[1] إن هذه الرسالة من الحجاج تعكس لنا القوة التي وصل إليها الخوارج في هذه الفترة، وعلى قدراتهم العسكرية العالية في القتال على الرغم من قلة أعدادهم، وقد كان الخوارج قد أثاروا الرعب والجزع بين الناس حتى وصل الأمر أن أخذ المقاتلة يفرون بمجرد سماعهم خبر قدوم شبيب إليهم، كما تعكس لنا الرسالة أيضا عدم ثقة الحجاج بن يوسف الثقفي بأهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة وهذا ما جعله يستنجد بجيش الشام.

التحم جيش الشام مع جيش الكوفة بقيادة عتاب بن ورقاء الرياحي الذي كان يقاتل الأزارقة مع المهلب فاستدعاه الحجاج لقتال الصفرية، ووصل عدد هذا الجيش إلى ما يقارب من خمسين ألف[2]، ومهما كان العدد مبالغ فيه والمصدر الذي أشار إليه متأخر والمصادر القريبة لا تذكر العدد فإن المعقول في الأمر أن يكون عدد الجيش الأموي أكثر بكثير من جيش الخوارج، ولكن وعلى الرغم من كثرة العدد فقد تمكن شبيب هذه المرة أيضا أن يهزم الجيش الأموي، ويقتل قائدهم عتاب بن ورقاء الرياحي. ولكن يا ترى ما هي الأسباب التي ساعدت شبيب على الانتصار؟

يبدو أن أسلوب التهديد الذي استخدمه الحجاج بن يوسف الثقفي والذي خاطب به أهل الكوفة خاصة[3] كان له الأثر السلبي على نفسية المقاتلين وتحطيم معنوياتهم، مما سيجعل أهل العراق يخذلون عتاب بن ورقاء ويتفرقون عنه أثناء مواجهته لشبيب[4]، وأن المقاتلة قد

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١١٦٩؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٨.
(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٥.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص ص١١٧٠-١١٧١.
(٤) المصدر نفسه، ص١١٧٢.

ضجروا من مقاتلة الخوارج الذين استفحل خطرهم كثيرا، كذلك من المؤكد أن الحنكة السياسية لشبيب وعمليات الكر التي استخدمها في قتال خصومه كان لها الدور الكبير في انتصاره.

كانت النتيجة أن تقدم شبيب نحو الكوفة فأخذ الحجاج يرسل له مجموعات صغيرة لقتاله الواحدة تلو الأخرى، وشبيب يقضي عليها تباعا حتى قرر الحجاج أن يتولى قيادة الجيش بنفسه هذه المرة لما رأى من استفحال خطر الخوارج، ونرى أن الحجاج ربما يكون قد خشي على وضعه فأراد أن يثبت لعبدالملك بن مروان وللأمويين أن القضاء على الخوارج سيكون بيده هذه المرة، وقد أشرك معه في الجيش جماعة من المقاتلة الكوفيين الذي لم يشتركوا في القتال من قبل وجعل قيادتهم لخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي[١].

تمت المواجهة بين الحجاج وشبيب وكان النصر هذه المرة حليفا للحجاج؛ فقد تجمعت العديد من العوامل التي أسهمت في انتصار الحجاج على الخوارج ومنها إسهام جيش الشام في زيادة قوة جيش العراق، وكان للهجوم المفاجئ الذي قام به خالد بن عتاب بن ورقاء من خلف معسكر الخوارج دور في إثارة البلبلة في صفوف الخوارج[٢]، كذلك كان لوجود عناصر انضمت إلى الحركة الخارجية دون اقتناع كامل بالفكر الخارجي[٣] وإنما من أجل المال فقط، وتفرق أتباع شبيب عنه لأنه سُئل عن قوله في صالح بن مسرح فتبرئ شبيب من صالح[٤]مما أدى إلى وقوع الخلاف بينه وبين أتباعه وتفرقوا عنه وكان ذلك سببا أدى إلى هزيمته[٥]، وكان للأمان الذي منحه الحجاج للخوارج بعد القتال دور في قبول الخوارج الذي انهكهم القتال ليطلبوا الأمان من الحجاج[٦] وبذلك لم يبقَ مع شبيب إلا عدد قليل، مما دفعه إلى السير نحو كرمان هربا من الحجاج، ولكون كرمان أقل خطرا عليه حيث يوجد بها الخوارج الأزارقة أيضا، وبعد شهرين من بقاء شبيب في كرمان انتقل إلى الأهواز، وهناك واجه شبيب جيش الشام بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي، ودارت بين الطرفين معركة لم تنتهِ بنتيجة حاسمة، لذلك قرر شبيب أن يعبر جسر دجيل[٧] وينتقل للضفة الأخرى حتى يكمل القتال في اليوم التالي، ولكن شاعت

---

(١) خالد بن عتاب: هو خالد بن عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح التميمي، كان من أشجع الناس، ولي الري للحجاج بن يوسف الثقفي وشارك في قتال الخوارج، ثم هرب من الحجاج إلى عبد الملك بن مروان فأمنه. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٦، ص ص١٧١-١٧٣.

(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٥؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٧٢.

(٣) يقول الطبري: "وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلحقوا به، وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات". انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٦٩.

(٤) يعود سبب براءة شبيب من صالح؛ أن شبيب خالف صالح في أمر تجويز إمامة النساء، فصالح كان لا يرى جواز ذلك في حين أن شبيب كان يجيز إمامة النساء إذا قمن بأمر الرعية وقاتلن مخالفيهم. انظر: الإسفرايني، المصدر السابق، ص٦٠.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٥.

(٦) المصدر نفسه، ص١١٧٦.

(٧) دجيل: نهر في الأهواز، منبعه من أصبهان ويصب في بحر فارس. الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٣.

الأقدار أن يتدحرج فرس شبيب ويسقط في النهر ويغرق شبيب، لتنتهي بغرقه حركة الصفرية التي قادها وذلك سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م[١].

وبموت شبيب الخارجي يكون عبدالملك بن مروان قد تمكن من القضاء على واحدة من أخطر الحركات التي استنزفت قوة الدولة الأموية، مما سيمهد الاستقرار لخلافة عبدالملك بن مروان ولمن جاء بعده من الخلفاء[٢]، ويمكن أن نجمل الأسباب التي ساعدت عبدالملك بن مروان في القضاء على حركة الخوارج في الآتي:

١- تفكك الخوارج وانعدام الوحدة بين فرقهم كان السبب الرئيسي الذي ساعد في القضاء عليهم الواحدة تلو الأخرى، فالخوارج لم يكونوا كتلة واحدة، ولم تكن بينهم حلول توفيقية، بل كانت كل فرقة تتعصب لآرائها ومبادئها، وسرعان ما كانوا يختلفون وينقسمون، ولعل الطبيعة البدوية التي تشكلت منها معظم عناصر الخوارج الأثر الكبير في ذلك[٣]، ولو اتحدوا لشكلوا خطورة كبيرة على الدولة الأموية[٤].
٢- سياسة الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي وتصميمه للقضاء على الخوارج بكل الوسائل المتاحة التي اتبعها، سواء من حيث الخطط العسكرية المناسبة التي كان يضعها، أواستخدامه للعيون و الجواسيس[٥]، وعدم تردده في إعطاء الأمان للعدو عندما كان يضمن أنها الطريقة المناسبة لتشتيته.
٣- مراقبة عبدالملك بن مروان المباشرة للأوضاع وسيرها، فعزل خالد بن عبدالله القسري عندما وجده يسير وفق مصالحه الشخصية، وعيَّن الحجاج بن يوسف الثقفي، ولم يكتفِ بذلك بل كان يرسم للحجاج سياسته التي يجب أن يسير فيها بين الناس، وهذا يتبين من رسالة تعينه[٦]، فعبدالملك قد وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.
٤- عدم اعتراف الخوارج بالسلطة المركزية التي كانت تفرض عليهم الإنضباط والنظام، وميولهم الدائم للنزعة الفردية[٧].
٥- انقسام الخوارج إلى فرق عديدة أدى إلى إضعافهم وسهولة القضاء عليهم، فكان للتصلب الديني الشديد الذي عرف به الخوارج، وتمسكهم بالمعتقدات الدينية التي كانوا

---

(١) ابن خياط، التاريخ، ص١٧٣؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص١٩٠.
(٢) ماجد، المرجع السابق، ص١٢٨.
(٣) طه، عبد الوحد ذنون. "من أسباب فشل الثورات العراقية في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي". مجلة التربية والعلم، عدد٢، بغداد: ١٩٨٠م، ص١٤٠.
(٤) أمين، أحمد. فجر الإسلام. ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت:١٩٦٩م، ص٢٥٩.
(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٦.
(٦) بعث عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: " يا حجاج فقد وليتك العراقيين صدقة، فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة، وإياك وهوينا الحجاز، فإن القائل هناك يقول ألفاً ولا يقطع بهن حرفاً، وقد رميت العرض الأقصى، فارمه بنفسك، وأرد ما أردته بك، والسلام". انظر: اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٦٨.
(٧) فوزي، نشأة الحركات الدينية والسياسية في الإسلام، ص٥١.

يدينون بها سببا هاما في إحداث الفرقة والانشقاق بينهم إذا ما وجدوا من انحرف عن هذه المعتقدات والمبادئ[1].

(١) عز الدين، مصطفى. "فرقة الخوارج". مجلة الرسالة، العدد١٠٩، القاهرة: ١٩٣٥م، ص١٢٥٧.

الفصل الثالث: الأباضية وموقفها من الدولة الأموية

١ـ نشأة الأباضية وموقفها من الأحداث السياسية (خاصة حركة عبدالله بن الزبير).

٢ـ علاقة الأباضية بالدولة الأموية.

الفصل الثالث: الأباضية وموقفها من الدولة الأموية

١- نشأة الأباضية[١] وموقفها من الأحداث السياسية (خاصة حركة عبدالله بن الزبير)

أ- نشأة الأباضية:

إن الفتنة الكبرى التي ألمت بالعالم الإسلامي في العقد الأول من القرن الأول الهجري لم ينته تأثيرها عند حد أو زمن معين، بل نرى تأثيرها يمتد إلى أزمنة لاحقة وكأنه لا نهاية لهذا التأثير، وكان للفتنة تأثير سلبي على وحدة المسلمين وعلى قوتهم، ففي دوامتها ظهرت فرق وجماعات ومذاهب في مرأى من أعين الحكام والعلماء، دون أن يكون لهؤلاء القدرة على وقف تيار بعض هذه الجماعات والمذاهب. لقد كان المذهب الأباضي واحدا من المذاهب التي خرجت من وسط هذا التيار، ولكنه انفرد بحالة خاصة أثناء نشأته التي يمكن القول بأنها كانت نشأة غير مباشرة -كما سيتضح لاحقا- مما جعله مذهبا معرضا للإتهامات والشكوك من بقية أهل الفرق والمذاهب وأهل السياسة نتيجة لسرية الدعوة الأباضية.

لقد ضمت المصادر جدلا تاريخيا كبيرا حول أصل تسمية الأباضية ونشأتها، وتضاربت الروايات حول أصل الأباضية[٢]، وهل يعد الأباضية من الخوارج أم لا، وقد وصل هذا الجدل إلى الاختلاف حول المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة، ولكن كل ما يعنينا في هذا البحث هو التطرق لنشأة فرقة الأباضية، وعلاقتها بالدولة الأموية كواحدة من حركات المعارضة، لذلك سيقتصر الحديث على الأحداث التاريخية ذات العلاقة المباشرة بنشأة هذه الفرقة، ووجه معارضتها للدولة الأموية.

تجاوزت الأمة الإسلامية المحنة التي مرت بها بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتي كادت أن تودي بها، إذ تمكن الخليفتان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) من أن يخمدا نار الخلاف التي تأججت حول أحقية الخلافة، وجاء الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لتعود هذه النار إلى الاشتعال مرة أخرى، في أخطر محنة واجهت الأمة الإسلامية ألا وهي "الفتنة الكبرى" والتي كان من أكبر نتائجها ازدياد فجوة الخلاف بين المسلمين، وتطور الخلاف من حرب كلامية بين الجماعات والأحزاب إلى حرب بالسلاح، وزاد الأمر سوءا بعد أن قُتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ودار النزاع بين الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان، وما تبع ذلك من ظهور الخوارج أو من

---

(١) يوجد خلاف بين الأباضية حول فتح همزة أباض او كسرها، فالأباضيون في عمان يفتحون الهمزة (أباضية)، وفي شمال إفريقيا يكسرون الهمزة (إباضية). انظر: باباعمي، محمد بن موسى وآخرون. معجم أعلام الأباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي. مراجعة: محمد صالح ناصر. ج٢، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت:١٩٩٩م، ص٥.

(٢) المقدسي، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٨؛ الملطي، المصدر السابق، ص٤٢؛ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٥، ص٥١.

عرفوا باسم المحكّمة والحرورية الذين رفضوا التحكيم، إذ تخلت هذه الفرقة عن الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بعد قبوله التحكيم وأخذت تنادي بإمام للمسلمين يُنتخب بالشورى، ودون اعتبار للقبيلة.

إن الفكر السياسي الذي تبنته هذه الجماعة والذي سيكون من أهم مبادئ الأباضية لاحقا، جعل بعض الباحثين المحدثين يرجعون أصول الفكر السياسي لدى الأباضية إلى اجتماع السقيفة[1]، وأن هذه الأصول تتمثل في الشورى، وفي حرية اختيار الخليفة، خليفة يجمع عليه العامة، بغض النظر عن جنسه ولونه وقبيلته، وقد وضح هذه الأصول في السقيفة جماعة الأنصار بقيادة سعد بن عبادة الخزرجي[2]، الذين رأوا جواز الإمامة في غير قريش.

إن المسألة في بدايتها لم تتعد أن تكون خلافا سياسيا مبنيا على قيم إسلامية تتمثل في العدل والمساواة والحرية في إبداء الرأي والاختيار، وقد طبقت المحكّمة التي تبنت هذه المبادئ وبايعت عبدالله بن وهب الراسبي إماما عليها، لتبدأ المواجهة بينهم وبين الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في معركة النهروان سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م، والتي كان من أبرز نتائجها اعتزال أبو بلال مرداس بن أديّة المحكمة في جماعة قليلة هالها أمر سفك الدماء، وتوجه إلى البصرة، وهذه الجماعة هي التي ستعرف فيما بعد باسم الأباضية[3].

التجأ أبو بلال مرداس بن أُديّة إلى البصرة حيث أبناء عمومته بني تميم وعلى رأسهم الأحنف بن قيس السعدي، وتحت الحماية التي عاشها أبو بلال في كنف قبيلة بني تميم أخذ يدعو إلى أفكاره وآرائه، وينشرها بين الناس بالسلم والإقناع، وبعيدا كل البعد عن منهج الشدة والحرب، فكان مبدأه **"لا نقاتل إلا من يقاتلنا، ولا نجبي إلا ما حمينا"**[4].

لاقت الأفكار التي بثها أبو بلال القبول الكبير، وانضمت إليه أعداد كثيرة، لدرجة أنهم ابتنوا لهم مسجدا في البصرة[5]،ولعل العوامل التي ساعدت أبا بلال على نشر أفكاره وبالتالي ما لقيته هذه الأفكار من قبول هو الحرية النسبية التي تمكن فيها أبو بلال من الدعوة إلى أفكاره في ظل حماية قبيلة بني تميم كما ذكرنا، كذلك الأفكار نفسها التي دعا إليها أبو بلال كلها أفكارا معتدلة سلمية تكره العنف والقتال، لذلك لم تولِ الدولة الأموية اهتماما كثيرا لأمرهم فقد كانت

---

(١) الخروصي، سالم بن هلال. الفكر السياسي عند الأباضية والزيدية. ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٤١.
(٢) سعد بن عبادة الخزرجي: هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة الخزرجي ، سيدا جوادا، شهد أحد والخندق، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لمبايعته بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يتم الأمر له، فرفض مبايعة أبو بكر الصديق ومن بعده عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وولى مهاجرا إلى بلاد الشام ومات فيها. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص ص ٣٦٦، ٣٧٠.
(٣) خليفات، عوض محمد. الأصول التاريخية للفرقة الأباضية. د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٢م، ص٥.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ١٨٩.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٢٢.

معارضتهم غير مسلحة ، أضف إلى ذلك ما عرف عن أبي بلال من السيرة الحسنة والورع والتقوى.

ظل أبو بلال يبث دعوته في سرية تامة، ويعمل في الخفاء حتى لا يثير عمال بني أمية، ولكن ما لبث أن تغيرت السياسة الأموية اتجاه أبو بلال وأتباعه بعد تولي عبيدالله بن زياد ولاية البصرة سنة ٥٥هـ/٦٧٥م، حيث تبع عبيدالله سياسة البطش والقتل بكل من خرج على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وكان أبو بلال واحدا من الذين سجنهم عبيدالله، ولكنه عفا عنه بعد ذلك خوفا من أن يثير قبيلة بني تميم التي كانت لها مكانتها الكبيرة في البصرة(١)، ولكن عفو عبيدالله بن زياد لم يشمل أتباع أبي بلال، بل استمر عبيدالله في التنكيل بهم وسجنهم وصلبهم، مما دعا أبو بلال إلى الخروج من البصرة والبحث عن مكان آمن له ولأتباعه، فكانت وجهته هذه المرة إلى آسك(٢)، ولم يطمئن عبيدالله بن زياد لخروج أبي بلال، وخشي أن يكون خروجه بهدف إعلان الثورة ضده وضد الدولة الأموية، فأرسل إليه جيشاً بقيادة عباد بن علقمة المازني(٣) في أربعة آلاف تمكنوا من إبادة أبي بلال والعدد القليل الذي كان معه، والذي لم يتجاوز الأربعين(٤) وكان ذلك سنة ٦١هـ/٦٨٠م(٥).

مما لاشك فيه إن إجراءات عبيدالله بن زياد ضد المعارضين قد تجاوزت الحدود المتعارف عليها والتي أشرنا إليها، فقد وصلت لكل الجماعات التي تبنت فكرا مغايرا للدولة الأموية، سواء منها التي كانت معارضتها معارضة سلمية كجماعة أبو بلال مرداس بن أُديّة الذي لم يرفع السلاح في وجه الوالي الأموي، واكتفى بنشر أفكاره ومبادئه بطرق بعيدة عن العنف، كما وصلت إجراءاته القمعية أيضا إلى الجماعات التي رفعت المعارضة المسلحة من فرق خارجية أخرى(٦).

لقد ترك مقتل أبو بلال وأتباعه في آسك آثارا دينية وسياسية، حيث تأصلت الأفكار والمبادئ التي كان ينادي بها أبو بلال في نفوس أتباعه، ولم يزدهم مقتله سوى زيادة في تمسكهم بنهجه، وتشبثا بآرائه المعتدلة، كما نقم جماعة من القعدة على عبيدالله بن زياد ما فعله في أبي بلال مرداس وأصحابه، وقرروا الانتقام لمقتل قائدهم ومثلهم الأعلى، فتمكنوا من الأخذ بثأره

---

(١) خليفات، عوض محمد. نشأة الحركة الأباضية. ط١، ٢٠٠٢م، ص٦٩.
(٢) آسك: موضع ببلاد فارس بين ارجان ورامهرمز. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٥٣.
(٣) عباد بن علقمة المازني: هو عباد بن علقمة بن عباد بن جعفر من بني تميم، عرف باسم عباد بن أخضر، وأخضر هذا الذي نسب إليه هو زوج أمه، خرج بأمر عبيدالله بن زياد وقاتل أبو بلال مرداس بن أديّة وأصحابه حتى قتله. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص ص١٩٢-١٩٣؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٠٠.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص١٩١.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص٩٦٠.
(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٧٨.

وقتل عباد بن علقمة المازني قائد الجيش الذي قتل أبا بلال، وزاد الأمر سوءا بأن خرج بعضهم عن نهج القعدة إلى سياسة الاغتيال والقتل السري، الأمر الذي زاد من غضب عبيدالله بن زياد[1] فأخذ يزج بهم في السجن تارة ويقتلهم تارة أخرى.

كردة فعل ضد الأمويين شارك الخوارج عبدالله بن الزبير سنة ٦٤هـ/٦٨٤م في قتال جيش الشام الذي أرسله يزيد بن معاوية بقيادة الحصين بن نمير السكوني، إذ تذكر المصادر التاريخية أسماء عدد من الخوارج الذين خرجوا من البصرة إلى مكة للوقوف إلى جانب ابن الزبير، ومنهم نجدة بن عامر الحنفي، ونافع بن الأزرق، وعبدالله بن الصفار وعبدالله بن أباض وبنو الماحوز[2]، وينفي النابودة مساعدة الخوارج عبدالله بن الزبير بسبب الاختلاف الكبير بينه وبينهم من ناحية، من حيث موقفه من عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولكون والده الزبير بن العوام[3] واحدا من الذين تبرأ منهم الخوارج، ومن ناحية أخرى تشدد عبيدالله بن زياد لن يسمح لهم بالخروج والتوجه لمساعدة عبدالله بن الزبير[4]، ولكن نرى أن اتفاق المصادر التاريخية على خروج جماعة من الخوارج لمساعدة ابن الزبير[5] دليل على وقوع مثل هذا الحدث، وجماعة الخوارج التي اتجهت إلى مكة ربما لم تخرج في شكل جماعة واحدة حتى لا تثير عامل الأمويين عبيدالله بن زياد، كما أن الخوارج قد عرفوا بتمسكهم الديني، وقد جمعتهم مع ابن الزبير مصلحة واحدة وهي العداء للأمويين والدفاع عن بيت الله الحرام، إذ يذكر البلاذري **"وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره، ولكنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام"**[6] وليس من المعقول أن يسمعوا بأن حرم الله قد تعرض للخطر ولا يتوجهون للدفاع عنه مهما كان موقفهم من عبدالله بن الزبير، خاصة بعدما رأوا ما حل بالمدينة المنورة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م على يد القائد الأموي مسلم بن عقبة ، كذلك أن الخوارج لم يكونوا متيقنين من موقف ابن الزبير من الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وقد سألوه عن موقفه بعد دفاعهم عن مكة، وبعد أن تبين لهم أن موقف ابن الزبير يختلف مع موقفهم تركوه مباشرة وعادوا إلى البصرة[7].

---

(١) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، د.ط، مطبعة البعث، ١٩٧٤م،ص٢٢٤.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٣؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٣،١٠٢٩؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩٨.
(٣) الزبير بن العوام: هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، يكنى أبا عبدالله، من أوائل من دخلوا في الإسلام، شارك الرسول (صلى الله عليه وسلم) في جميع غزواته، قاتل الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يوم الجمل، وقتل بعدها مباشرة. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص ص٩٣-١٠٣.
(٤) النابودة، محمد حسن. "عبدالله بن أباض ونشأة المذهب الأباضي". مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٥و ٤٦، ١٩٩٣م، ص٤٣.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٥٨؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٥٩٣؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩٨.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٤٠١؛ فوزي، فاروق عمر. الخليج العربي في العصور الاسلامية. ط١، دار القلم، دبي:١٩٨٣م، ص٩٠.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٢.

عاد الخوارج إلى البصرة بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية وعودة جيش الشام وعدم اتفاقهم مع ابن الزبير، فحدث الانقسام الأول بين صفوف الخوارج بعد أن اختلفوا في أمر الثورة، واستمرار قتال الأعداء، وانقسموا إلى فرقتين:

الأولى: جماعة الأزارقة[1] الذين خرجوا بقيادة نافع بن الأزرق، إذ رأى نافع أن يستمر في قتال الأمويين والمخالفين له، وأحل سفك الدماء واستعراض الناس، وخرج بأتباعه إلى الأهواز.

الثانية: فرقة آثرت القعود ومنهم عبدالله بن أباض وعبدالله بن الصفار، وبعد أن خرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز استمر في إرسال الرسائل للقعدة داعيا إياهم للخروج، مما أدى إلى حدوث جدل فكري بين عبدالله بن أباض وعبدالله بن الصفار حول واحدة من المسائل التي أثارتها رسائل نافع بن الأزرق وهي مسألة موقفهم من المخالفين، إذ كان رد عبدالله بن أباض: **" إن القوم -المخالفين- كفار بالنعم والأحكام وهم برآء من الشرك، ولا تحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام"**[2] وبرئ عبدالله بن أباض من جماعة الأزارقة ومن عبدالله بن الصفار الذي رد قائلا: **"برئ الله منك فقد قصرت، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا، برئ الله منكما جميعا"**[3] فكان لهذا الانقسام تأثيره على المدى التاريخي بالنسبة لجماعة المحكّمة، إذ سيكون لهذا الانقسام أثره على الحركات الخارجية من حيث التطرف والاعتدال[4].

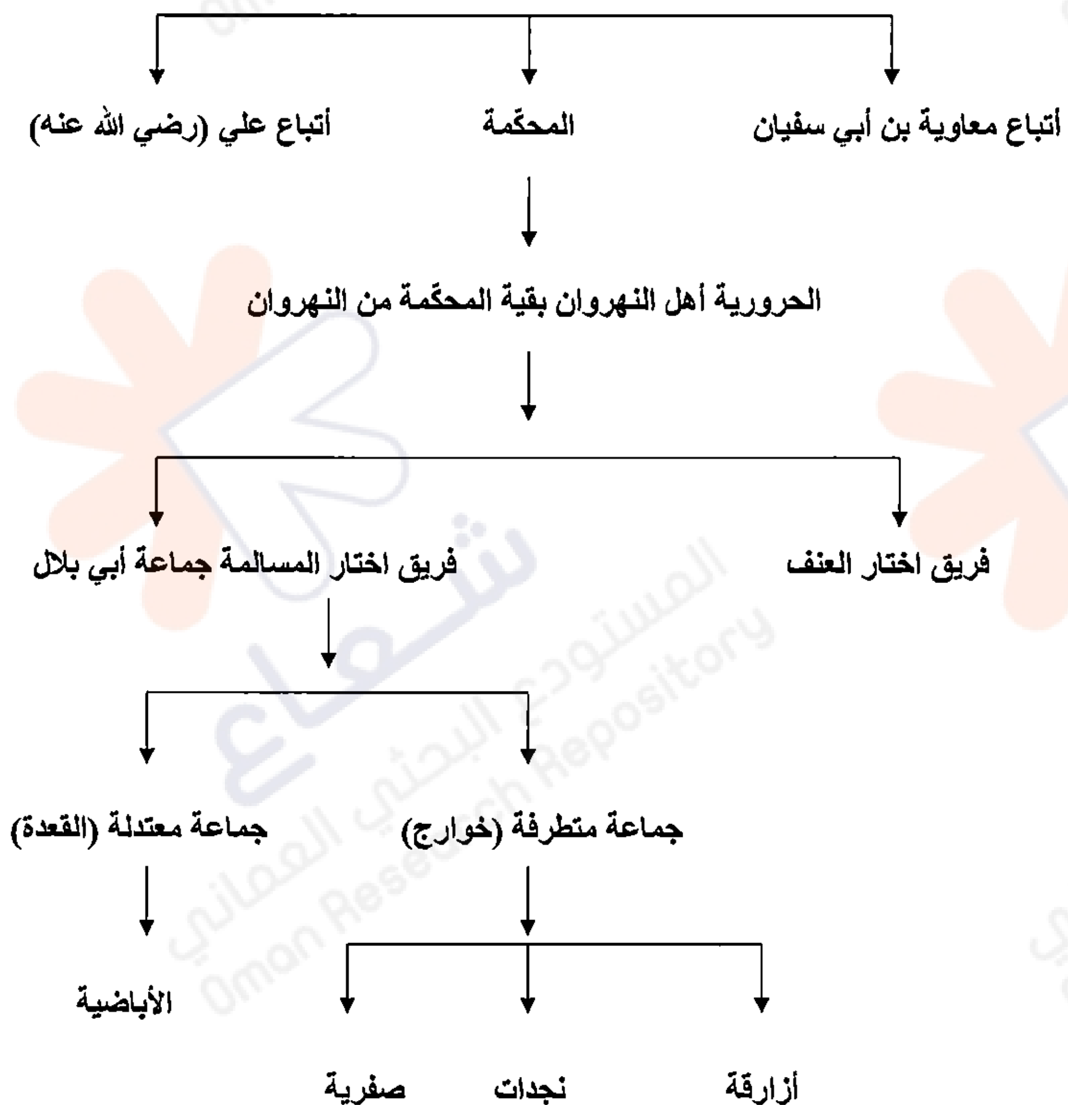
من هنا يتضح أنه في اللحظة التي رفض فيها عبدالله بن أباض إتِّباع نافع بن الأزرق، واختلافه مع عبدالله بن الصفار ومن أخذ برأيهما، كانت اللحظة التي بدأ فيها تشكل فرقة الأباضية وتبلور مبادئها وأفكارها، ولم يبقَ شيء يربط الأباضية بجماعة الخوارج سوى الفكر السياسي حول مسألة الإمامة، وضرورة أن تكون شورى واختيار بين الأمة .

وإذا أخذنا مصطلح الخوارج بمعناه السياسي وهو الخروج على الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فإنه يمكن القول أن جماعة الأباضية خرجت من رحم جماعة الخوارج المحكّمة، والتي بدورها انقسمت إلى جماعتين طغى على إحداها التشدد والتطرف بدرجات متفاوتة، وكان منهم جماعة الأزارقة والصفرية والنجدات، وجماعة أخرى آثرت الاعتدال في مواقفها ومبادئها وهي جماعة الأباضية.

---

(١) تم الحديث عن فرقة الأزارقة في الفصل الثاني.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٥٤.
(٤) فوزي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص٩١.

ويمكننا أن نعطي صورة أقرب توضيحا لنشأة الفرق والجماعات من خلال هذا المخطط الذي يوضح لنا انقسام جماعة المحكّمة وظهور الخوارج والأباضية:



مما لا شك فيه أن تزامن ظهور الأباضية مع ظهور فرق الخوارج الأخرى، واتحاد الرأي بينهم حول موضوع الإمامة، وأن الإمام يجب أن تجتمع عليه "الأمة" بغض النظر عن نسبه وقبيلته، ومرحلة الكتمان والسرية التي انتهجها الأباضية بعد النهروان وبعد وفاة أبي بلال مرداس بن أُديّة، وتفضيلهم القعود على الثورة، كلها عوامل أدخلت الجدل بين المؤرخين حول ما إذا كان الأباضية يعدون من الخوارج أم لا[1]، ولعل ما زاد الأمر اشتباكا هو استخدام الأباضية لمصطلح الخوارج ذاته، والذي يعنون به الخروج للجهاد في سبيل الله بدلالة قوله تعالى: **"وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً"**[2]، ونسبوا ذلك إلى مؤسسي فرقتهم مثل قول أبي سعيد الكدمي[3]: **"ومن الخوارج المرداس بن حدير وعبدالله بن إباض"**[4]مما أثار الجدل بين الفرق حول حقيقة نشأة الأباضية.

لا ريب أن الأباضية واحدة من الفرق التي نادت في بدء القرن الأول الهجري بالشورى في الخلافة، وأن إمام المسلمين لا يشترط أن يكون من قريش، ومع التعمق في حقيقة الفكر السياسي لهذه الجماعة فإن الأباضية تعد فرقة مستقلة لها أراء ومبادئ وأفكار استقلت بها كليا عن باقي جماعة الخوارج، في التوحيد، والعدل، والقضاء والقدر، والولاية والبراءة وغيرها من أصول العقيدة،وبناء على الاختلاف في تعريف جماعة الخوارج بين المدلول السياسي (وهو الخروج على الإمام علي بن أبي طالب) وبين المدلول الديني (وهو المروق في الدين) يمكننا القول أن الأباضية أُعتبروا خوارجا لكونهم خرجوا على الإمام علي، ولكن لا يمكننا وصفهم بالغلو والمروق في الدين فالمصادر الأولية تشهد باعتدال فرقة الأباضية عن باقي فرق الخوارج،ويقول الأشعري عنهم :" **حرموا الاستعراض إذا خرجوا، وحرموا دماء مخالفيهم حتى يدعوهم إلى دينهم، فبرئت الخوارج منهم على ذلك**"[5]،فالأباضية تطور حدث لجماعة المحكّمة، وظلوا محافظين على الأصول الأولى لمبادئ المحكّمة، وقد عبر سالم بن ذكوان[6] عن الموقف الأباضي بقوله: **"فأمرنا تبع لأئمة المسلمين قبل نزول الفتنة للمسلمين يوم قتلوا عثمان ، ويوم الجمل**

---

(١) بحاز، إبراهيم. "مشوهات الإباضية نظرة من الداخل والخارج". الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديما وحديثا، منشورات جامعة آل البيت، عمان:٢٠٠٢م، ١٨٢.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٦.

(٣) أبو سعيد الكدمي: هو سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد الناعبي الكدمي، عاش في القرن الرابع الهجري، من بلدة كدم في ولاية الحمراء بسلطنة عمان، ناظم للشعر أخذ العلم عن والده الشيخ أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي. انظر: السعدي، فهد بن علي. معجم شعراء الأباضية (قسم المشرق). ج١، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط:٢٠٠٧م، ص١٨٢.

(٤) الكدمي، أبو سعيد محمد بن سعيد. الإستقامة . ج١، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٥م، ص٢٢٤.

(٥) الأشعري، المصدر السابق، ج١، ص١٨٥.

(٦) سالم بن ذكوان: هو سالم بن هلال الذكواني، تابعي من مواليد توام في عمان، واحدا من أركان الحركة الأباضية عند نشأتها، صاحب جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ولكفائته العالية اختاره أبو عبيدة ليكون في الوفد الذي أرسل لمفاوضة الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه). انظر: الشماخي، أحمد بن سعيد (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م). كتاب السير. تحقيق: أحمد بن سعود السيابي. ج١، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط:١٩٨٧م ، ص١٠٩؛ باباعمي وآخرون، المرجع السابق، ج٢، ص١٦٧.

ويوم أنكروا تحكيم الرجال في دينهم . ورأينا اليوم لرأيهم تبع يومئذ ، وتأويلنا القرآن اليوم لتأويلهم يومئذ تبع . لسنا ممن يزعم أنه أفاد علما في القرآن والسنة حتى غلبهم"[١].

ب- أصل تسمية الأباضية

تنسب بعض المصادر جماعة الأباضية إلى الحارث بن أباض[٢]، في حين تجمع المصادر الأباضية وغير الأباضية على أن أصل التسمية يعود إلى شخصية عبدالله بن أباض[٣]ويقول البرادي في ذلك: **"إمامهم عبدالله، ونسبوا إلى أبيه أباض لأنه أعرف من عبدالله، وأشهر منه"[٤]**، وعبدالله بن أباض من بني مرة بن عبيد، رهط الأحنف بن قيس التميمي، ونتيجة لقلة المعلومات الواردة عن تاريخ ميلاده وحياته يعده البعض الحلقة المفقودة بين أبي بلال مرداس بن أُديّة، وبين جابر بن زيد المؤسس الحقيقي للمذهب الأباضي[٥]، فشخصية عبدالله بن أباض يكتنفها الغموض لكون المصادر التاريخية لا تذكره إلا في مواطن ثلاث، حيث ذكر في أيام حصار مكة زمن الخليفة الأموي يزيد بن معاوية،وكان عبدالله بن أباض مع جماعة الخوارج الذين خرجوا من البصرة لمساعدة عبدالله بن الزبير[٦]، وذكرته المصادر في الخلاف الذي وقع بين الخوارج حين اختلف عبدالله بن أباض مع نافع بن الأزرق وعبدالله بن الصفار في البصرة بعد عودتهم من مكة[٧]، وفي المرة الثالثة أشارت المصادر إلى رسالة بعث بها عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان[٨].

لا يعرف على وجه الدقة تاريخ ولادة عبدالله بن أباض ، إلا أن الأزكوي ذكر أن ابن أباض نشأ في زمن معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمن عبدالملك بن مروان[٩]، ويذهب بعض الباحثين المحدثين أنه ولد سنة ٧هـ/٦٢٨م[١٠]، وعاصر النبي (صلى الله عليه وسلم) بناء على ما جاء في رسالة ابن أباض لعبدالملك بن مروان: **"نطيع من أمر الله بطاعته، ونعصي من أمر**

---

(١) مجموعة علماء. السير الأباضية، مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، المركز الثقافي، مركز الدراسات العمانية، ص ص١٠٣-١٠٤.

(٢) الأشعري، المصدر السابق، ص١٨٤؛ المقدسي، المصدر السابق، ج٥، ص١٣٨.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج١٢، ص٣٥١؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٠٧؛ الأسفرايني، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤) البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م). الجواهر المنتقاة. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، مكتبة مسجد الجامعة، ص١٥٦.

(٥) النابودة، المرجع السابق، ص ص ٣٥-٣٦.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٣؛ الشماخي، السير، ج١، ص٧٢.

(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص١٤٧؛ المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٢٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٥٣.

(٨) الأزكوي، سرحان بن سعيد (ت١١٤١هـ/١٧٢٨م). كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. دراسة وتحقيق: حسن محمد النابودة، ط١، دار البارودي، بيروت:٢٠٠٦م، ص ص٥٨٨-٦٠٠؛ البرادي، المصدر السابق، ص ص١٥٦-١٦٨؛ السيابي، سالم بن حمود. إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء. تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٧٩م، ص ص٨٦-١٠٠؛ الحارثي، سالم بن حمد. العقود الفضية في أصول الأباضية. د.ط، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان، ص ص ١٢٣-١٣٨.

(٩) الأزكوي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٩٧.

(١٠) حريزي، موسى إبراهيم. الإمام عبدالله بن إباض الحيادي. ط١، جمعية التراث، الجزائر:٢٠١٠م، ص٦٠.

الله بعصيانه...فهذا الذي أدركنا عليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم"[1]، ويرى مهدي طالب هاشم أن ابن اباض ولد في العقد الأول من خلافة معاوية بن أبي سفيان[2].

في حقيقة الأمر إن ما ورد في رسالة ابن أباض لا يعني بالضرورة معاصرته للرسول (صلى الله عليه وسلم) فهو يحمل احتمال الإقتداء بالرسول والأخذ بسيرته، وبناء على ذلك أن ما استنتجه حريزي من أن ولادة ابن اباض كان سنة ٧هـ/٦٢٨م أمر لا يمكن التسليم بصحته؛ لأنه لو أخذنا بهذا الرأي لكان عمر ابن أباض عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنة ١١هـ/٦٣٢م لا يتجاوز أربع سنوات، وهو سن لم يكن فيه ابن اباض قادرا على التميز والإدراك لأوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، أما قول مهدي طالب أن ولادة ابن اباض كان في العقد الأول من خلافة معاوية فهو أمر مستبعد أيضا؛ لأن عبدالله بن أباض تتلمذ على يد كل من عمار بن ياسر[3] وخزيمة بن ثابت[4]، وقد توفي الإثنان سنة ٣٧هـ/٦٥٧م مما يعني أن ابن أباض قد ولد قبل ذلك.

تتلمذ ابن أباض على يد كبار الصحابة ومنهم عبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، ويعد من أقران الأحنف بن قيس[5]، عُرف بعلمه وفصاحته وشجاعته، ويعد بعض المؤرخين المحدثين عبدالله بن أباض منشأ للمذهب الأباضي والإمام الأول للمذهب، وجابر بن زيد هو منظم المذهب وخليفة لعبدلله بن أباض، بحجة أن عبدالله بن أباض أكبر سنا من جابر بن زيد، وأنه لم يتتلمذ على يد جابر بل كان ما يجمعهما التواضع من ابن أباض، ومشاورته لجابر بن زيد لما عرف من نجابته، وأن جابر بن زيد تسلم زمام الأمور بعد وفاة ابن أباض[6]، ويستبعد النامي أن يكون عبدالله بن أباض تلميذا لجابر بن زيد، فقد ذكر تلامذة جابر بن زيد ولم يشر إلى عبدالله بن أباض **"وقد نقل علمه – يقصد جابر بن زيد- إلى الأجيال التالية عبر قناتين: الأولى الأساسية مبنية على ما دونه طلابه الإباضية أمثال ضمام بن السائب، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبي نوح صالح الدهان، وحيان الأعرج وسواهم، والثانية قائمة على ما دونه طلابه غير الإباضية وبينهم عمرو بن دينار وقتادة بن دعامة السدوسي وأيوب السختياني وآخرون"**[7]، ويضيف حريزي أن هناك فارق

---

(١) السيابي، إزالة الوعثاء، ص٩٩.
(٢) هاشم، مهدي طالب. الحركة الأباضية في المشرق العربي. ط٢، دار الحكمة، لندن:٢٠٠٣م، ص٤٥.
(٣) عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة، يكنى أبا اليقظان، كان من المستضعفين في مكة لا منعة له ولا قوة، لذلك كانت قريش تعذبه حتى يرتد عن دين الإسلام، وشهد عمار مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) غزاوته كلها، وقتل عمار مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في صفين. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٤،٢٢٧.
(٤) خزيمة بن ثابت: هو خزيمة بن ثاب الخطمي، ذو الشهادتين، ويكنى أبا عمارة، قدم الكوفة مع الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وبقي معه حتى قتل في صفين. انظر: المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٤.
(٥) القلهاتي، أبو سعيد محمد بن سعيد. الفرق الإسلامية من خلال الكشف والبيان. تحقيق: محمد بن عبد الجليل، د.ط، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس:١٩٨٤م، ص٢٩٤.
(٦) حريزي، المرجع السابق، ص٦٥.
(٧) النامي، عمرو خليفة. دراسات عن الأباضية. ترجمة: ميخائيل خوري وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،٢٠٠١م، ص٧٨.

زمني كبير بين تاريخ وفاة طلاب جابر بن زيد وبين ابن أباض ما يقارب من ستين سنة[1]، مما يستبعد أن يكون ابن اباض تلميذا لجابر بن زيد، كما تثبت بعض المصادر ذلك بالقول أن جابر كان تلميذا لعبدالله بن اباض[2].

ويبرز لنا رأي مغاير على أن عبدالله بن أباض كان تلميذا لجابر بن زيد، والمتكلم العلني باسمه[3]، **"عبدالله بن إباض كان صنوه وتلوه، وكان لا يصدر في النوازل إلا عن رأيه ونظره، و بعد وفاة جابر بن زيد، ظهر عبدالله بن إباض بأجلى مظاهر الغيرة الدينية"**[4]

ومع هذا التضارب الكبير حول من يكون منهما تتلمذ على يد الآخر، نرى أن ذلك لا ينفي الدور الكبير الذي لعبه كل منهما في تاريخ الأباضية، فابن اباض سواء أكان أكبر سنا أم أصغر، وسواء تتلمذ على يد جابر بن زيد أو لا فقد كان له دور كبير في وضع المبادئ الأولى للدعوة الأباضية، وترسيخ قواعد المذهب الأباضي سياسيا، لذلك لا يمكن أن ينفى هذا الدور ولا يمكن التغافل عنه، ولكن الأباضية أصحاب الشأن ينفوا أن يكون عبدالله بن أباض إمام الأباضية الأول، ولا يساوونه بالإمام جابر بن زيد فهم يرون أن عبدالله بن أباض **"لم يكن إمام مذهب خاص أخذ به أتباعه، وقلدوه فيه... فلم يكن هو من الشيوخ المؤسسين للمذهب"**[5]، ولعل الأباضية في نظرتهم هذه ينحازون إلى النظر بالمنظار الروحي والعقدي والفكري، لذلك نراهم يعدون جابر بن زيد إمام الأباضية الأول، والمؤسس الأول لهذه الفرقة.

ولكن إذا كان جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي للأباضية، لماذا لم تنسب إليه هذه الفرقة؟ ولماذا تتباين المصادر حول من يكون منهما تتلمذ على يد الآخر؟

يمكننا تقسيم الأسباب وراء نسبة الأباضية لابن أباض إلى أسباب تعود للدولة الأموية، وأسباب تعود للأباضية أنفسهم، فللأمويون دور كبير في ذلك إذ أن عبدالله بن أباض ونتيجة لمواقفه الجدلية مع الخوارج[6] اكتسب شهرة كبيرة، وزادته شهرة المراسلات التي حدثت بينه وبين عبدالملك بن مروان، ولا يستبعد أن تكون هذه الشهرة سياسة اتبعها الأمويون حتى يلهوا الناس عن القيادة الفعلية لجماعة الأباضية وهو جابر بن زيد، فهم خشوا أن ينسبوا هذه الجماعة

---

(١) حريزي، المرجع السابق، ص ص٦٢- ٦٥.
(٢) أبو زكريا، يحيى بن أبي بكر. سير الأئمة وأخبارهم. تحقيق: إسماعيل العربي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت: ١٩٨٢، ص١٠.
(٣) الحارثي، العقود الفضية، ص١٠٣، ١٢١؛ دبوز، محمد علي. تاريخ المغرب الكبير. ج٣، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٩٦٣م، ص١٣٨؛ باباعمي وآخرون، المرجع السابق، ج٢، ص٢٦٤.
(٤) الشماخي، قاسم بن سعيد. القول المتين. ط٢، مكتبة الضامري، السيب:١٩٩٢م، ص١٠٣؛ معمر، علي يحي. الأباضية في موكب التاريخ. مراجعة : سليمان بن الحاج. ط٣، مكتبة الضامري، السيب:٢٠٠٨م، ص١١٧.
(٥) السيابي، إزالة الوعثاء، ص٥٧.
(٦) معمر، علي يحيى. الأباضية مذهب إسلامي معتدل، تقديم: أحمد بن سعود السيابي، ط٢، مطابع النهضة، ١٩٧٩م، ص٩؛ دبوز، المرجع السابق، ج٣، ١٣٨ .

إلى جابر بن زيد لكونه شخصية معروفة بين الناس بورعه وتقواه ومكانته الكبيرة، وهذا بطبيعة الحال سيزيد من عدد أتباعه من قبيلته الأزد وغيرهم لو ما عرفوا أنه القائد الفعلي لهذه الجماعة، أو أن السلطة الأموية لم تكن تعرف غير عبدالله بن أباض[1]من قادة الحركة، لكون الحركة كانت تمر بمرحلة التنظيم السري، وعلى الرغم أن عبدالله لا يقل عن جابر في الورع والتقوى، ولكن لا يضاهيه في المكانة والشهرة[2] ؛ لأن عبدالله بن أباض شخصية عسكرية أكثر منها دينية، مما يجعل الناس تتوجس خيفة من الانضمام إليه خاصة بعد موجات قمع المناوئين التي اتبعها الأمويون، ولعل ما يؤكد أن هذه التسمية قد جاءت من الأمويين هو أن أتباع الأباضية لم يعترفوا بهذا الاسم في بداية الأمر، بل رفضوه وتسموا بجماعة المسلمين وأهل الدعوة وأهل الحق والاستقامة[3]، ويقول السيابي تأكيدا على ذلك: **"وهذه التسمية جاءتنا من مخالفينا فقبلناها غير متبرمين منها"**[4].

وكان للأباضية دور كبير في نسبة جماعتهم إلى ابن أباض، فقد عد الأباضية ذلك أمرا متعمدا من قادة الحركة؛ لأن الحركة كانت تمر بمرحلة العمل السري (مرحلة الكتمان) وكان من صالحهم إخفاء اسم القائد الحقيقي حتى يبعدوه عن أعين السلطة الأموية، كما أن جابر بن زيد قد انشغل بالعلم وإرساء قواعد المذهب، الأمر الذي اضطره أن يتستر عن الناس ولا يُظهر موقفه السياسي[5]، وهي المرحلة التي كانت تعرف بمرحلة الكتمان والسرية، بل إنَّ جابر بن زيد أوكل إلى ابن اباض مهمة أن يكون المتكلم العلني باسم الأباضية والمدافع عن مبادئها؛ لأنه كان ذا شخصية قوية يتمتع بحماية قبيلته[6]، وقد تحمل ابن اباض مسؤولية الدعوة والدعاة في كل الأمصار، لذلك جاء تسميته برئيس القعدة[7].

وتنفي المصادر الأباضية أن يكون ابن اباض هو المؤسس **"من هنا تعلم أنَّ هذه الأمة التي أصبحت مشمولة باسمه، و معروفة بمذهبه، لم تتلمذ له، ولم تُقَلِّدْهُ في شيء في تعاليمه؛ لأنَّ عندها الرجال تُعرف بالحقِّ، لا الحقَّ بالرجال، فلم يكن عبدالله بن إباض إمام مذهب خاص أخذ به أتباعه، و قَلَّدُوهُ فيه، بل كان هو خاصة يَصْدُرُ عن أهل العلم منهم، كجابر بن زيد، و أبي عبيدة، و إخوانهم، فلم يكن هو من الشيوخ المؤسسين للمذاهب "**[8]، ويقول الشماخي في ذلك أن عبدالله بن أباض : **"يصدر في أمره عن رأي**

---

(١) هاشم، المرجع السابق، ص٤٩.
(٢) المرجع نفسه، ص١٣٨.
(٣) خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الأباضية، ص١٢.
(٤) السيابي، إزالة الوعثاء، ص٤٩.
(٥) ناصر، محمد صالح. منهج الدعوة عند الإباضية. د.ط، مكتبة الاستقامة، مسقط:١٩٩٧م، ص٩٩.
(٦) النامي، المرجع السابق، ص٤٥.
(٧) خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الأباضية، ص٩.
(٨) السيابي، سالم بن حمود (ت١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م). العرى الوثيقة لشرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة للإمام السالمي. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، مكتبة المسجد، ص٤٩.

جابر بن زيد"[1]، واستمر الأباضية يبررون نسبتهم إلى ابن أباض في مؤلفاتهم على أن هذه التسمية جاءت للتمييز وليس للتشريع[2] ويقول نور الدين السالمي[3] في ذلك:

نحن الأولون لم يشرع لنا	نجل إباض مذهبا يحملنا
من ذاك لا تلقى له في المذهب	مسألة نرسمها في الكتب
فنحن في الأصل وفي الفروع	على طريق السلف الرفيع
فنأخذ الحق متى نراه	لو كان مبغض لنا أتاه
والباطل المردود عندنا ولو	أتى به الخل الذي له اصطفوا
وأصله أن فتى إباض	كان محاميا لنا وماضي
مدافعا أعداءنا بالحجة	وناصرا أخواننا بالشوكة

لا نستبعد أن يكون هناك اتفاق بين جابر بن زيد وعبدالله بن أباض على أن يكون أحدهم المتكلم العلني والآخر يختفي عن الأنظار وذلك اتقاء لشر الدولة الأموية؛ لأنهم كانوا في حاجة إلى من يتكلم باسمهم، ويعلن براءتهم من الخوارج ومبادئهم التي طبعت بطابع الغلو، ومما لا شك فيه أن شخصية عبدالله بن أباض القوية، ومهارته الخطابية، وانتماءه لقبيلة تميم كلها أسباب جعلته يكون المرشح الأكبر ليكون في وجه الصدارة والمواجهة.

كما أنه على الرغم من هذا الاختلاف، ونفي المصادر الأباضية أن يكون ابن أباض المؤسس الحقيقي لجماعة الأباضية، إلا أنه لا يمكن تجاهل الدور الكبير الذي لعبه في تحديد وتوضيح مبادئ الفكر الأباضي، وموقفه السياسي الكبير من السلطة الأموية، وكان لجابر بن زيد دور فقهي وعلمي كبير ساهم في حفظ هذه المبادئ والأصول، وساهم في توضيح الأصول الفكرية لجماعة الأباضية فيما بعد، والتي ما زالت باقية إلى يومنا هذا.

إن تعدد الروايات التاريخية، وتذبذب الحقائق حول شخصيتي عبدالله بن أباض وجابر بن زيد تحتاج إلى كثير من التفنيد والتحقيق بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية حول الزعامة الأولى للأباضية، وما يهمنا في هذا البحث هو تتبع الموقف السياسي للأباضية اتجاه الدولة الأموية خاصة عهد عبدالملك بن مروان.

ج- علاقة الأباضية بعبدالله بن الزبير

يمكن تصنيف العلاقة التي ربطت بين الأباضية وعبدالله بن الزبير إلى نقطتين:

---

(١) الشماخي، السير، ص٧٣.
(٢) الخليلي، أحمد بن حمد. نبذ التعصب المذهبي. ط٢، مكتبة الضامري، السيب:٢٠٠٣م، ص٣٥ .
(٣) السيابي، العرى الوثيقة، ص ص٥٩، ٨٨.

الأولى: مشاركة عبدالله بن أباض جماعة الخوارج في الدفاع عن مكة إلي جانب عبدالله بن الزبير، ولحظتها لم تكن قد تشكلت بعد الخطوط الأولى للأباضية.

ثانيا: تولى عمران بن حطان الشيباني قيادة القعدة بعد أبي بلال[١]، وقد سار على نهج أبي بلال من إنكار الاستعراض، وتحريم أموال المسلمين ودمائهم، وكان على رأس القعدة[٢]، ويبدو أن القعدة في هذه الفترة قد اتجهوا إلى الدراسة والدعوة إلى مبادئهم سرا دون أن يثيروا السلطة الزبيرية[٣]، إذ تصمت المصادر عن ذكر العلاقة التي ربطت الأباضية في البصرة بعبدالله بن الزبير الذي بايعت له الأقاليم الإسلامية بعد وفاة يزيد بن معاوية ووفاة معاوية الثاني، ولعل مرحلة السلم التي سادت بين القعدة وابن الزبير كانت نتيجة لمرحلة الكتمان والسرية التي تمر بها الحركة في تلك الفترة، وإدارك القعدة أنهم لا يستطيعون مواجهة عمال ابن الزبير الذين أصبحوا في معظم الأقاليم الإسلامية، إلا أنه من المحتمل أن الأباضية لم يكونوا يقرون بخلافة ابن الزبير[٤]، ومن ناحية أخرى فإن الزبيريين فضلوا تجنب القعدة وعدم إثارتهم لأنهم يواجهون عداء الأزارقة والشيعة والأمويين.

٢- علاقة الأباضية بالدولة الأموية

لو بدأنا الحديث عن العلاقة التي ربطت الأباضية بالدولة الأموية قبل تبلور الفكر السياسي المستقل لجماعة الأباضية، فإن ذلك يرجعنا إلى الفترة التي تمكن فيها الخليفة عبدالملك بن مروان من القضاء على عبدالله بن الزبير، وتولية الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م ، إذ بدأت المواجهة بين القعدة والحجاج، والتي تمثلت في استياء الحجاج بن يوسف من نشاط عمران بن حطان الذي كان على رأس القعدة آنذاك، واشتكى إلى الخليفة عبدالملك بن مروان واستأذنه في التصرف حيال عمران بن حطان وأصحابه، فأذن له الخليفة[٥]، ويبدو أن استئذان الحجاج للخليفة كان ناتجاً عن سياسة الأمويين والتي تتجه نحو عدم إثارة المعارضين السلميين، ويذكر العوتبي أن سبب عداء الحجاج لعمران بن حطان هو لأبيات شعر قالها عمران في الحجاج بعد أن تمكن شبيب بن يزيد الخارجي وزوجته غزالة من دخول الكوفة، ومحاصرتهم للحجاج بن يوسف[٦] إذ قال عمران بن حطان:

---

(١) المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص ص١٠٨٢-١٠٨٣؛ الأسفرايني، المصدر السابق، ص٥٣؛ الشماخي، السير، ص٧٧؛ اطفيش، محمد بن يوسف. رسالة شافية في تاريخ وادي ميزاب. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، مكتبة المسجد ، ص١٢١.
(٢) الجاحظ البيان والتبيين، ج١، ص٢٨٠ ؛ المبرد، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٨٣.
(٣) خليفات، نشأة الحركة الأباضية، ص٧٣.
(٤) عبد السلام، جعفر بن أحمد. إبانة المناهج في نصيحة الخوارج. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، المركز الثقافي، مركز الدراسات العمانية، ص ١٦٣.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٨٠.
(٦) العوتبي، سلمة بن مسلم. الأنساب. ج٢، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٤، ص١٦.

أسـد علـي وفـي الحـروب نعامـة ... فتخـاء تجفـل مـن صـفير الصـافر
هـلا بـرزت إلـى غزالـة فـي الـوغى ... بـل كـان قلبـك فـي جـوانح طـائر
صـدعت غزالـة قلبـه بفـوارس ... تركـت منـاظرة كـأمس الـدابر

وما كان من الحجاج إلا أن زج بعمران بن حطان في السجن، ولكن أطلق سراحه بعد ذلك ليكسب القعدة إلى صفه، ويتفرغ لقتال الخوارج المتطرفين الأزارقة والنجدات(1). ونرى أن إفراج الحجاج بن يوسف الثقفي عن عمران بن حطان دليل على أن القعدة لم يكونوا يشكلون أي خطر على الدولة الأموية وقتها، مما يؤيد احتمال أن يكون الحجاج سجن عمران بن حطان لأبياته التي عابت على الحجاج يوم دخول شبيب بن يزيد الكوفة، فالحجاج بن يوسف الثقفي معروف عنه شدته وحزمه حيال أعداء الدولة ولو كان يرى في القعدة أي خطر على الدولة لما أفرج عن قائدهم.

بعد أن أطلق الحجاج بن يوسف الثقفي سراح عمران بن حطان انقسم القعدة إلى جماعتين، جماعة منهم كانت ترى وجوب الثورة والخروج ولكنها لا تكفر القعدة كما يفعل الأزارقة والنجدات، هذه الجماعة عرفت بالصفرية، ورأت جماعة أخرى أن وقت الخروج والثورة لم يحن بعد وفضلت الاستمرار في القعود، فعرفت هذه الجماعة باسم الأباضية نسبة إلى عبدالله بن أباض الذي امتنع وقتها من الخروج للقتال وجادل عبدالله بن الصفار، وكانت حجته أنه لا يخرج لقتال قوم يرفع الآذان من صوامعهم، والقرآن من مساجدهم(٢).

في اللحظة التي رفض فيها عبدالله بن أباض الخروج لقتال بني أمية والمعارضين وآثر القعود هي اللحظة التي بدأ فيها تشكل المبادئ العامة لجماعة الأباضية، وبداية لتميز الأباضية عن باقي فرق الخوارج، فكانت هذه الحادثة السبب المباشر لظهور فرقة الأباضية كفرقة مستقلة(٣).

ويمكن أن نوضح العلاقة التي ربطت الأباضية بالدولة الأموية من حيث اتجاهين اثنين، الأول وهو علاقة عبدالله بن أباض بعبدالملك بن مروان، ومن ناحية أخرى علاقة جابر بن زيد بالحجاج بن يوسف الثقفي.

---

(١) المنذري، سعود بن ناصر. الدعوة الأباضية في البصرة نشأتها وتطورها ودور حملة العلم في انتشارها حتى (١٦٠هـ/٧٧٦م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط: ٢٠١٠م، ص٤٧.
(٢) البرادي، المصدر السابق، ص ص١٥٥-١٥٦؛ الحارثي، المرجع السابق، ص١٢٢.
(٣) جهلان، عدون. الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش. ط٢، مكتبة الضامري، السيب: ١٩٩١م، ص٣٢.

أ- العلاقة بين عبدالله بن أباض وعبدالملك بن مروان

تشير المصادر الأباضية إلى نص رسالة بعث بها عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان[1]، جاءت ردا على رسالة سابقة أرسلها الخليفة عبدالملك بن مروان إلى ابن أباض، وتخلو المصادر من ذكر نص الرسالة الأولى لذلك لا يمكننا الجزم بما ورد فيها، إلا أنه ومن خلال تتبع رسائل عبدالملك بن مروان السابقة إلى معارضيه يمكن أن نستشف بعضا مما كانت تحمله هذه الرسالة ، كما يمكن معرفة ذلك من رد ابن أباض لعبدالملك بن مروان، ومن المحتمل أن الرسالة الأولى احتوت على الآتي:

أولا: الترغيب بالمال والعطاء: لم يكن عبدالملك بن مروان يتوانى عن استخدام كافة الأساليب والخيارات الممكنة التي تمكنه من القضاء على خصومه أو التخفيف من حدة معارضتهم، وقد أرسل من قبل كتابا إلى زفر بن الحارث الكلابي (٧١هـ/٦٩٠م-٧٢هـ/٦٩١م)، حمل هذا الكتاب في طياته أسلوبي الترغيب والترهيب في محاولة من الخليفة عبدالملك بن مروان للقضاء على معارضة زفر الكلابي، ويبدو أن عبدالملك قد كرر أسلوب الترغيب هذا حتى يثني الأباضية عن معارضتهم للدولة الأموية، فقد جاء في رسالة ابن أباض إلى ما يوحي بأن الخليفة عبدالملك بن مروان قد عرض المال والعطاء على ابن أباض، فجاء رده: "**ولا تعرض لي بالدنيا فإنه لا رغبة لي فيها، و ليست من حاجتي**"[2].

ثانيا: طلب النصيحة: يبدو أن الخليفة عبدالملك بن مروان طلب من عبدالله بن أباض أن يوجه له بالنصيحة بناء على رد ابن أباض "**أنت كتبت إلي أن أكتب إليك بجواب كتابك، و أجتهد لك في النصيحة**" ما جعل الكتاب الأباضية يعدون ذلك شيئا من دهاء الملوك، إذ يقول السيابي : "**و كان عبدالملك يروم اختداع عبدالله بن إباض حيث يتظاهر له بمظهر الطاعة ، و هي في الحقيقة من خدائع الملوك للعلماء الذين يراعون فيهم الحياة الدينية و لذلك قام عبدالملك يلبس لعبدالله بن إباض لباس الضراعة لقصده السياسي فيما هو بصدده ، و يستعمل الدهاء في وجه ابن إباض ، لعله يَغُرُّهُ بذلك حيث قال له في كتابه المشار إليه كلاما معناه " أرجو نصحك ، و أقبل كلامك ، و أعمل بنظرك ، و لا تألو جهداً في نصحي ، و ذكره بالله على ذلك "، وهو خداع و نفاق**"[3]، وقد وجه ابن اباض نصائح إلى عبدالملك بن مروان من تقوى الله، والحكم بالعدل، والتمسك بكتاب الله.

---

(١) انظر الرسالة كاملة في ملحق رقم (١).
(٢) السيابي، إزالة الوعثاء، ص١٠٠.
(٣) السيابي، العرى الوثيقة، ص٧٢.

ثالثا: استخدام أسلوب الترهيب: يبدو أن عبدالملك بن مروان قد حذر ابن أباض من مسألة الغلو في الدين، وهذا يتضح من رد ابن أباض: "**وكتبت إلي تحذرني الغلو في الدين**"[1]، ولعل الخليفة عبدالملك خشي أن ينهج ابن أباض نهج الخوارج من الغلو في الدين والتطرف، خاصة أن الدولة الأموية وقتها قد دفعت الكثير ثمنا للقضاء على جماعة الأزارقة المتطرفين، ولكن ابن اباض وضح موقفه الصريح من جماعة الخوارج، وقد تمثل هذا الموقف في نقطتين، الأولى وهي اعتراف ابن اباض بتوافق الفكر السياسي بين الأباضية وبين الخوارج من حيث اعتراضهم على السياسة التي اتبعها الخليفة عثمان بن عفان وسياسة معاوية، وإنكارهم لعلي بن أبي طالب حين رضي بأمر التحكيم، والموقف الثاني يتلخص في براءة ابن اباض مما أحدثه نافع بن الأزرق من الغلو بخروجه عن الجماعة، إذ قال ابن اباض: "**إنا براء إلى الله من نافع بن الأزرق، و صنيعه و أتباعه**"[2] وهذا يؤكد لنا أن الأباضية عندما انفصلت عن جماعة الخوارج (المحكّمة) التزمت مبادئ الاعتدال والمعارضة السلمية.

وقد جاء جواب عبدالله بن أباض ليعكس لنا الكثير من الأمور أهمها:

أولا: خاطب ابن أباض عبدالملك بن مروان باسمه دون أن يذكر لقب "أمير المؤمنين" ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين إلى القول أن ابن اباض كان مستشارا للخليفة عبدالملك، وأن علاقتهما كانت علاقة ودية[3] بحكم رفع التكلفة في مخاطبته، ولكن يبدو لنا أن مخاطبة ابن اباض عبدالملك بن مروان باسمه وبدون لقب أمير المؤمنين دليل واضح على عدم اعترافه به كخليفة للمسلمين.

ثانيا: على الرغم أن ابن اباض قد هاجم الخلفاء الأمويين ابتداء من معاوية ومن قبله عثمان بن عفان، وصرح بمعارضته لعبدالملك بقوله:" **فمن يتولى عثمان ومن معه فإني أشهد الله وملائكته أني بريء منهم، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا**"[4]، إلا أن عبدالملك بن مروان لم يواجه ذلك بشيء من الشدة والقوة، وهذا ما يدفع إلى التساؤل إذا لم تكن هناك علاقة ودية بينهما لماذا قبل عبدالملك بن مروان هذه المراسلات بينه وبين ابن أباض، ولم يلجأ إلى القضاء عليه وعلى أتباعه مباشرة؟

---

(١) السيابي، إزالة الوعثاء، ص٩٦.
(٢) المرجع نفسه ، ص٩٨.
(٣) ابو زكريا، المصدر السابق، ص١٠.
(٤) السيابي، إزالة الوعثاء، ص٩٦.

يرى الباروني أن قبول عبدالملك بن مروان بذلك دليل على قناعته التامة بالنصائح التي أبداها ابن اباض له في رسالته، ولكن حبه للسلطان والملك حال دون العمل بها، كذلك ربما يكون عبدالملك قد خشي موقف قبيلة ابن اباض (تميم) لو واجه الموقف بشي من العداء[١].

لا ريب أن الأباضية لم تشكل تهديدا كبيرا على الخليفة عبدالملك بن مروان، خاصة إذا ما علمنا أن الحركة وقتها كانت تمر بمرحلة الكتمان والسرية، أي لم تكن هناك معارضة مباشرة أو ملموسة من قِبل الأباضية، وليس كما يدعي علي يحيى معمر من أن ابن أباض قام بأعمال عسكرية[٢]، فلا وجود لذلك في المصادر التاريخية، ولعل رسالة عبدالملك بن مروان كانت بهدف أن يتبين رأي ابن اباض، ويستشف موقفه من الأحداث، لعله يخرج بشي يوضح له نوايا هذه الجماعة، كما أن رسالة ابن اباض تعكس لنا تقييم الأباضية لمجريات الأحداث في تلك الآونة.

ويتجه بعض الباحثين إلى أن المراسلات بين الخليفة عبدالملك بن مروان وبين عبدالله بن أباض كانت لها نتائجها الإيجابية، إذ تمكن الخليفة عبدالملك من إقناع ابن اباض بالاستمرار في سياسة القعود، واشغاله بأمور الفكر والعقيدة عن أمور الحرب والسياسة[٣]، وفي الجهة الأخرى يرى بعض المؤرخين أن هذه المراسلات كانت دليلا على سياسة المسالمة مع إعلان المعارضة، والتي اتبعها الأباضية في عدائهم لعبدالملك بن مروان[٤].

في حقيقة الأمر أن سياسة القعود التي التزمها عبدالله بن أباض كما هو واضح من رسالته قد بدأت منذ فترة مبكرة قبل خلافة عبدالملك بن مروان، منذ اللحظة التي انقسم فيها المحكّمة، ورفض ابن اباض إتِّباع نافع بن الأزرق، ومرورا بالفترة التي خضعت فيها البصرة لعبدالله بن الزبير، وقد استمرت هذه السياسة (القعود) حتى خلافة مروان الثاني سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وقد أوضحت الرسالة الموقف الأباضي من الخلافة الأموية والعداء الواضح للسياسة الأموية، وقد صرح ابن اباض بذلك للخليفة عبدالملك بكل وضوح، وبعبارات تنم على عدم تردد الأباضية في إشهار السيف ضد الأمويين لو تطلب الأمر ذلك[٥].

---

(١) الباروني، أبي الربيع سليمان. مختصر تاريخ الأباضية. مكتبة الغامدي، السيب: ط٣، ٢٠٠٣م، ص٣٠.
(٢) معمر، الأباضية في موكب التاريخ، ص١٠٩.
(٣) فوزي، فاروق عمر. "ملامح من تاريخ حركة الخوارج الأباضية". مجلة المؤرخ العربي، العدد٢، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد:١٩٧٥، ص١٧٢.
(٤) الجعبيري، فرحات. البعد الحضاري للعقيدة عند الأباضية. د.ط، د.ن، د.م، ١٩٨٧م، ص١٧٦.
(٥) جاء في رسالة عبدالله بن أباض: "فمن يتولى عثمان ومن معه فإني أشهد الله وملائكته أني بريء منهم، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا". انظر: السيابي، إزالة الوعثاء، ص٩٦.

ثم تختفي أخبار عبدالله بن أباض من المصادر بعد رسالته لعبدالملك بن مروان، إلا من إشارات يوردها كل من الشهرستاني والقزويني على أن ابن أباض شارك في ثورة طالب الحق[١] التي بدأت سنة ١٢٩هـ/ ٨٠٧م ضد الخليفة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م)[٢]، ولا يمكن الوثوق بهذه الرواية لأسباب عدة أهمها ما عرف عن الشهرستاني من المبالغة والتخبط، لذلك لا يمكن الوثوق في روايته[٣]، والمصادر الأباضية لا تذكر حادثة المشاركة في ثورة طالب الحق إطلاقا، فلو كان لهذا الحدث وجود لما أغفلت المصادر الأباضية عن ذكره، كما أن كتب الطبقات تصنف ابن أباض ضمن رجال الطبقة الثانية، أي الذين عاشوا خلال النصف الثاني من القرن الأول، مما يدل على أن ابن اباض توفي قبل سنة ١٠٠هـ[٤]، وينفرد ابن حوقل برواية تذكر أن عبدالله بن أباض توفي في جبل المذيخرة في جنوب غرب اليمن[٥] ولا تسعفنا المصادر بأسباب وجوده في هذه المنطقة، ولكن لا نستبعد أن يكون وجوده فيها جزءا من نشاطه الفكري، خاصة إذا ما علمنا أن الأباضية كانت لهم مناظرات ونقاشات لم تقتصر مع الخوارج بل مع أصحاب التيارات الأخرى[٦] .

ب- العلاقة بين جابر بن زيد والحجاج بن يوسف الثقفي

أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري[٧]، تابعي من أصول عمانية، ولد في قرية فرق بولاية نزوى في عمان، اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته ما بين سنة ١٨هـ/٦٣٩م[٨] و٢٢هـ/٦٤٢م[٩]، وكانت نشأته في عمان إلا أنه لا يمكن معرفة عدد السنوات التي قضاها فيها، كما أن هناك اختلاف في سبب هجرة جابر إلى البصرة، فيرى بعض الباحثين أن جابرا تلقى تعليمه في المرحلة الأولى في عمان، ثم انتقل بعدها مع أسرته إلى البصرة نظرا لما كانت تحتله البصرة من حركة علمية واسعة، ولكونها كانت تمثل مركزا علميا مهما، فقد أصبحت قبلة لطلاب العلم ومنهم جابر بن زيد الذي رحل إليها في

---

(١) طالب الحق: هو عبدالله بن يحيى بن عمر الكندي، نشأ في اليمن واتجه بعدها إلى البصرة طلبا للعلم والتقى بأئمة الأباضية ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب، ثم عاد إلى اليمن وأعلن أول إمامة ظهور فيها سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، والتقى بجيوش الخليفة محمد بن مروان فقتل على يد عبد الملك بن عطية الذي بعث برأسه إلى مروان بن محمد . انظر: الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون، ج١٧، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت: ٢٠٠٠م، ص ص٣٥٩-٣٦٠.

(٢) الشهرستاني، المصدر السابق، ج١، ص١٣١؛ القزويني، زكريا بن محمد(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م). آثار البلاد وأخبار العباد. د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٥٦.

(٣) يقول ياقوت الحموي في محمد بن عبد القادر الشهرستاني: "ولولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام، وكثيرا ما نتعجب من وفور فضله وكمال عقله كيف مال إلى شيء لا أصل له، واختار أمرا لا دليل عليه لا معقولا ولا منقولا". انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٧٧.

(٤) ناصر، المرجع السابق، ص١١٤.

(٥) ابن حوقل، محمد بن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م). صورة الأرض. ج١، د.ط، دار صادر، بيروت:١٩٣٨م، ص٣٧.

(٦) البكاي، المرجع السابق، ص٢٢٤.

(٧) المزي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٥.

(٨) البرادي، المصدر السابق، ص١٥٥.

(٩) الحارثي، المرجع السابق، ص٩٣.

صغره طلبا للعلم، واتخذها مقرا له[١] ، ويرجع البعض هذه الهجرة إلى فترة مبكرة من التاريخ مع بدء الفتوحات الإسلامية في العراق، إذ يرون أن عائلة جابر بن زيد كانت في الجيش الذي جهزه عثمان بن أبي العاص[٢] لمحاربة الفرس، وقد توجه هذا الجيش بعد هزيمة هزيمة الفرس إلى البصرة وذلك زمن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)[٣]، وبذلك يكون سبب وجود جابر بن زيد في البصرة عائدا إلى بدايات هجرة الأزد إليها.

بناء على ما ورد سابقا يمكن القول أن أسرة جابر بن زيد انتقلت إلى البصرة للاستقرار بها مما تصادف مع طموح ورغبة جابر بن زيد للعلم، فوجد جابر في البصرة مركزا مهما لذلك، وأخذ يتنقل بينها وبين الحجاز، مما مكنه من الإلتقاء بصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتابعيه، والتتلمذ على يدهم، ومنهم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن الزبير، كما التقى بالسيدة عائشة (رضي الله عنها).

أشاد العلماء بمكانة جابر بن زيد وبورعه وتقواه وسعة علمه خاصة في الفقه، وخير دليل على ذلك شهادة معلمه عبدالله بن عباس الذي قال فيه**"لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله علما"**[٤]، كما كان يقول لسائليه: **"تسألوني وفيكم جابر بن زيد"**[٥]، وقد أنصفت المصادر جابرا واعتبرته من أهم علماء المسلمين في البصرة[٦].

ومن خلال هذا الطرح يتبين لنا أن جابر بن زيد كانت له مكانة كبيرة في مجتمع البصرة، وأصبح واحدا من أهم علمائها، ومرجعا للناس في الفتيا وأمور الفقه، سواء من داخل البصرة أو من خارجها، حتى أنه كان ينوب عن صاحبه الحسن البصري في الفتيا عندما يتغيب عن البصرة[٧]، ولا شك أيضا أن في خضم الأحداث السياسية وتفاقمها، ومتابعة جابر بن زيد لذلك منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) حتى تسلم بني أمية للخلافة، وجد جابر في نفسه ما يدفعه لتحمل شيء من المسؤولية كونه رجل دين وعلم، فكان عليه أن يحمل مسؤولية الإصلاح وإظهار الحق، مع العمل على إبقاء التنظيم السري للأباضية.

---

(١) الحارثي، المرجع السابق، ص٩٤؛ خليفات، نشأة الحركة الأباضية، ص ص٨٦-٨٧.

(٢) عثمان بن أبي العاص: هو عثمان بن أبي العاص بن بشر، من بني ثقيف، استعمله الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الطائف، وظل واليا عليها حتى خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي ولاه إمارة البحرين أيضا. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص ص٦٨-٧٠.

(٣) العوتبي، المصدر السابق، ص١٢٤؛ السالمي، عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج١، د.ط، مكتبة الإستقامة، مسقط: ١٩٩٧م، ص٦٩؛ النامي، المرجع السابق، ص٧٣؛ الغيلاني، سعيد بن محمد. إقليم الخليج العربي في القرنين الاول والثاني للهجرة. (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة القاهرة، القاهرة: ١٩٩٥م، ص٦٢.

(٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص١٧٩؛ البسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م). المعرفة والتاريخ. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ج٢، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨١م، ص١٢؛ الأصبهاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ج٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٨٨م، ص٨٥.

(٥) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٣، ص٨٦.

(٦) البُستي، محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م). مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار. تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء، المنصورة: ١٩٩١م، ص١٤٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٢٠٠.

(٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص١٨٠.

- **علاقة جابر بن زيد بالأباضية**

لقد ارتبط جابر بن زيد بعلاقة وثيقة مع جماعة القعدة الأولى وبالأباضية فيما بعد، ولكن هناك اختلاف في تحديد بدء هذه العلاقة، كما نجد الاختلاف أيضا في تحديد بدء تولي جابر بن زيد زعامة هذه الجماعة، يرجعها بعض الباحثين إلى ما قبل وقعة النهروان سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، إلى زمن عبدالله بن وهب الراسبي[١]، ونجد خليفات يحدد بداية العلاقة بعد فترة لاحقة وهي إبان ولاية عبيدالله بن زياد للعراق[٢]، بدلالة استشارة أبي بلال لجابر بن زيد قبل خروجه إلى البصرة، مما حدا بالبعض إلى القول أن جابر بن زيد كان على زعامة الأباضية منذ هذه الفترة[٣]، وأن أبا بلال لم يخرج إلا بأمر من جابر بن زيد[٤]، وكذلك عبدالله بن أباض توجه لمساعدة ابن الزبير بصفته تابعا تنظيميا للإمام جابر وقد أرسل من قبله[٥].

لا يمكن التأكيد على أن زعامة جابر بن زيد لجماعة القعدة قد بدأت منذ فترة مبكرة، فلو أخذنا بالروايات التي تقول أن ولادة جابر بن زيد كانت بين سنتي ١٨هـ/ ٦٣٩م و٢٢هـ/٦٤٢م فإن جابر لم يكن يتجاوز التاسعة عشر من عمره أثناء معركة النهروان سنة٣٨هـ/ ٦٥٨م، كما يستبعد احتمال أن تُوليه هذه الجماعة المسؤولية وهو في هذا السن الصغير، ولكن ربما كما أسلفنا أن جابر بن زيد كانت له مكانة علمية ودينية كبيرة الأمر الذي جعله أهلا للشورى وللأخذ برأيه بين جماعة القعدة آنذاك، خاصة أنه كان مقربا من أبي بلال مرداس بن أديّة يستشيره ويأخذ برأيه[٦].

وبناء على الروايات التاريخية في المصادر الأباضية يمكن القول أن علاقة جابر بن زيد بجماعة الدعوة الذين عرفوا بعد ذلك بالأباضية قد بدأت في ولاية زياد بن أبيه وابنه عبيدالله بن زياد على البصرة، إذ كانت الدعوة الأباضية تسير بسرية تامة، وهذا يتبين من الروايات التي تذكرها المصادر، ومنها ما ذكره الشماخي من رواية أبي سفيان عندما اعتقل عبيدالله بن زياد أحد الدعاة الأباضية **"وكان شيخا كبيرا أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل، قال جابر بن زيد: وكنت قريبا منه وما كنت انتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله"**[٧].

---

(١) الصوافي، صالح بن أحمد. الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة. ط٣، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ١٩٩٧م،ص١٦٢.
(٢) خليفات، نشأة الحركة الأباضية، ص٩١.
(٣) الأزكوي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٤؛ الرقيشي، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الحسن (ق١١هـ/١٧م). مخطوطة مصباح الظلام. الرقم (٩٧)، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، سلطنة عمان، مسقط، ص٣٩؛ المنذري، المرجع السابق، ص٨٨.
(٤) الرقيشي، المصدر السابق، ص٣٩.
(٥) بكوش، ندوة الفقه الاسلامي، ط١، ١٩٩٠م، ص٢٩٢.
(٦) الحارثي، المرجع السابق، ص١٠٧.
(٧) الشماخي، السير، ج١، ص٨٦.

ونظرا لخلو مصادر التاريخ العام ومصادر الفرق الإسلامية من ذكر ذلك لا يمكننا الجزم من خلال ما لدينا من روايات المصادر الأباضية أن جابرا كان يتولى زعامة الأباضية منذ هذه الفترة المبكرة، فقد حرص جابر على سرية الدعوة وكتمانها حتى من أقرب معلميه ابن عباس، إذ جاء في رواية أبي سفيان محبوب بن الرحيل **"أن جابر كان يتردد على مكة، ويلتقي فيها بعبدالله بن عباس ليأخذ عنه العلم والحديث، وكان يصحبه صديق له حميم يدعى أبو فقاس الأسود بن قيس[1]، وكان يرى رأي الأباضية، وفي إحدى السنين قدم جابر منفردا إلى مكة فلقي ابن عباس الذي استغرب غياب أبي فقاس صاحب جابر، وسأل جابرا عنه فأخبره بأنه في سجن ابن زياد. فقال ابن عباس: وإنه لمتهم؟ قال جابر: نعم. فأضاف ابن عباس اللهم بلى" وخاطب جابرا وقال: أو ما أنت منهم؟ قال جابر: اللهم بلى"**[2]، وفي رواية أخرى أن جابر قد نفى علاقته بالأباضية حتى وهو على فراش الموت، إذ تروي مصادر التاريخ العام أن الحسن البصري سأل جابر بن زيد لحظتها **"إن الأباضية تتولاك، فقال جابر: أبرأ إلى الله منهم"**[3]، ونرى أن براءة جابر من الأباضية بغض النظر عن قضية زعامته للجماعة كانت نوعا من التقية[4] والتخفي للمحافظة على سرية الدعوة الأباضية.

ومع الاختلاف في فترة زعامة جابر بن زيد لجماعة الأباضية إلا أنه من المؤكد أنه كان على علاقة وثيقة مع أبي بلال مرداس بن أديّة زعيم القعدة في البصرة بعد النهروان، فتروي لنا المصادر الأباضية أن جابرا وأبا بلال كانا يلتقيان بابن عباس وبالسيدة عائشة (رضي الله عنها) إذ يروي أبو سفيان محبوب بن الرحيل **"أن جابر بن زيد وأبو بلال مرداس دخلا مرة على عائشة رضي الله عنها، فعاتبها على ما كان منها يوم الجمل. قال: فاستغفرت الله تعالى وتابت مما كانت قد دخلت فيه"**[5]، وهذا دليل على وجود العلاقة بين جابر بن زيد وبأهل الدعوة آنذاك.

- **علاقة جابر بن زيد بالحجاج بن يوسف الثقفي**

مع تطور الأوضاع السياسية في العراق انبنت العلاقة بين مجتمع البصرة وبين السلطة الأموية على التربص بكل من تسول له نفسه عرقلة تثبيت السلطة الأموية، لذلك نجد عبيدالله بن زياد متربصا بكل المعارضين، وبناء على هذا التربص والحذر الشديد كان جابر بن زيد واحدا من الذين سجنهم عبيدالله بن زياد[6]، ولا ريب أن موقف الوالي الأموي من جابر بن زيد لم يتعد لحظتها الشك؛ لأن عبيدالله عمد إلى سجن كل من شك في أمره وعده من الخوارج،

(١) أبو فقاس الأسود بن قيس: كان يرى رأي الأباضية، وهو واحد من رفقاء جابر بن زيد، كان يرافقه دائما إلى الحج. انظر: الشماخي، السير، ج١، ص٨٩.
(٢) الحارثي، المرجع السابق، ص١٠٣.
(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص١٨١.
(٤) التقية: هي اخفاء ما في النفس من معتقد وغيره خشية الضرر. انظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م).فتح الباري شرح صحيح البخاري. تصحيح: محب الدين الخطيب، ج١٢، د.ط، دار المعرفة، بيروت: ١٩٥٩م، ص٣١٤.
(٥) الشماخي، السير، ص٦٩؛ الحارثي، المرجع السابق، ص٩٥.
(٦) ابن قتيبة، العيون، ج١، ص٧٤؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٨

وبحكم العلاقة التي ربطت جابر بن زيد وأبا بلال مرداس بن أُديّة فمن الطبيعي أن يكون جابر بن زيد أحد المشكوك في أمرهم.

نجح جابر بن زيد في إكمال مشوار الكتمان والسرية الذي بدأه في علاقته مع الأباضية، فنراه ينجح في المحافظة على علاقة سلمية بقدر الإمكان مع الحجاج بن يوسف الثقفي، ولم يمانع من أخذ العطاء من الدولة الأموية ومن الحجاج خاصة[1]، وحتى يكمل معارضته السرية لم يمانع جابر بن زيد من الصلاة خلف الولاة الأمويين[٢]، مما دفع ببعض المؤرخين إلى القول أن علاقة جابر بالحجاج بن يوسف كانت علاقة ودية[٣]، ونتيجة لمواقف جابر بن زيد والتي لم تنم عن أي معارضة نشطة أو مسلحة ضد السلطة الأموية لم يتوانَ الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي أن يعرض على جابر بن زيد تولي قضاء البصرة لما عرف من علمه فقد كان أحد فقهاء البصرة المعروفين، إلا أن جابر اعتذر وتظاهر بضعف القدرة على تولي هذه المهمة، إذ جاء رده: **" يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن أن أصلح بينهما"**[٤].

لا ريب أن تصرفات جابر بن زيد والتي أحالها البعض إلى العلاقة الودية بينه وبين الحجاج إنما هي أفعال كان جابر يتعمدها حتى يحافظ على كتمان وسرية ما يتبناه من أفكار ومبادئ، فجابر بن زيد لم يكن يأخذ العطاء بسبب علاقته الودية مع الحجاج، بل أنه سار على نهج من خلفه كأبي بلال مرداس بن أُديّة الذي لم يتوانَ عن أخذ العطاء[٥]، وعد ذلك حق من حقوقه، وهذ يفسر أيضا صلاته خلف الولاة الأمويين، واعتذاره عن تولي منصب القضاء بطريقة تبعد عنه الشكوك، ويظل محافظا على كتمان وسرية مبادئه.

إن جابر بن زيد قد آثر أن يسير على نهج السلم والاعتدال مع الحجاج عكس ما سار عليه قادة الحركات الدينية السياسية المتطرفة كالأزارقة مثلا، الذين رأوا في السيف السبيل الوحيد لتحقيق الأهداف.

ولكن يبدو أن محاولات جابر بن زيد في الحفاظ على علاقة سلمية مع الحجاج بن يوسف الثقفي لم تدم طويلا؛ لأن المصادر الأباضية تذكر لنا حادثة سجن الحجاج لجابر بن زيد ونفيه إلى عمان[٦]، فما هي الأسباب التي دعت الحجاج لنفي جابر خاصة وأن علاقتهما ودية ومسالمة؟ ولماذا نفاه إلى عمان بالذات؟

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص٣٠٦.

(٢) البرادي، المصدر السابق، ص ٣٥؛ الرقيشي، المصدر السابق، ص٣٩؛ الحارثي، المرجع السابق، ص٩٧؛ المالكي، عامر بن خميس. غاية المطلوب في الأثر المنسوب. تحقيق: بدر بن سالم العبري، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط:٢٠١٢م، ص٤٢٧.

(٣) فوزي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص١٠٧؛ هاشم، المرجع السابق، ص٦٨.

(٤) الدرجيني، المصدر السابق، ج٢، ص٢١١؛ الشماخي، السير، ص٧٠.

(٥) الدرجيني، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٨.

(٦) الشماخي، السير، ج، ص٧١ ؛ الحارثي، المرجع السابق، ص١٠٢.

إذا أخذنا بالقول أن الحجاج بن يوسف قام بنفي جابر بن زيد إلى عمان، فإن الأسباب المحتملة قد تعود إلى:

أولا: قيام الأزد في عمان بالثورة على الحجاج بن يوسف الثقفي بقيادة سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندى، وذلك في النصف الثاني من العقد الثامن للقرن الأول الهجري[1] ردا على حملة عسكرية بدأها الحجاج بن يوسف الثقفي حتى يُخضع عمان لسلطة الدولة الأموية، فخشي الحجاج أن يلتف أزد البصرة والعراق حول جابر ويحذون حذو قبيلتهم[2] بالثورة عليه أو بمساعدة الثائرين في عمان.

ثانيا: العلاقة الوثيقة التي كانت تربط جابر بن زيد بآل المهلب لكونهم ينتمون إلى قبيلة الأزد، وقد نجح جابر من قبل في جذب أعداد من آل المهلب إلى الدعوة الأباضية كعبدالملك بن المهلب[3] ولم يقتصر تأثير الدعوة على الرجال بل تعداه إلى النساء أيضا[4]فكانت عاتكة بنت المهلب[5]واحدة ممن تحملن مسؤولية الدعوة الأباضية وبذلت مالها في سبيل نجاح الدعوة، وكانت تسأل جابر بن زيد ويجيبها[6]، وكانت العلاقة بين الحجاج وآل المهلب يسودها التوتر فقد سجن الحجاج يزيد بن المهلب[7]، وكان عليه أن يحذر من جابر بن زيد وأن يحترس منه لذلك نجده يسجن جابر مع عدد من أئمة الأباضية ثم يقوم بنفيه إلى عمان[8].

ثالثا: ارتباط جابر بعلاقات مع عدد من أصحاب المناصب الرسمية في الدولة[9] ومنهم النعمان بن سلمة[10] الذي أرسل إلى جابر يسأله عن طريقة يتمكن فيها من جمع مال الضرائب دون أن يجور على الرعية[11]، كما بعث يزيد بن يسار[12] رسالة إلى جابر يبلغه فيها بتعيينه

---

(١) ابن خياط، التاريخ، ص١٨٨؛ البرطماني، مريم بنت سعيد. آل الجلندى في عمان دورهم منذ ما قبل الإسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري/ منتصف القرن التاسع الميلادي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط:٢٠١٢م، ص٨٥.

(٢) النامي، المرجع السابق، ص٩٠؛ عقيل، عبد الرحمن جعفر. صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت. ط١، دار حضرموت، المكلا:٢٠٠٦م، ص١٤٥.

(٣) عبد الملك بن المهلب: هو عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، سجنه الحجاج بن يوسف الثقفي مع إخوته يزيد والمضل ومروان، وهرب معهم إلى سليمان بن عبدالملك الذي شفع فيهم إلى الخليفة الوليد بن عبدالملك، وقد خرج عبدالملك بن المهلب مع أخيه يزيد بن المهلب على الحجاج بن يوسف، وهرب إلى سجستان بعد مقتل يزيد وقتل هناك سنة ١٠٢هـ/٧٦٠م. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٣٧، ص١٧٧.

(٤) الشماخي، السير، ج١، ص٨٨؛ هاشم، المرجع السابق، ص٧٣.

(٥) عاتكة بنت المهلب: هي عاتكة بنت المهلب بن أبي صفرة، أخت يزيد بن المهلب الذي ثار على الحجاج الثقفي، كانت من الفقيهات، تحضر مجالس جابر بن زيد وتسأله في الدين، ويروى أبو نوح أنه دخل عليها مرة ووجدها قد انفض عنها مجلس من مجالس العلم، فقالت: "الآن خرج من عندي الأحول، تعني جابر". فسألها قائلا: "هل ظفرت منه شيئا؟" فأخبرته عن مسائلة كانت قد سألتها جابر. انظر: الشماخي، السير، ج١، ص٨٢.

(٦) الشماخي، السير، ج١، ص٨٢.

(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٣٢.

(٨) المصدر نفسه، ص٧١.

(٩) النامي، المرجع السابق، ص٨٧.

(١٠) لم أقف على ترجمة له.

(١١) اليحمدي، جابر بن زيد. موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد الفقهية. جمع وترتيب: إبراهيم بن علي بولرواح، ج١، ط١، مكتبة مسقط، مسقط: ٢٠٠٦م، ص ص٣٩-٤٠.

(١٢) يزيد بن يسار: عُين عاملا في إحدى مناطق عمان، وبعث إلى جابر بن زيد رسائل يستشيره ويطلب نصائحه. انظر: اليحمدي، المرجع السابق، ج٢، ص٩٥٨؛ خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص١٤٦.

على بعض المراكز في عمان طالبا رأيه في عدد من القضايا[١]، ولم تقتصر هذه العلاقات على الفتوى في أمور الدين بل تجاوزها إلى الاطلاع على أحوال بلادهم بتفاصيلها[٢].

فإذا كان الحجاج بن يوسف الثقفي قام بنفي جابر بن زيد إلى عمان فإن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذا النفي كان نتيجة تمكن الحجاج من إخضاع عمان لسيطرته واتخاذها مكانا للنفي والإبعاد السياسي[٣]، ويظل السؤال قائما لماذا قام الحجاج بنفي جابر بن زيد إلى عمان وقد واجه من قبل ثورة آل الجلندى عليه، ولماذا يرسل لهم شخصية قيادية متبوعة كشخصية جابر بن زيد وهو يعلم أن جابر لمكانته الدينية والسياسية بإمكانه أن يجمع أهل عمان (الأزد) معه ويثور ضده وضد الدولة الأموية؟

وتبقى مسألة نفي جابر بن زيد إلى عمان مسألة تحتمل الأخذ والرد لعدم وجود روايات تاريخية موثوقة تؤيد النفي أو روايات تنفيه.

---

(١) اليحمدي، المرجع السابق، ج٢، ص ص٩٥٨-٩٥٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٨٨.
(٣) الجميح، إبراهيم عبد العزيز. "الأوضاع السياسية لبلاد عمان في العصر الأموي". مجلة جامعة الملك عبد العزيز :الآداب والعلوم الانسانية، المجلد٩، مركز النشر العلمي، جدة: ١٩٩٦م، ص١٥٣.

الفصل الرابع: الحركات السياسية الصرفة

المبحث الأول: حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث الكندي (٨١هـ/٧٠٠م- ٨٣هـ/٧٠٢م)

١-سيرة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي.

٢-أسباب الحركة.

٣-المواجهة بين عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي والدولة الأموية.

٤-نهاية عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي.

الفصل الرابع: الحركات السياسية الصرفة

المبحث الأول: حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث الكندي (٨١هـ/٧٠٠م- ٨٣هـ/٧٠٢م)

إن حركات المعارضة قد تعكس أحيانا موقفاً أو طموحاً فردياً، وأحيانا قد تعكس لنا مصالح جماعة ما، وفي الغالب ما يتفق الطموح الفردي مع مصالح الجماعة، و يرى كل منهم الفرصة المناسبة لتحقيق طموحه ومصالحه، وقد عالجنا حركات من هذا النوع سابقا لعل أشهرها حركة المختار بن عبيد الثقفي، ولعل حركة ابن الأشعث تعد من النوع الثاني من هذه الحركات فهي حركة جماعة رأت في طموح شخص ابن الأشعث فرصة لتحقيق أهدافها.

١- سيرة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي

قبل البدء في الحديث عن معارضة عبدالرحمن بن محمد الأشعث للدولة الأموية لابد من التعريف بنسبه وسيرته، إذ تورد المصادر أكثر من نسب لعبدالرحمن، يقول النسب الأول هو **"عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس"**[1] في حين أن النسب الثاني يقول أنه **"عبدالرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث"**[2] أما البسوي فيروي أنه **"عبدالرحمن بن محمد بن قيس بن محمد بن الأشعث"**[3]، ونلاحظ أن المصادر تختلف في تسمية والد عبدالرحمن[4] ولكن نرجح أن يكون النسب الأول أقرب إلى الصحة؛ لاتفاق جمهور المؤرخين عليه، وابن سعد يعد عالما في الأنساب ومحل ثقة، وقد أكد عليه ابن حزم عالم الأنساب في القبائل العربية، وهو النسب الدارج استخدامه في أغلب المصادر والمراجع.

يعود نسب ابن الأشعث إلى قبيلة كندة التي كان يتزعمها جده الأشعث بن قيس، فقد أسلم الأشعث في أواخر حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم أبى مبايعة الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ولكن أبا بكر (رضي الله عنه) عفا عنه بعد ذلك وزوجه من أخته، وكان محمد بن الأشعث والد عبدالرحمن سيدا من سادات الكوفة[5]، شارك في قتال المختار الثقفي، وتزوج من أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني [6] فأنجبت عبدالرحمن.

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٦٨؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج٢، ص٤٢٥.
(٢) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محي الدين، ج٣، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص٢٨٥؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٦م). ميزان الإعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٢، ط١، دار المعرفة، بيروت: ١٩٦٣م، ص٥٨٣؛ العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٢، ص٥٤٦.
(٣) البسوي، المصدر السابق، ج٣، ص٤٨٤.
(٤) سيورد ذكره في البحث باسم ابن الأشعث.
(٥) الدينوري، المصدر السابق، ص٢٩٥.
(٦) الجاحظ البيان والتبين، ج٢، ص٧٩؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٣٧.

وكان من الطبيعي أن يعتري عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الطموح في الرقي بنفسه لكونه ينتمي إلى أسرة وقبيلة لها مكانتها في المجتمع، فقد كان ذلك ظاهرا في معالم شخصيته التي يغلب عليها صفة الغرور والاعتداد بالنفس[١]، وأراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن يصاهر العائلة فزوج ابنه محمد من أخت عبدالرحمن ميمونة بنت محمد بن الأشعث[٢] وربما ينجح في استمالة أسرة الأشعث إلى صفه[٣]، فقرب عبدالرحمن إليه وأجزل له العطايا[٤].

تولى ابن الأشعث دورا قياديا في الدولة الأموية، وكان واحدا من قادتها الشجعان، ترأس جيش الكوفة الذي حارب الخوارج الأزارقة في الأهواز، وقد استهزأ بقوة الخوارج[٥]، كما قاد جيشا للدولة الأموية لمقاتلة شبيب بن يزيد الخارجي[٦].

٢- أسباب الحركة

بعد أن تخلصت الدولة الأموية من الخوارج سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م، وانسجاما مع الأسلوب اللامركزي الإداري الذي اتبعه الأمويون غالبا، ضم عبدالملك بن مروان ولاية خراسان وسجستان إلى الحجاج، فعين الحجاج المهلب بن أبي صفرة على خراسان وعبيدالله بن أبي بكرة[٧] على سجستان، وكان عبيدالله هذا قد بدأ في محاربة رتبيل ملك الترك؛ لأنه امتنع عن دفع الجزية، ولكن جيوش عبيدالله منيت بالهزيمة، ومات عبيدالله كمدا[٨] بعدما رأى ما أصاب جيوشه من الضرر في هذه المواجهات ، حينها قرر الحجاج أن يرسل عبدالرحمن إلى سجستان لمقاتلة رتبيل، ولم يلتفت إلى التنبيه الذي جاءه من أخوة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ومن إسماعيل بن الأشعث[٩] عم عبدالرحمن بن محمد الذين نصحوه بعدم تولية عبدالرحمن هذه المهمة خوفا من تمرده[١٠]، وعلى الرغم من أن المصادر لا تذكر لنا أي بوادر لتمرد عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ولكن قربهم منه كشف لهم حقيقة المشاعر التي يخبأها

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٥.
(٥) كان عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يقول في الخوارج: "والله لهم أهون علي من ضرطة الجمل". انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٣٦.
(٦) ابن خياط، التاريخ، ص١٧٢؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٠٢.
(٧) عبيدالله بن أبي بكرة: هو عبيدالله بن أبي بكرة الثقفي، ولد سنة ١٤هـ/٦٣٥م، ولي قضاء البصرة ثم ولي على سجستان سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، عرف بالكرم والجود، وهو أول من توضأ بالماء في البصرة، مات بسجستان سنة ٧٩هـ/٦٩٨م.انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص١٨٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص٢٦١٣؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٥٥٧.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٨.
(٩) إسماعيل بن الأشعث: هو إسماعيل بن الأشعث الكندي، عم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، أمه أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه). انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٥٢، ص١٢٦.
(١٠) الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٦.

عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف، فقد كان ابن الأشعث يقول على الحجاج بن يوسف الثقفي **"والله لأحاولن إزالة سلطانه إن طال بي وبه عمر"**[1]، ولكن رغم هذا التنبيه إلا أن الحجاج لم يلتفت له، وأصر على تولية عبدالرحمن قتال رتبيل.

جاءت المصادر والمراجع الحديثة بالكثير من التفسيرات والمسوغات لقرار الحجاج، منهم من يرى أن العلاقة بين الحجاج وابن الأشعث كانت علاقة متوترة ملؤها البغض والكراهية لما روي في المصادر أن الحجاج كان كارها ابن الأشعث؛ لأنه كان مغرورا معجبا بنفسه وكان يقول: **"ما رأيته قط إلا أردت قتله"**[2]، فقرار الحجاج هذا جاء نتيجة لغلبة الكراهية الشخصية على حساب مصلحة الدولة ومصير الجند المقاتلة، لذلك رأى الباحثون أن الحجاج بن يوسف قرر إرسال ابن الأشعث إلى سجستان؛ حتى يتبين نواياه الحقيقية ويكشف خبايا تدبيره[3]، كما أن الحجاج كان على دراية بقوة وبأس عبدالرحمن، فأراد أن يستخدم هذه القوة في مواجهة أعداء الخلافة الأموية[4]، وبعضهم رأى أن الحجاج أراد التخلص من عبدالرحمن ومن المقاتلة أيضا لكرهه لهم[5]، وينفي بعض الباحثين وجود علاقة متوترة أو أي أحقاد بين الطرفين[6]، ويرى الملحم أن اختيار الحجاج لعبدالرحمن من بين جميع القادة وقبول عبدالرحمن بذلك دليلا على ذلك[7]، وأن ما سمعه من أخوته إنما هو حسد[8] منهم وأن هيبته ستمنع عبدالرحمن من الخروج عليه، فقد جاء رده: **"هو لي أهيب – يعني عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث- وفيما لدي أرغب من أن يخالفني أو يخرج يدا من طاعتي"**[9]، ولا نعرف سبب هذه الثقة الزائدة لدى الحجاج على الرغم أنه خرج عليه من قبل خوارج قليلي العدد، وخرجت عليه غزالة زوجة شبيب بن يزيد الخارجي.

نرى أن الحجاج بن يوسف لم يكن مجبورا لإرسال ابن الأشعث إلى سجستان حتى يقضي عليه، ولا نظن أن الحجاج كان سيعد جيشا عظيما بهذه الجموع والعدة ومن أهل العراق بالذات ويسلم قيادته إلى شخص يحمل اتجاهه أدنى شك أو كراهية فهو ليس بهذه الدرجة من الغباء ليفتح لابن الأشعث بابا يمكنه من التفوق والقضاء عليه، ولعل ما كان بينهما هو الغيرة وروح المنافسة فقط، فالحجاج يحسد ابن الأشعث القائد الشجاع العظيم النسب ويخشى أن يأخذ مكانه

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٩.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص ص١١٩٥-١١٩٦.
(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٤٥.
(٤) المشهداني، محمد جاسم. "حركة عبد الرحمن بن محمد الأشعث ضد الخلافة الأموية ٨١-٨٣-٧٠٠-٧٠٢م". مجلة المؤرخ العربي، العدد٢٨، الأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب، بغداد:١٩٨٦م، ص٧٦.
(٥) الأمين، السيد حسن. "ثورة الأحرار على الحجاج". مجلة المنهاج، المجلد٢، العدد٨، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، لبنان: ١٩٩٧م، ص١٨٦.
(6) The Encyclopedia of Islam, Vol 3, p:715
(٧) الملحم، محمد بن ناصر. "تحليل تاريخي لموقف الدولة الأموية من خروج ابن الأشعث عليها (٧٩-٨٣هـ/٧٩٨-٧٠٢م)". مجلة جامعة الملك سعود(الآداب)، المجلد١٣، الرياض: ٢٠٠١م، ص١٣٢.
(٨) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٧٧.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٦.

في يوم من الأيام، وابن الأشعث يحسد الحجاج على حزمه وقوته فهو الوالي المقرب من الخلافة الأموية، وبيده تجري أمور العراق، وكان لثقة الحجاج الكبيرة بنفسه أثر على قراره حين قال: **"لقد استعملته على بصيرة فإن يستقم فلنفسه نظر، وإن يفترج سبيله عن بصائر الحق يهد إن شاء الله"**[1]

لم يرفض عبدالرحمن قرار تعينه على جيش العراق على الرغم من أنه كان منشغلا في قتال الخوارج، أو ربما لم يكن في وضع يسمح له بالرفض، ولا يمكننا أن نجزم ما كان يدور في ذهن عبدالرحمن بعد أن وصله خبر تعين الحجاج له لقيادة الجيوش إلى سجستان خاصة أنها لم تكن المرة الأولى، فقد أرسله الحجاج من قبل إلى تأديب هميان بن عدي السدوسي[2] الذي عصى أوامر الحجاج في كرمان، فحاربه عبدالرحمن وانتصر عليه[3] ولكن الوضع هذه المرة سيختلف فقد جهز الحجاج جيشا جرارا من أهل الكوفة والبصرة قوامه عشرون ألفا من أهل البصرة وعشرين ألف من أهل الكوفة[4]، وعلى الرغم من المبالغة في العدد، ولكن يبدو أن الجيش كان من الكثرة والقوة فيصفه الطبري: **"وأعطى الناس أعطياتهم كملا، وأخذهم بالخيول الروائع، والسلاح الكامل... وجهز إليها جيشا أنفق عليهم ألفي الف سوى أعطياتهم"**[5]، وقد عرف هذا الجيش بجيش الطواويس لحسن زيهم[6] ولشجاعتهم وعدتهم[7].

قاد عبدالرحمن بن الأشعث جيش الطواويس وتوجه إلى سجستان فوصلها في أواخر سنة ٧٩هـ/٦٩٨م، وما أن علم رتبيل بسير جيش المسلمين نحوه حتى رأى أن يكون المكر والدهاء أول الحلول لمواجهة هذا الجيش، فكتب إلى عبدالرحمن مظهراً التودد والخضوع، وعرض عليه الصلح على أن يدفع ما عليه من خراج ذلك العام، ولكن ابن الاشعث كان أكثر فطنة وأشد حرصا ودراية بخطط رتبيل المكشوفة، التي مارسها من قبل على الجيوش الإسلامية عندما كان يفتح لهم المناطق ويسمح لهم بالتوغل ومن ثم يطبق عليهم ويضطرهم للصلح وفقا لشروطه، لذلك رفض عبدالرحمن عرض رتبيل لِما علم من سوابقه مع المسلمين، وغض ابن الأشعث الطرف عن الحسد الذي كان أخوته يكنونه له، وأظهر غلبة مشاعر التكاتف القبلي

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٤٥.
(٢) هميان بن عدي السدوسي: عرف عنه بالشجاعة، كان على شرطة البصرة أيام عبيدالله بن زياد، أرسله الحجاج بن يوسف إلى كرمان لمساعدة عامل سجستان ولكن هميان عصى الحجاج وانضم إلى ابن الأشعث، ودخل البصرة وأخرج من كان في سجن الحجاج. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٣١٠، ٣٢٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص ص١٠٣٤، ١١٩٦.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٦.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٦.
(٥) المصدر نفسه، ص١١٩٦.
(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص١٠٥.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٠.

فأرسل أخاه القاسم بن محمد[1] إلى الرُخَّج[2] ونزل هو في بُست[3]، وكان يحصن المناطق التي يستولي عليها ويضع فيها قوات لحمايتها من رتبيل وأتباعه، وقد ركز عبدالرحمن على المناطق الضيقة التي كان من الممكن أن يُهاجِم جيشه منها[4].

قرر عبدالرحمن أن يوقف توغله في المنطقة إلى هذا الحد، فقد وضع في حسبانه الكثير من الأمور، منها أن توقفه سيكون حماية لجيشه من أي كمين يكون رتبيل قد أعدّه لهم فيما إذا توغلوا في المنطقة، فهو لم يكن على دراية كافية بالمنطقة وخباياها، ويحتاج إلى مزيد من الوقت حتى يعرف الكثير عنها، وفي الوقت نفسه فإن عبدالرحمن قد سيطر على مناطق أصبح قادرا على حمايتها، ورأى أن الجند من حقهم أن ينالوا شيئاً من الراحة بعد جهد وتعب دام لعام كامل، وأراد أن يتبع سياسة خاصة به وهي أن يستولي على المنطقة جزءا تلو جزء في كل عام، ويضمن سيطرته على كل جزء ثم ينتقل إلى جزء آخر، ولذلك كان يضع الحاميات العسكرية لحماية الأجزاء التي يسيطر عليها، ومن أجل ذلك قرر عبدالرحمن أن يتوقف عن قتال رتبيل وعن التوغل فكتب بذلك إلى الحجاج موضحا له خطته في القتال[5].

ولكن ها هو الحجاج يعيد كرة ما فعله مع المهلب بن أبي صفرة أثناء قتاله للخوارج في الأهواز، ولم يقبل بسياسة عبدالرحمن التي ستطيل من مدة القتال مع العدو، والتي ستؤخر النتيجة الحاسمة معهم، لذلك استاء الحجاج من قرار ابن الأشعث وكتب إليه: **"أما بعد، فإن كتابك أتاني، وفهمت ما ذكرت فيه، وكتابك كتاب إمرئ يحب الهدنة، ويستريح إلى الموادعة، قد صانع عدوا قليلا ذليلا، قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا، وغناؤهم في الإسلام عظيما، لعمرك يا بن أم عبدالرحمن، إنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وحدي لسخي النفس عمن أصيب من المسلمين"**[6]، وهذه هي طبيعة الحجاج في كل الحروب التي خاضها فلا يعترف بإمكانية تحقيق النصر بأقل ما يمكن من الخسائر.

يبدو أنه لم يكن في نية ابن الأشعث حتى هذه اللحظة أي تمرد أو خروج على الحجاج، فقد كان صريحا وواضحا معه في قيادة الجيوش، ولكن أسلوب الحجاج في الرد على رسالة ابن الأشعث وما صاحبها من لهجة التهديد والقسوة قلبت كل الموازين، لم يكتفِ الحجاج برفض فكرة عبدالرحمن وخطته في القتال بل قلل من شأنه وهدده بقوله: **"إني لم أعدد رأيك الذي زعمت**

---

(١) القاسم بن محمد: هو القاسم بن محمد بن الأشعث، أخو عبد الرحمن بن محمد الأشعث، خرج مع أخيه على الحجاج بن يوسف الثقفي فقتل سنة ٨٥هـ/٦٩٤م.انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١٢١٩.
(٢) الرُخَّج: مدينة من نواحي كابل. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٨.
(٣) بست: مدينة بين سجستان وهراة، وهي من أعمال كابل. انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٤١٤.
(٤) ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٥٩.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٦.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٩؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٢٥.

أنك رأيته رأي مكيدة، ولكني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك، والتياث رأيك، فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، والهدم لحصونهم، وقتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم... فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم... فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس، فخله وما وليته"(1).

منذ هذه اللحظة بدأت تظهر بوادر التوتر في العلاقة بين الحجاج وعبدالرحمن، فالحجاج غاضب من مخالفة عبدالرحمن للاتفاق الذي كان بينهما، وهو أن يستمر في اللحاق برتبيل والسيطرة على بلاده، وعبدالرحمن زاد غضبه بعد أن هدده الحجاج بأن يقيله من أمر قيادة المسلمين، ولم يأبه لجموع المسلمين الذي أصبح هو المسؤول عنهم، والذي لم ير في تقدمه إلا سفكا لدمائهم ولإنهاكهم، لحظتها قرر عبدالرحمن مخالفة الحجاج وعدم إطاعته فيما أراد.

نرى أن اختلاف وجهات النظر بين الطرفين زاد الأمر سوءا، ودائما من يكون في أرض المعركة يرى ما لا يراه من يكون بعيدا عنها، الحجاج كان بعيدا عن أرض المعركة، أراد أن يحقق لنفسه من الشهرة والمكانة والفتوح ما يحفظ مكانته مع خلفاء بني أمية غير آبه بالتضحيات في الأرواح والخسائر في المادة، ولم يكن يرى ما يراه عبدالرحمن بأن التقدم في أرض العدو ما هو إلا إجهادا للمقاتلين وإنهاكا لقوتهم، ولا ننسى ما عرف عن عبدالرحمن من العزة والغرور والتي بلا شك كان لها تأثير على قراره، وأصبح عبدالرحمن في موقف لا يحسد عليه، فهو إن وافق على أوامر الحجاج التي يمكن وصفها باللامبالاة فهو يُعرِّض جنده للهلاك، وإن رفض أوامره فهو يخرج عن طاعة قائده.

رأى عبدالرحمن أن يستشير المقاتلين وينظر رأيهم في الأمر حتى لا يصدر قرارا يعاتبه عليه أحد فيما بعد، فخاطبهم موضحا لهم في البدء أن قرار التوقف عن القتال لعام كامل لم يأتِ إلا بمشورة مع أولي الرأي والتجربة في الحرب، وأنه لم يوقف القتال إلا لمصلحتهم ولكن الحجاج يأبى ذلك، وقد بيَّن عبدالرحمن للمقاتلة أنه يسير على رأيهم ويأخذ برأيهم قائلا: **"وانما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم وأبى إذا أبيتم"**(2)، ولكن المفاجأ في الأمر أن كل المقاتلة رأوا أن يسيروا على رأي عبدالرحمن بوقف القتال لعام كامل، وأن يعصوا الحجاج فيما أمرهم ويخلعوه، على الرغم من أن مصلحتهم تكمن في سرعة إنهاء القتال والعودة إلى أوطانهم وأهاليهم فقد جاء ردهم لعبدالرحمن: **"لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع"**(3).

---

(1) الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٩.
(2) المصدر نفسه، ص١١٩٩.
(3) المصدر نفسه، ص١١٩٩.

فإن كان ابن الأشعث أراد الانتقام لكرامته بعد الإهانة التي تلقاها في رسائل الحجاج، ما الذي دفع بكل هذه الأعداد الغفيرة – أربعين ألف- أن توافق ابن الأشعث في مخالفة الحجاج بن يوسف؟

في البدء علينا أن نوضح أن جيش ابن الأشعث تشكل من جماعات مختلفة، فكان يحوي جماعة الموالي والقراء[1] والمرجئة[2]، وبطبيعة الحال كانت هناك أهداف مشتركة بين جميع هذه الفئات، وأهداف خاصة سعت كل جماعة إلى تحقيقها من عدائها للحجاج.

كان للمقاتلة عامة أسباب دعتهم إلى الانضواء تحت قيادة ابن الأشعث في مخالفة الحجاج، فالجنود كانوا يرون بأم أعينهم ما لا يراه الحجاج وقتها من طبيعة قاسية وظروف صعبه تعرقل استمرار المسير، وكانوا يشعرون بجهد سنة من القتال، واستمرارهم هو أمر حتمي بالقضاء عليهم إما بسبب وعورة المنطقة أو بسبب جراحهم التي لم تبرأ بعد أو بسبب العدو الذي يكيد لهم المكايد ليطبق عليهم كلما توغلوا إلى داخل بلاده، أيضا لم تعد هناك ثقة بين الأمير –الحجاج- وجنوده فقد ظنوا فيه السوء واعتقدوا أن أوامره هذه ماهي إلا خطة منه حتى يتخلص منهم حيث يروي لنا البلاذري وابن أعثم أن هناك رسالة زورها ابن الأشعث على لسان الحجاج يأمره فيها بعزل بعض الزعامات وبقتل بعض منهم[3] مما زاد من حقد الناس على الحجاج حيث قال أحدهم: **"إن الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الأول: أحمل عبدك على الفرس فإن هلك هلك وإن نجا فلك"**[4]، ولم يدركوا أن الحجاج لو كان يفكر بهذه الطريقة لخسر جنده ولكان هو الخاسر الأول، كما فهم الجند من رسالة الحجاج أنه يريد أن يطبق عليهم سياسة التجمير التي كانت الدولة الأموية تستخدمها، وتفرض على المقاتلة البقاء في مناطق الثغور بعيدين عن أهلهم وأوطانهم[5] خاصة عندما بعث في رسالته **"فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا"**، ويضيف الملحم أن العصبية العراقية كان لها الأثر الكبير في قرار الجند فهي استمرار لمظاهر النزاع العراقي الشامي التي بدأت بين علي ومعاوية، فلم تكن هناك مساواة في العطاء بين أهل الشام وأهل العراق[6] ورفض أهل العراق أن يكون عليهم رجل من أهل الشام وكانت فرصتهم للقضاء عليه[7]، وقد تغلبت العصبية العراقية هذه المرة على العصبية القبلية التي كانت سائدة

---

(١) القراء: فئة بدأت تبرز منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، مهنتها كانت تقتصر على قراءة القرآن والتعليم والوعظ، وكانت تحظى باحترام الناس، وكان الخليفة يخصها بالعطاء. انظر: الجابري، المرجع السابق، ص ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المرجئة: واحدة من الفرق التي نشأت في العصر الأموي، وسميت بذلك لأن أتباعها يأخرون الأعمال عن الإيمان. انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٧٨.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٣؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص ص٧٨-٧٩.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٩.

(٥) النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا (ت٣٩٠هـ/٩٩٩م). الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي. تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٥م، ص٣٢٩؛ الصلابي، علي محمد. الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار. ج٢، ط٢، دار المعرفة، بيروت: ٢٠٠٨م، ص٥٣٥.

(٦) سيتضح ذلك لاحقا في الشروط التي سيعرضها الخليفة عبد الملك بن مروان على أهل العراق.

(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٦٥؛ الملحم، المرجع السابق، ص١٥٠.

آنذاك[1]، وتذهب فاشية فاكليري Mme Vaccia Vaglieri إلى أبعد من ذلك في اعتقادها أن ثورة ابن الأشعث هي صراع القحطانيين والهمدانيين الذين ترأسهم ابن الأشعث ضد المضريين والثقفيين[2].

ومما لا شك فيه أن الجند قد ربطوا سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي في تعامله معهم، التي اتسمت بشيء من الشدة والقسوة في ردة فعلهم هذه وفي سوء ظنهم به، ولم يدركوا أن هذه هي سمات شخصية الحجاج في كل المواقف والمجابهات التي واجهها، وأن الظروف التي تسلم فيها الحجاج ولاية العراق حتمت عليه أن يقود الولاية بشيء من الحزم والشدة حتى يتمكن من ضبط الأمور والسيطرة على العراق لصالح الدولة الأموية، وإذا كان الحجاج بن يوسف الثقفي قد أخطأ في تقديره لأوضاع الجند حينها فابن الأشعث أخطأ أيضا في موافقتهم على خلع الحجاج بن يوسف، ومنذ اللحظة التي وافق فيها ابن الأشعث على ذلك بدأت الخيوط الأولى لأكبر حركات المعارضة ضد الدولة الأموية.

كان من العوامل المشجعة لابن الأشعث حصوله على تأييد الموالي، وقد هول بعض المؤرخين المحدثين هذا التأييد بالقول أن ثورة ابن الأشعث كانت مظهرا من مظاهر النزاع بين العرب والموالي، بحجة أن الموالي أرادوا الحصول على المساواة بينهم وبين العرب على اعتبار أنهم أقل مكانة منهم، وبحجة فرض الجزية على من أسلم منهم، وأنهم حرموا من العطاء[3] فوجدوا في معارضة ابن الأشعث فرصة سانحة لتحقيق مطالبهم، وأنها محاولة من الموالي لإكمال حركتهم التي بدأت على يد المختار الثقفي، واستمرار تأييدهم للعلويين[4] بحكم أن أكثر نشاطا في تأييد ابن الأشعث كانا اثنين من المخلصين للمختار الثقفي وهما أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني[5] بالولاء وعبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي[6] بالولاء، وبالغ الخربوطلي عندما قال إنها حركة الموالي ضد أهل الشام[7]، وفي حقيقة الأمر إن تأييد الموالي لابن الأشعث جاء لعدة أسباب منها أسباب عامة تكمن في بقاء حقد الموالي وخاصة في أقاليم المشرق على السلطة العربية التي قوضت أركان إمبراطوريتهم، وظلوا متأملين أن يعيدوا أمجادها؛ لذلك نراهم يشاركون في معظم حركات المعارضة ضد الدولة، ووجدوا في فتنة ابن

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص٢٤٩.

(2) The Encyclopaedia of Islam, vol:3, p:716.

(٣) ولهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص٢٣٥.

(٤) فلوتن، المرجع السابق، ص٤٤.

(٥) عامر بن وائلة الكناني: صحابي عرف بأبو الطفيل، كان شاعرا وخطيبا، وهو آخر من توفي من الصحابة، خرج مع ابن الأشعث ضد الدولة الأموية. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٩؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير. ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت:١٩٩٧م، ص٣٢٤.

(٦) عبد المؤمن بن شبث: هو عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي، خرج مع ابن الأشعث وكان على شرطته بعد عودتهم من سجستان. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١١٩٩.

(٧) الخربوطلي، المرجع السابق، ص١٥٥.

الأشعث فرصة للتعبير عن هذه المشاعر ولإضعاف الدولة الأموية ونشر الفوضى فيها، ولأنها تتناسب مع أهدافهم حيث يقول ابن حزم في ذلك: " **أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى**"(١)، كما وجد الموالي أن سياسة الحجاج لم تنصفهم فعلى الرغم من دخولهم في الإسلام إلا أن الحجاج فرض عليهم الجزية، وأجبر الموالي الذين هاجروا إلى الأمصار على العودة إلى قراهم(٢)، وقد طبق الحجاج هذه السياسة بسبب حاجة الدولة إلى الأموال فهي تواجه ثورات كثيرة، وكان لهذه السياسة أثر كبير على موقف الموالي من الحجاج وتطلعهم للقضاء عليه، وبقيت هناك أسباب خاصة دعت الموالي للمشاركة في هذه الحركة حيث انضم بعض الموالي لتحقيق مصالح شخصية كما اعترف بذلك الهلقام بن نعيم بن القعقاع(٣) وقال إنَّ انضمامه إلى جانب ابن الأشعث كان طمعا في أن يوليه ابن الأشعث العراق إذا ما نجحت حركته(٤)، كما شارك الشاعر المعروف بأعشى همدان(٥) في هذه المعارضة طمعا في المال فقد طلب من ابن الأشعث أن يعطيه الكثير من المال لتأييده له(٦).

لم يكن هناك تمييز بين الموالي والمسلمين بالصورة المبالغ فيها التي يحاول المغرضون إثارتها، فالدولة الأموية قد منحت الموالي مناصب مهمة في الإدارة والجيش وها هو فيروز بن حصين(٧) صاحب نهر فيروز في البصرة يشارك ابن الأشعث في حركته، وقد عجب الحجاج من اشتراكه فبعد أن جيء بفيروز أسيرا قال له الحجاج: "**أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم**"(٨) ومناداته بأبي عثمان دليلا واضحا على مكانته وأنه كان محترما، ولعل مشاركته لم تتعدَّ حبا في القضاء على السلطة العربية، كما شارك سعيد بن جبير في هذه الحركة، وهو مولى عينه الحجاج قاضيا على العراق رغم اعتراض أهل الكوفة على

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص٢٧٣.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١٢١٥.
(٣) الهلقام بن نعيم: هو الهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد، خرج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث ضد الدولة الأموية، فقتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج١، ص٢٣٣؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٢١٥.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج١٢، ص٤٣.
(٥) أعشى همدان: هو عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام بن همدان، شاعر كوفي من شعراء الدولة الأموية، خرج مع ابن الأشعث في ثورته على الحجاج فوقع أسيرا وأمر الحجاج بقتله. انظر: الآمدي، المصدر السابق، ص ص١٤-١٥؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٢٧.
(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٣٧.
(٧) فيروز بن حصين: من موالي آل الخشخاش، كان من أعظم موالي العراق قدرا، خرج مع ابن الأشعث ضد الدولة الأموية فقتله الحجاج سنة ٨٣هـ/٧٠٢م. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٧.
(٨) ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٢.

تعينه[1]، وما يثبت لنا عدم التمييز هو أن سياسة الحجاج التي اتسمت بالشدة والقسوة قد مست العرب والموالي معا، بسبب ظروف الأزمة المالية الصعبة التي تمر بها الدولة الأموية.

ويرى بعضهم أن مشاركة الدهاقين لابن الأشعث في حربه على الدولة الأموية كان لأسباب اقتصادية؛ فالدولة كانت ترمي لإزالة التأثيرات الفارسية والبيزنطية من على العملة، وكان الحجاج كثيرا ما يمنع الدهاقين من التلاعب بالعملة، وجعل ضرب النقود من حق الدولة فقط مما زاد من استيائهم ورغبتهم في القضاء عليه فأسرعوا بالانضمام إلى ابن الأشعث[2] وبطبيعة الحال لا ننسى التبعية وما كانت تفرضه على الموالي من الطاعة، وأتباع أسيادهم في السلم والحرب، فلم يرفع الموالي عصا التمرد دون العرب، فيذكر الطبري أن عدد رجال ابن الأشعث كانوا "**مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم**"[3] وعلى الرغم من المبالغة في العدد إلا أن ذلك لا ينفي أن العرب اعتادوا على أخذ مواليهم معهم في الحروب ، والجيش الذي جهزه الحجاج والذي عرف بالطواويس جيش عربي من أهل العراق أريد به قتال الأعاجم فقد صور لنا أعشى همدان عروبة هذا الجيش في أبياته[4]:

لما سمونا للكفور الفتّانْ	بالسيد الغِطريفِ عبدالرحمن
سار بجمع كالقطا من قحطان	ومن معد قد أتى ابن عدنان
أمكن ربي من ثقيف همدان	يوما إلى الليل يسلي ما كان

وليس من المعقول أن يشكل الحجاج جيشه من غالبية الموالي حتى يقاتل به الأعاجم، كما أنه ليس من المعقول أن تخرج كل هذه الجموع من العرب للمطالبة بحقوق الموالي[5]، وكان للوعود التي مناها ابن الأشعث للموالي في تحسين أوضاعهم المعيشية وتقليدهم المناصب المهمة دور في جذب بعضهم[6].

أما ما يخص أن مشاركة الموالي لابن الأشعث في حركته هو استمرار لحركة المختار فلا يمكن قبول هذا الرأي على الرغم من أن القضاء على المختار لم ينتهِ معه طموح الموالي[7]، ولكن حركة ابن الأشعث لم يكن هدفها المناداة بتحقيق المساواة بين العرب والموالي فقط كما فعل المختار من قبل، كما أن جيش الطواويس كان غالبيته من عرب الكوفة خاصة قبيلة ابن

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤٦.
(٢) جوزي، بندلي. من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام. دراسة وتحقيق: محمود إسماعيل، ط١، رؤية، القاهرة: ٢٠٠٦م، ص٨٨؛ شاكر، انتصار نصيف. "دور الموالي في حركة عبد الرحمن بن الأشعث". مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد١٥، العدد٥، تكريت: ٢٠٠٨م ، ص٣٤٨.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠٣.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٤٦.
(٥) عاقل، المرجع السابق، ص١٨١.
(٦) انتصار، المرجع السابق، ص٣٤٩.
(٧) عاقل ، المرجع السابق، ص١٨٠.

الأشعث وخاصته ولكون الغالبية المؤيدة كانت من الكوفة[1] لا نستبعد أن يكون منهم من الشيعة الذين يبحثون عن فرصة للقضاء على الدولة الأموية، ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أن جيش ابن الأشعث كان من الموالي الذين أرادوا أن يكملوا حركة المختار.

يذهب السيد حسن الأمين إلى أبعد من ذلك حين يقول أن ثورة ابن الأشعث قامت باسم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومن أجل مبايعته قاتل أهل العراق الدولة الأموية[٢] ولا يمكن قبول هذا الرأي بأي حال من الأحوال فأهل العراق لم يكونوا مجبورين على إعلان ثورتهم بعيدا عن أرضهم، ولكان بإمكانهم الثورة باسم الحسن بن الحسن بن علي في أرض العراق، ولو افترضنا أن أمر الثورة جاء مفاجئا لأهل العراق لكان هناك سوابق وبوادر أتكأ عليها أهل العراق حتى يعلنوا ثورتهم باسم الحسن، ولكن الحسن بن الحسن قد تبرأ من ذلك عندما واجهه عبدالملك بن مروان و"**جعل يعتذر إليه ويحلف له**"[٣] فلا صلة للحسن بهذه الثورة لا من قريب ولا من بعيد، كما أن موافقة أهل العراق على أن يكون عبدالرحمن قائدا لثورتهم دليل على أنهم وضعوا بعين الاعتبار أنه لو نجحت هذه الثورة سيكون أول من يبايعوه هو قائدهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث.

وإلى جانب تأييد الموالي حصل ابن الأشعث على تأييد أعداد من القراء من أهل البصرة والكوفة وهذا ما أضفى على حركته الصفة الدينية، وهناك اختلاف كبير في أعداد القراء الذين انضموا إلى ابن الأشعث، فيذكر ابن خياط أنهم كانوا خمسمائة[٤]، ويذكر ابن أعثم أنهم كانوا ثمانية آلاف[٥]، وكان لهؤلاء القراء أسبابهم الخاصة التي دعتهم للانضمام إلى جانب ابن الأشعث؛ فهم لصفتهم التي اتسمت بالورع والتدين رأوا في الحجاج رجلا قاسياً يهتم بأمر دنياه أكثر من دينه[٦]، وهم يؤيدون الموالي الذين أجبرهم الحجاج على دفع الجزية بعد إسلامهم وأجبرهم على العودة إلى قراهم حتى يعيد الاستقرار الاقتصادي للعراق، فوجدوا في هذا ظلما من الحجاج لهؤلاء ومخالفة صريحة للإسلام[٧]، حيث يوضح ذلك سعيد بن جبير[٨] أحد القراء في إحدى خطبه بالقول: "**قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة**"[٩]، ويذهب فان فلوتن Vloten إلى القول بأن هؤلاء القراء ما هم إلا جماعة من

---

(1)The Encyclopedia of Islam,vol:2, p197.

(٢) الأمين، ثورة الأحرار على الحجاج، ص٢٢١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص١٠.
(٤) خليفة، تاريخ، ص١٨١.
(٥) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٩٢.
(٦) دكسن، الخلافة الأموية، ص٢٥٨.
(٧) عاقل، المرجع السابق، ص١٧٩.
(٨) سعيد بن جبير: هو سعيد بن جبير بن هشام، مولى بني والبة بن الحارث، كان فقيها عابدا، تولى قضاء الكوفة ثم خرج مع ابن الأشعث على الدولة الأموية فقتله الحجاج سنة ٩٥هـ/٧١٣م. انظر: ابن حبان، المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٥.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٤٠.

الموالي الذين نالوا احترام الطبقة الحاكمة وحال دون مقاومتها في البدء[1] وقد لعب القُراء دورا كبيرا في حركة ابن الأشعث- سيتضح ذلك لاحقا-.

وما يثير استغراب دكسن انضمام فرقة المرجئة إلى ابن الأشعث على الرغم من أنها كانت تحظى باحترام الدولة الأموية بحكم أن مبادئها تسير وفقا لمصلحة الدولة وهي تأييد الحاكم مهما كانت مساوئه[٢]، ولكن نرى أنه في الوقت ذاته كانت المرجئة ترى في أفعال الحجاج وما نسب إليه من أفعال كلها تؤدي به إلى الكفر لذلك وجب قتاله[٣]، كما لاقت حركة ابن الأشعث تأييداً كبيراً من اليمانيين فقد تبنى ابن الأشعث لقب "القحطاني" وهو الشخص الذي ينتظره اليمانيون حتى يعيد لهم سلطتهم[٤] كما عرف أيضا بـ"ناصر المؤمنين" حتى يضفي على نفسه سمة المدافع عن حقوق المسلمين[٥]، وكل هذه الألقاب كانت كافية لتجذب الضعفاء من عرب وموالي لينضموا إلى ابن الأشعث .

٣- المواجهة بين عبدالرحمن بن محمد الأشعث الكندي والدولة الأموية

أعلن ابن الأشعث معارضته سنة ٨١هـ/٧٠٠م بقوله: " **تبايعون على خلع عدو الله الحجاج وعلى نصرتي وعلى جهاد عدو الله وعدوي معي حتى ينفيه الله عز وجل من أرض العراق**"[٦]، ويبدو أن معارضة ابن الأشعث لحظتها لم تتعدَ أن تكون معارضة للحجاج بن يوسف الثقفي دون الخليفة عبدالملك بن مروان، وهذا يعكس لنا شيئاً من التضجر الذي كان يعانيه أهل العراق من سياسة الحجاج.

بايع الجند لابن الأشعث وقرروا السير إلى العراق عازمين على إخراج الحجاج من أرض العراق[٧]، فضبَّط عبدالرحمن أوضاعه في سجستان، وأقر عماله على بست وزرنج[٨] و كرمان، وبعث إلى رتبيل وصالحه على أن يعفيه من الخراج إن ظفر بالحجاج وعلى أن يكون ملجأ له إذا هزم[٩]، وبعد أن أمن أوضاعه في سجستان توجه عبدالرحمن بجنوده إلى العراق.

ولكن أين هي الدولة الأموية في ظل كل هذه الأحداث في سجستان واتفاق الجند وقرار مسيرهم إلى العراق؟

---

(١) فلوتن، المرجع السابق، ص٥٩.
(٢) دكسن، الخلافة الأموية، ص٢٥٩.
(٣) الحميري، المصدر السابق، ص٢٥٨.
(٤) دكسن، الخلافة الأموية، ص١١٠؛ فلوتن، المرجع السابق، ص١٠٧؛ فوزي، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص٣٧٢.
(5)The Encyclopaedia of Islam,vol:3, p:715.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٤.
(٧) المصدر نفسه، ص٣١٤.
(٨) زرنج: أعظم مدن سجتسان، وهي مدينة الملك رتبيل. انظر: ابن خرداذبة، عبيدالله بن عبدالله (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م). المسالك والممالك. د.ط، دار صادر، بيروت: ١٨٨٩م، ص٥٦؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).البلدان. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠١م، ص١٠٢.
(٩) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٢٧٨.

وصلت رسالة من ابن الأشعث إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ملؤها التهديد والوعيد جاء فيها **"إن الله أنهضني لمصاولتك، وبعثني لمناضلتك، حين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك، فأصبحت عريان حيران، مبهتا لا توافق وفقا، ولا تلزم صدقا، أؤمل من الله الذي ألهمني ذلك أن يصيرك في حبالك أو أن يجيء بك في القرن، ويسحبك للذقن وينصف منك من لم تنصفه من نفسك، ويكون هلاكك بيدي من اتهمته وعاديته، فلعمري لقد طال ما تطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور، وأنت في فلك الملك تدور وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب، فسر لأمرك ولاق عصابة خلعتك من حبالها خلعها نعالها"**[١].

ما أن وصلت هذه الرسالة إلى الحجاج حتى أدرك أنه في موقف صعب، وتوجه من فوره إلى البصرة وأقام بها حتى يتصدى لجيش الطواويس الذي عاد لمحاربته، وأرسل الحجاج إلى الخليفة عبدالملك بن مروان يخبره بالأمر وبتمرد ابن الاشعث عليه، وما أن وصلت هذه الأخبار إلى الخليفة حتى اغتم غما شديدا[٢]، خاصة بعد أن علم أن ابن الأشعث وجيشه قد خلعوا الخليفة أيضا بعد وصولهم إلى مدينة فارس حيث قال بعضهم: **"إذا خلعنا الحجاج فقد خلعنا عبدالملك"**[٣].

استمرت المراسلات بين الحجاج والخليفة عبدالملك بن مروان بشكل يومي[٤]، يخبره فيها بأمر تقدم الجيش وطريق سيره، واستمر الخليفة عبدالملك يرسل الإمدادات من بلاد الشام إلى الحجاج على البريد وعلى الخيل العتاق وعلى الإبل الناجية، وفي الوقت ذاته كانت أخبار عبدالرحمن وتحركاته تصل إلى الحجاج بكل دقة وتفصيل[٥]، وفي محاولة من المهلب بن أبي صفرة لتهدئة الوضع بين الطرفين بعث بكتاب إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث يوجه إليه النصيحة ويحثه على التراجع عما كان قد عزم عليه، فأرواح الجند أمانة عنده وينهاه عن نقض البيعة لخليفة المسلمين[٦]، ولكن لا تذكر لنا المصادر أي رد من ابن الأشعث إلى المهلب، ويبدو أن محاولة المهلب قد ذهبت سُدى مع عبدالرحمن بن محمد الأشعث كما ستذهب سُدى مع الحجاج، حيث بعث المهلب برسالة أخرى إلى الحجاج محاولا تهدئة الوضع، وجهدا منه لتلافي الصدام بين المسلمين، وطلب في كتاب بعثه إلى الحجاج ألا يتعجل في قتال جند العراق حتى يصلوا إلى منازلهم فلعلهم يبدلون رأيهم ما أن يروا أولادهم وأهليهم، وتسكن نفوسهم إلى الموادعة وكره القتال، ولكن الحجاج لم يأخذ بنصيحة المهلب، وأصر على أن يقود الجيش الأموي بنفسه ضد أهل العراق، فسار حتى نزل رستقباذ، ونرى أن الحجاج قد فضل السير

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٤٦.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٢١؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠٠؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٨٥؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٦١.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣١٩.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٠.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص ص١٢٠٠-١٢٠١.
(٦) المصدر نفسه، ص١٢٠٠.

لملاقاة ابن الأشعث خارج أرض العراق حتى لا يستفحل خطره بانضمام الناقمين عليه في البصرة والكوفة.

أقبل ابن الأشعث ونزل في تستر[١] وكان ذلك سنة ٨١هـ/٧٠٠م ودارت أول معركة بينه وبين الحجاج انتصرت فيها القوات الأموية، ولكن ما كاد الحجاج أن يفرح بهذا الانتصار حتى انقلبت الموازين، واستغلت قوات ابن الأشعث صعوبة الأجواء وكثافة الضباب[٢] وهجموا على القوات الأموية وانتصروا عليها.

ومما لا شك فيه أنه لم تكن الأجواء المناخية هي السبب الوحيد في هزيمة جيش الشام، بل اجتمعت عوامل أخرى ساعدت ابن الأشعث على تحقيق هذا الانتصار، منها أن أعداد جيش الشام كان أقل بكثير من أعداد جيش العراق[٣]، وقد خرج هذا الجيش رغم أنفه لملاقاة جيش العراق فلا مال ولا طعام يسند قتالهم في تستر[٤]، ونرى أنه لا يمكن استبعاد الحالة النفسية التي كان عليها جيش الشام، فقد كانوا في وضع لا يحسدون عليه لأنهم ملّوا وضجروا من حروبهم مع أهل العراق والتي لم تتوقف منذ وقعة صفين وما قبلها، كما أن خروج الحجاج إلى رستقباذ لملاقاة جيش العراق كان خطأ كبيرا قد ارتكبه؛ فجيش العراق كان مستميتا في قتال الحجاج ولو فعل الحجاج بنصيحة المهلب لكان حماسهم قد قل، ولكن الحجاج أدرك ذلك متأخرا وندم فقال: "**لله أبوه أي صاحب حرب هو أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل**"[٥]، ولذلك قرر الحجاج التراجع نحو البصرة ونزل في الزاوية[٦].

دخل ابن الأشعث البصرة وحصل على مبايعة القراء والشيوخ[٧]، وزاد أعداد مبايعيه، فقرر الخروج إلى الزاوية ومقاتلة الحجاج، دارت معركة عنيفة بين الطرفين سنة ٨٢هـ/٧٠١م حققت فيها قوات ابن الأشعث انتصارات كبيرة على الجيش الأموي، ولكن إصرار الحجاج على الصمود في أرض المعركة حال دون هزيمته، ووقعت الواقعة على جيش ابن الأشعث، وتقدم الحجاج نحو البصرة واستمر الناس في قتاله ولكنه ظفر بهم، وولى ابن الأشعث مسرعا إلى الكوفة مخلفا على البصرة عبدالرحمن بن العباس[٨].

---

(١) تستر: أعظم مدن خوزستان. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٢٢.
(٣) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٨٩.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٢٦.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠١.
(٦) الزاوية: موضع قرب البصرة. الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص١٢٨.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٢٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠١.
(٨) عبد الرحمن بن العباس: هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، شارك ابن الأشعث في معارضته ضد الدولة الأموية، شخص إلى سجستان بعد هزيمة دير الجماجم، وقاد أتباعه إلى خراسان فحاربه يزيد بن المهلب وهزمه، وأمر يزيد ألا يتبع فمضى إلى السند ومات هناك. البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٥١،٣٣٢.

يرى البلاذري أن خروج ابن الأشعث من البصرة كان ردة فعل على هزيمته[1]، في حين أن ابن الأشعث قد برر خروجه لسببين أولهما أن يمد عبدالرحمن بن العباس بالرجال[2] وثانيهما بحجة أن مطر بن ناجية الرياحي[3] قد وثب بالكوفة مع جماعة يسيرة من تميم[4] فقد أراد أن يأخذ حصته وأن يستغل الفوضى السياسية لصالحه لعله يظفر بالكوفة، وبعد خروج ابن الأشعث تمكن الحجاج من تحقيق النصر على أهل البصرة، وفر عبدالرحمن بن العباس مع جماعة من أتباعه إلى الكوفة، ودخل الحجاج البصرة وأعطى الأمان لأهلها.

في رأينا كان لخروج ابن الأشعث إلى الكوفة أثر كبير على حماس المقاتلين من أهل الشام، خاصة بعد أن شاع بين الجند أن ابن الأشعث قد ولى هاربا للكوفة لشعوره بدنو الهزيمة، حتى أن جند الحجاج أخذوا ينادون لجيش البصرة "**ثكلتكم أمهاتكم علام تقاتلون وقد ترك صاحبكم القتال ومضى**"[5]، وقد حاول الحجاج أن يكسب ثقة أهل البصرة مرة أخرى بإعطائهم الأمان وعدم محاسبتهم على تعاونهم مع ابن الأشعث، وبقي في البصرة لمدة شهر ثم غادر بعدها إلى الكوفة.

كان الحجاج قبل مغادرته الكوفة قد عين عليها عبدالرحمن بن عبدالله الحضرمي[6] في عدد قليل من جند الشام، وما أن علم مطر بن ناجيه بأمر ابن الأشعث حتى جاء مقبلا من المدائن إلى الكوفة، وحاصر ابن الحضرمي ومن معه من أهل الشام في القصر، ثم صالحهم مطر على أن يخرجوا من قصر الإمارة، وصل ابن الأشعث إلى الكوفة وخرج أهلها لاستقباله حيث قبيلته ومواليه وأنصاره، وساعدوه على محاصرة مطر بن ناجية حتى استسلم له، وقدم عبدالرحمن بن العباس مع جماعة من فرسان ووجهاء أهل البصرة.

حاول ابن الأشعث أن يصبغ حركته هذه بصبغة دينية، فالدين دائما لا ينفصل عن السياسة في تاريخ الإسلام، حيث استمال ابن الأشعث القراء وعباد الكوفة إلى صفه، فجمعهم وقام فيهم خطيبا قائلا: "**أيها الناس، ألا ترون هذا الجبار - يعني الحجاج- وما يصنع بالناس؟ ألا تغضبون لله؟ ألا ترون أن السنة قد أميتت، والأحكام قد عطلت، والمنكر قد أعلن، والقتل قد فشا؟ اغضبوا لله، واخرجوا معي، فما يحل لكم السكوت**"[7].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٨.
(٣) مطر بن ناجية الرياحي: هو مطر بن ناجية بن ذروة بن حطان الرياحي، غلب على الكوفة أثناء حركة ابن الأشعث ثم بايعه وخرج معه ضد الحجاج، وهرب بعد أن قُتل الحجاج. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٣١ و ج١٢، ص١٥٤.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠٣.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٢٨.
(٦) عبد الرحمن بن عبدالله الحضرمي: هو عبد الرحمن بن عبدالله بن عامر الحضرمي، عينه الحجاج بن يوسف الثقفي على الكوفة زمن فتنة ابن الأشعث، فأخرجه منها مطر بن ناجية. انظر: ابن خياط، التاريخ، ص١٨٦.
(٧) الدينوري، المصدر السابق، ص ص٣٠٦-٣٠٧.

نرى أن ابن الأشعث قد حاول أن يتخذ خطة جديدة في الكوفة تضمن لـه أكبر عدد من الأتباع، فوجد أن يضفي على حركته شيئاً من الدين، وأن يثير القراء والفقهاء ويخاطبهم بلغتهم الدينية، فإن تبعوه فمما لا شك فيه أن أتباعهم ومن يأخذ برأيهم سيكونون في صفه، وقد نجح ابن الأشعث في ذلك، حيث استقرت الأوضاع في الكوفة لصالحه وأخذ يعد العدة لملاقاة الحجاج وجند الشام.

خرج الحجاج بن يوسف الثقفي من البصرة باتجاه الكوفة وعسكر في دير قرة[١] ليصبح أقرب ما يكون للخليفة عبدالملك بن مروان، ولا يحول بينهما أحد، فالحجاج رجل دولة ذو خبرة كبيرة في أمر القتال، فعلى الرغم من أن ابن الأشعث قد أرسل عبدالرحمن بن العباس لملاقاته إلا أن الحجاج لم يقاتله حينها، فهو يعلم مقدار الأعداد الكبيرة التي كانت مع عبدالرحمن ومع ابن الأشعث لذلك فضل عدم الصدام معه وقتها حتى يعسكر بجنده، وفي الطرف الآخر كان ابن الأشعث قد عسكر بجنده في دير الجماجم[٢] حتى تصله الميرة من الكوفة، ويقطع على الحجاج مجرى الماء[٣]، نظم كلا العسكرين جنوده، وانضم إلى ابن الأشعث أعداد غفيرة من أهل البصرة والكوفة، وقام القراء في الناس يخطبون ويثيرون الحماس فيهم ويحرضون المقاتلة على الحجاج والأمويين[٤].

بدأت المواجهة بين الطرفين في معارك كثيرة استمرت أكثر من مائة يوم، وضاق الخناق على الحجاج وجنوده على الرغم من مساعدات الخليفة له، الذي أمده بقوة كبيرة من جند الجزيرة الفراتية بقيادة ابنه عبدالله بن عبدالملك، وكان الخليفة عبدالملك بن مروان خائفا على ملكه وعلى خلافته؛ لأن ثوران العراق هذا سيجتاح العراق ويصل إلى الشام أيضا، وربما سيطبق على الخلافة نفسها لذلك قرر الخليفة عبدالملك بن مروان أن يعزل الحجاج بن يوسف الثقفي إن ارتأ أهل العراق ذلك ورضوا به ، فالخليفة كان على يقين بأن هذه الثورة سببها سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي في إدارة العراق، فالدولة لا بد لها أن تجد ضحية أو كبش فداء تحمله مسؤولية ما حدث فكان الضحية هذه المرة الحجاج بن يوسف الثقفي .

أرسل عبدالملك بن مروان ابنه عبدالله وأخاه محمد بن مروان ليفاوضوا أهل العراق ويعرضوا عليهم اقتراح عزل الحجاج عنهم، وأن تجري عليهم أعطياتهم كما تجري على أهل الشام، وأن يعطي عبدالرحمن أي بلد شاء ويكون عليه واليا ما دام حيا[٥]، كانت هذه العروض

---

(١) دير قرة: موضع قريب من دير الجماجم تابع للكوفة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٦.
(٢) دير الجماجم: موضع بشاطئ الفرات الغربي، بين البصرة والكوفة. انظر: البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٣؛ الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٣.
(٣) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٩٣.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ص١٢٠٧.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٩١.

فرصة كبيرة بالنسبة لأهل العراق ولعبدالرحمن خاصة، وفاجعة بالنسبة للحجاج الذي حاول أن يحذر الخليفة من عاقبة تولية ابن الأشعث خوفا على مكانته، ولكن الخليفة كان يرى المصلحة العامة ومصلحة الدولة الأموية فوق كل شيء، وكان حرصه على وأد الفتنة والاقتتال أكثر من حرصه على إرضاء الحجاج ومن ولايته، ولا نستبعد الرأي الآخر الذي يرى أن عرض عبدالملك على ابن الأشعث بولاية العراق هي حيلة منه حتى يسكن الفتنة مؤقتا ويكسب الوقت ثم يتمكن من القضاء عليه - كما فعل سابقا مع عمرو بن سعيد الأشدق- وكاد عبدالرحمن أن يقبل بشروط الخليفة وهذا ما دعا البعض أن يتهمه بالانتهازية في الوقت الذي كان قبوله هو عين العقل حسب الظروف، ولكن لم يكن رأي عبدالرحمن وقتها يشكل أهمية كبيرة للجنود لأن عروض الخليفة قوبلت بالرفض حينها من أهل العراق، فبالنسبة لهم هذه العروض قد جاءت متأخرة كثيرا؛ فهم على وشك أن يقضوا على جند الشام الذي اضطربت أوضاعه؛ حيث غلت الأسعار وقل عندهم الطعام، وظن أهل العراق أن هذه العروض إشارة واضحة على درجة الضعف التي وصل إليها الأمويون، وأن عليهم أن يستغلوا قوتهم وأعدادهم الكبيرة للقضاء على خصمهم، وهذا يفهم من قولهم: **"إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير"**[1]، ويفسر بعضهم أنه كان للموالي دور كبير في رفض شروط الخليفة وإصرارهم على مواصلة القتال حتى يتخلصوا من الدولة الأموية[2].

نرى أن ابن الأشعث قد فقد سيطرته على أهل العراق خاصة بعد عودته من سجستان، فعلى الرغم من ميوله إلى قبول شروط الخليفة عبدالملك بن مروان – وهذا ما يؤكد عداءه للحجاج بن يوسف وليس للدولة الأموية- إلا أن جنده تمكنوا من إقناعه في مواصلة القتال وعدم الأخذ بهذه الشروط، وهذا على عكس ما يراه بروكلمان Brockelman من أن ابن الأشعث هو من حرض الجند على العصيان وعلى عدم قبول التفاوض مع الخليفة[3].

استمرت الحرب بين الطرفين، وبرز القراء في صفوف ابن الأشعث، وأخذوا يشجعون الناس على القتال، فكان عامر الشعبي[4] ينادي **"يا أهل الاسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم، فوالله ما أعلم قوما على بسيط الأرض أعمل بظلم، ولا أجور منهم في الحكم"**[5] ونادى سعيد بن جبير: **"قاتلوهم ولا تأثموا في قتالهم"**[6]، فأدرك الحجاج بن يوسف حينها التأثير الذي يضفيه القراء على جنود ابن الأشعث، فعمل جاهدا في القضاء على فرقة القراء، وأرسل لهم ثلاث كتائب قاتلتهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٤.
(٢) طه، عبد الواحد ذنون، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي.ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت: ٢٠٠٥م، ص٩٣.
(٣) بروكلمان، المرجع السابق، ص١٤٥.
(٤) عامر الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، من حمير، يكنى أبا عمرو، كان كاتب لعبدالله بن مطيع العدوي، وعاملا لعبدالله بن الزبير على الكوفة، توفي سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ص٤٩٩-٤٥١.
(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠٧.
(٦) المصدر نفسه، ص١٢٠٧.

وتمكنت من قتل جبلة بن زحر بن قيس[1] أشجع قادة ابن الأشعث، وكان لمقتله تأثير معنوي على أتباعه، كما نجح الحجاج في توجيه ضربة عنيفة على قائد ميسرة جيش ابن الأشعث أحدثت هذه الضربة خللا كبيرا في جيش ابن الأشعث، فقد اختل نظام الميسرة وتفرق الناس عنه، وحاول ابن الأشعث جاهدا أن يوحد صفوفه ولكن دون فائدة؛ فقد دخل الحجاج معسكر ابن الأشعث، وكان ذلك إعلانا بهزيمة ابن الأشعث في دير الجماجم وانتصار الحجاج عليه، ولم يجد ابن الأشعث بدا من الهرب، فولى هاربا من الكوفة إلى البصرة ومنها خرج إلى مسكن من أرض دجيل الأهواز.

٤- نهاية عبدالرحمن بن محمد الأشعث الكندي

مما يجدر بنا قوله هنا أن نتيجة دير الجماجم تعد إعلانا صريحا على فشل معارضة ابن الأشعث للخلافة الأموية، وأظهرت سوء تدبير ابن الأشعث، وسوء قيادته العسكرية، وهذا يتضح من موقفه الضعيف أمام مفاوضات الخليفة عبدالملك بن مروان، كما أن هذه المعركة زادت من مكانة الحجاج، وجعلت الخليفة يعيد النظر في موقفه من الحجاج بعد أن أثبت أنه القائد العسكري الحكيم الذي يتمتع بإدارة حكيمة لجيشه، وأن عبدالملك لم يخطئ في توليته أمر العراق، كما كشفت المعركة عن سوء التنظيم في الجيش العراقي، وقلة حماس المقاتلة ، على عكس جيش الشام الذي أظهر نظاما واضحا في القتال[2] وقد أعادت هذه المعركة ترسيخ سلطة الأمويين على العراق حيث أخذ الحجاج البيعة من الناس، وكان لا يبايع أحدا إلا قال له "**اشهد أنك كفرت فإن قال نعم بايعه وإلا قتله**"[3] مما يعكس لنا جبروت الملك الأموي الذي تمثل في شخصيتي عبدالملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي.

لم ينتهِ الأمر عند هذا الحد فقد توجه ابن الأشعث إلى مسكن، وعسكر بمن بقي معه من أعداد، وفي الجانب الآخر جهز الحجاج قواته لمطاردة ابن الأشعث، ولكن لم تكن نتيجة المواجهة بأحسن من سابقتها، إذ تفرق الناس عن ابن الأشعث، وباغت الحجاج معسكر ابن الأشعث ليلا ونجح في إثارة الريبة بين الجند، وهزمهم بعد أن غرق أكثر الجنود في النهر من هول الموقف.

أحدثت هذه الهزيمة الأثر الكبير في نفس ابن الأشعث فقرر الهرب إلى جهة الشرق لعله ينجو بنفسه من غضب الأمويين عليه، فكانت وجهته إلى زرنج، ولكن عاملها عبدالله بن

(١) جبلة بن زحر بن قيس: من عظماء أهل اليمن، والقراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث ضد الدولة الأموية، قتل في معركة دير الجماجم. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١٢٠٨.
(٢) عاقل، المرجع السابق، ص١٧٧.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢١٢.

عامر أغلق الأبواب في وجهه على الرغم من أن ابن الأشعث هو الذي استعمله عليها، ثم ولى عبدالرحمن إلى بست وكان عليها عياض بن هميان[١]، الذي رحب بابن الأشعث في البدء، ثم ما لبث أن وثب عليه وأوثقه بعد أن تفرق عنه رجاله[٢].

وفي نظر الباحث كان لردة فعل عاملي زرنج وبست سببين لا ثالث لهما أولهما الخوف من الحجاج بن يوسف الثقفي ومن الدولة الأموية خاصة بعد أن تفرق أهل العراق عن ابن الأشعث، وثانيهما محاولة هؤلاء العمال لكسب ثقة الحجاج والتقرب منه بإلقاء القبض على ابن الأشعث، وتسليمه له خاصة بعد أن رجحت كفة الحجاج على ابن الأشعث، وقد دخل في هذه المنافسة رتبيل الذي ما أن علم بأن عامل بست قد ألقى القبض على ابن الأشعث حتى تحايل عليه وهدده بقتله ومحاربته[٣]، فأطلق عياض بن هميان سراح ابن الأشعث وسار إلى رتبيل، وقد ضاق الأمر كثيرا على ابن الأشعث فلم يعد يميز بين الصديق والعدو فهاهم عماله يتنكرون له، ورتبيل الذي كان عدوه بالأمس يفتح له أرضه ويستقبله في داره، ولم يعِ حينها ابن الأشعث أن رتبيل ما زال عدواً أراد أن يأخذ نصيبه من ثقة الحجاج بن يوسف، وعلى الرغم من تحذير علقمة بن عمرو[٤] لابن الأشعث من رتبيل ونواياه إلا أن ابن الأشعث لم يسمع منه[٥]، أو ربما لم يكن له طريقا آخر يسلكه.

أما أتباع ابن الأشعث فقد قرروا السير إلى سجستان، وتمكنوا من محاصرة عبدالله بن عامر، وكتبوا إلى ابن الأشعث طالبين منه أن يقدم إليهم ويسيروا إلى خراسان حيث سيغنمون الرجال ويتحصنون فيها من الأمويين، ولكن عبدالرحمن عارض فكرتهم فهو يعلم أن على خرسان يزيد بن المهلب الذي يحابي الخلافة الأموية[٦]، وتوجههم إليها سيجعلهم بين فكي كماشة حيث يزيد بن المهلب من ناحية وجيش الشام من ناحية أخرى، ولكن جنده أصروا على السير إلى خراسان فلقيهم يزيد بن المهلب وهزمهم شر هزيمة، فتفرقوا في البلاد ونال القتل والأسر أعداداً كثيرة منهم[٧].

فضَّل ابن الأشعث البقاء مع رتبيل دون أن يعلم ما يحيكه ضده، وما أن جاءت الفرصة المناسبة لرتبيل حتى تخلى عنه، حيث بعث الحجاج برسالة تهديد إلى رتبيل لتسليم ابن الاشعث وإلا سيبعث له بأعداد غفيرة تقاتله، وفي رواية للدينوري أن عبدالملك بن مروان بعث برسالة

---

(١) عياض بن هميان: هو عياض بن هميان بن هشام السدوسي، من بكر بن وائل، استعمله ابن الأشعث على بست ثم تنكر هميان على ابن الأشعث وأوثقه حتى يسلمه للحجاج بن يوسف لكن رتبيل هدد عياض فأطلق سراح ابن الأشعث. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١٢١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢١١؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٤٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢١٤.

(٤) لم أقف على ترجمة له.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ص١٢١٩؛ ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٢٦.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٢١١.

(٧) المصدر نفسه، ص١٢١٢؛ ابن خياط، التاريخ، ص١٧٩.

إلى رتبيل يخبره بشقاق عبدالرحمن وخلعه الطاعة ويسأله أن يرده إليه[١] فعقد رتبيل اتفاقا مع الحجاج على أن يسلمه ابن الأشعث مقابل أن يرفع الخراج عن بلاده مدة سبع سنوات[٢]، وبعث رتبيل عبدالرحمن إلى الحجاج ولكن ابن الأشعث لم يحتمل أن يلقى مصيره على يد الحجاج فرمى بنفسه من فوق أحد قصور الرخج[٣] وفي رواية أخرى أنه توفي بمرض السل الذي أصابه في أواخر حياته[٤] وذلك سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م.

إن إدخال جماعة القراء في حركة ابن الأشعث ما كان إلا حيلة منه حتى يزيد من أعداد أتباعه ويضفي صبغة دينية على حركته ضد الدولة الأموية، مثل ما فعل المختار بن أبي عبيد الثقفي من قبل وأدخل الدين في السياسة، ولبس لباس التطرف الديني والغلو حتى يعطي لنفسه الشرعية للمطالبة بالخلافة للعلويين، وقد اعترف عبدالرحمن بذلك بعد هزيمته في معركة دير الجماجم وأن حركته لم تتعدَ أن تكون مطلبا دنيويا حيث قال[٥]:

فما كان أناسا أهل دين	فنصبر للبلاء إذا ابتلينا
وما كنا أناسا أهل دنيا	فتنصرنا وإن لم نرج دينا

كما رفض بعض القراء الانضمام إلى هذه الحركة وكانت معارضتهم للدولة الأموية معارضة سلمية، منهم الحسن بن يسار البصري الذي رد قائلا بعد أن طلب منه الاشتراك في حركة ابن الأشعث **"أرى إنها فتنة صماء، و ذلك أنكم لم تختلفوا في رب ولا نبي ولا كتاب ولا قبلة، فرحم الله عبدا اتقى ربه ونظر ليوم معاده"**[٦] وندم بعضهم الآخر على اشتراكه فوصف الشعبي الحركة بقوله: **"فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء"**[٧]، وقال أحد قراء الكوفة: **"وددت أن يدي قطعت ولم أشهد دير الجماجم"**[٨].

وقد كتب لحركة ابن الأشعث الفشل منذ اللحظة التي هزم فيها في دير الجماجم ولعل اتساع المساحة الجغرافية التي سيطر عليها في بدء الحركة، التي شملت سجستان والبصرة والكوفة وعدم تمكنه من السيطرة على الجند كانت سببا مهما في فشل حركته، كما لا يمكننا أن

(١) الدينوري، المصدر السابق، ص٣٠٩.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٢٢٤ ؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٦٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٦٠.
(٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٠٧.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٢١٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٦٠.
(٥) ابن أعثم، المصدر السابق، ج٧، ص٩٥.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٧.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٦١.
(٨) المصدر نفسه، ج١٣، ص٣٦٣.

نغفل الدور الكبير للحجاج بن يوسف الثقفي ورباطة جأشه وجرأته على الرغم من تخلي أهل البصرة والكوفة عنه إلا أنه ظل صامدا.

المبحث الثاني: الحركات السياسية الأخرى (الثانوية)

١-حركة زفر بن الحارث الكلابي (٧١هـ/٦٩٠م – ٧٢هـ/٦٩١م)
٢-حركة عبدالله بن الجارود العبدي (٧٥هـ/٦٩٤م)
٣-حركة الزنج (٧٥هـ/٦٩٤م)
٤-حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي (٧٧هـ/٦٩٦م)

المبحث الثاني: الحركات السياسية الأخرى (الثانوية)

لقد تعددت الحركات التي قامت في أرض العراق ضد الخلافة الأموية، وتقاربت فترة ظهورها على مسرح الأحداث حتى يكاد الباحث لا يتيقن من زمن حدوثها على وجه الدقة ومن هذه الحركات حركة زفر بن الحارث، وحركة عبدالله بن الجارود، وحركة الزنج، وحركة المطرف بن المغيرة بن شعبة، والتي سنتناولها بالتتابع حسب تاريخ حدوثها.

١- حركة زفر بن الحارث الكلابي (٧١هـ/٦٩٠م – ٧٢هـ/٦٩١م)

أجمعت المصادر التاريخية وكتب الأنساب على أن زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن خويلد [١]، ينتهي نسبه إلى هوازن[٢] إحدى القبائل القيسية، ويكنى زفر أبا الهذيل وقيل أبا الكوثر وأبا عبدالله ولكن كنيته الأولى هي الأثبت[٣]، ولشهرة زفر بن الحارث بين القبائل العربية فقد قيل أنه من نسب قبيلة كندة اليمانية، إلا أن زفر قد نفى انتسابه إلى كندة[٤].

ولد زفر بن الحارث في البصرة، ولا يُعرف تاريخ ولادته بالضبط، وعاش فيها طوال خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه). يعد من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الجزيرة الفراتية، بدأ نشاطه السياسي في خلافة عثمان، فكان واحدا من جيش عبدالله بن عامر[٥] الذي أُرسل لنجدة الخليفة بعد أن حوصر في داره، وقد قُتل زفر أول قتيل بعثمان بعد أن لقيه في الطريق ونقل له خبر وفاة الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)[٦].

رحل زفر بن الحارث إلى بلاد الشام وسط هجرة القبائل القيسية التي خرجت من البصرة والكوفة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ونزلت هذه القبائل في منطقة الجزيرة الفراتية، وقد نزل زفر بن الحارث في قنسرين التي كانت وقتها تابعة إداريا لجند حمص.

شارك زفر في وقعة الجمل سنة٣٦هـ/٦٥٦م، وكان على رأس قبيلتي عامر وغطفان[٧]، وتولى زمام الجمل الذي كان يحمل السيدة عائشة (رضي الله عنها)، وكان ممن حمل الهودج مع

---

(١) ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م). المحبر. تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، د.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٢٥٥؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ص٢٦٩-٢٧٠؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٩، ص٣٤.
(٢) ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٩، ص٣٤.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٦.
(٤) المصدر نفسه، ص٥١.
(٥) عبدالله بن عامر: هو عبدالله بن عامر بن كريز، استعمله الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على البصرة، كان كريما سخيا، وهو من فتح خراسان. انظر: الزبيري، المصدر السابق، ص ص ١٤٧-١٤٩.
(٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج٧، ص٥٢.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص٨٢٠.

القعقاع بن عمرو التميمي[١]، وبعد الجمل وقف زفر في صف معاوية بن أبي سفيان، وقاتل إلى جانبه في صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، وكان على ميمنة الجيش[٢]، كما أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى السيدة عائشة ليخبرها بوقائع معركة صفين ومن استشهد فيها[٣].

لعب زفر بن الحارث أدوارا سياسية مهمة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، فكان مع الوفد الذي أُرسل إلى عبدالله بن الزبير لتسوية الخلاف الذي كان قائما بينهما، ليحذروه الفتنة[٤]، إلا أن مساعي هذا الوفد باءت بالفشل ، ثم شارك زفر مسلم بن عقبة المري في قتال أهل المدينة في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م بعد أن رفضوا مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة[٥].

لكن سرعان ما تغير ميول زفر بن الحارث مع الذين تغيروا أو كانت آراؤهم متذبذبة بين الطرفين، فتغير من مؤيد للدولة الأموية إلى مؤيد لعبدالله بن الزبير، إذ أصبح مواليا لعبدالله بن الزبير هو ومن تبعه من القبائل القيسية؛ ولعل ذلك يعود إلى أنه بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ/٦٨٣م عادت العصبية القبلية أو دور القبيلة السياسي إلى الظهور رغم الجهود التي بذلها معاوية بن أبي سفيان في إخماد شرارة العصبية، إلا أن الأوضاع العامة التي لاحظ فيها القيسيون رجوح كفة اليمانية أعاد إشعال هذه الشرارة مرة أخرى بسبب يزيد وابنه خالد ومحاباتهما لليمانية ، فحسان بن مالك بن بحدل – خال يزيد - كان على فلسطين والأردن، وأخوه سعيد بن مالك على قنسرين، ولم يرق لقيس أن يكون عليها رجل من كلب لذلك وثب زفر بن الحارث على سعيد بن مالك وأخرجه من قنسرين وبايع لعبدالله بن الزبير[٦].

توفي يزيد بن معاوية وتولى معاوية الثاني الخلافة، إلا أن خلافته لم تدم طويلا، إذ توفي بعد توليه الخلافة بثلاثة أشهر وقيل بعد أربعين يوما، وبقي كرسي الخلافة شاغرا، وانقسمت بلاد الشام مركز الحكم بين راغب لاستمرار الأمويين في الحكم وبين مؤيد لابن الزبير، وجاء هذا الانقسام قبليا، فالقبائل اليمانية كانت مؤيدة لاستمرار الخلافة في بني أمية على الرغم من اختلاف مرشحيها، فاليمنيون كانوا يحضون باهتمام الخلافة الأموية ولم يرغبوا في

---

(١) القعقاع بن عمرو التميمي: صحابي، وفارس وشاعر، شهد فتح دمشق، وأكثر فتوح العراق، شهد مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) معركتي الجمل وصفين، كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يقول عنه: "لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل"، وتوفي القعقاع سنة ٤٠هـ/٦٦٠م. انظر: العسقلاني، الإصابة، ج٩، ص ص٧٧- ٧٩؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص٣٩٠.

(٢) المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/٨٢٧م). وقعة صفين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دارالجيل، بيروت: ١٩٩٠م، ص٢٠٦؛ ابن خياط، التاريخ، ص١١٨.

(٣) القشيري، محمد بن سعيد (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م). تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين. تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق: ١٩٩٨م، ص٣٦؛ ابن الربيع، الحاكم محمد بن عبدالله (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر، ج٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٠م، ص٤٤٧.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٥، ص٣٢٤.

(٥) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٣.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٢؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٩، ص٣٧.

فقدان هذا الاهتمام، في حين أن القبائل القيسية قد بايعت عبدالله بن الزبير وعلى رأسها الضحاك بن قيس الفهري، وفي حقيقة الأمر أن الخلاف لم يتعدَ في بدايته أن يكون اختلافا سياسيا يعود إلى اختلاف وجهات النظر حول مكانة بلاد الشام وارتباطها بالخلافة، فالقبائل اليمانية ترى أن تبقى الخلافة في بلاد الشام، في حين أن القيسيين لم يرو في انتقال الخلافة إلى الحجاز أي ضرر، فليس من الضروري بالنسبة لهم أن تبقى الخلافة في بلاد الشام[١] وهذا ما أشعل العداوة بين القبيلتين وجعل الخلاف يتحول إلى خلاف قبلي[٢] ، الذي سيتمثل هذه المرة في موقعة مرج راهط.

انقسم أهل الشام إلى مجموعتين: الأولى بقيادة الضحاك بن قيس الفهري الذي اجتمعت له القبائل القيسية، والمجموعة الثانية وتمثل القبائل اليمانية بعد أن استقر رأيها على مروان بن الحكم زعيما، والتقت المجموعتان في مرج راهط، ودار القتال بينهما، ورجحت كفة اليمانية في المعركة على القيسية، لذلك قرر زفر بن الحارث وقتها أن ينسحب من ساحة القتال، وتراجع إلى قرقيسيا، وأعلن اليمانية انتصارهم على القيسية وغلب رأيهم السياسي؛ إذ لم يبق في بلاد الشام من يدعو لابن الزبير سوى زفر بن الحارث فكل الأمصار قد بايعت للأمويين، وقتل النعمان بن بشير الأنصاري الذي كان واليا لابن الزبير في حمص، وأخذ مروان بن الحكم الخلافة بالحرب[٣] وأرسيت قواعد البيت الأموي.

لقد كان وقع الهزيمة على قيس شديدا، وأججت مرج راهط العداوة بين القبيلتين وأعادت الصراع والحروب بينهما، صراع أخذ مناحي عدة، من شعر واغتيالات وغزو ونهب[٤]، ولعب الأخطل الشاعر اليماني دوراً في إثارة الأمويين على زفر بن الحارث إذ قال محذرا اياهم من زفر في قصيدة مطلعها[٥]:

بنـــي أميـــة إنـــي ناصـــح لكـــم   فـــلا يبـــتن فـــيكم آمنـــا زفـــر

ونظرا لعدم وجود الفردية في القبيلة آنذاك بل كان الفرد يتحرك باسم القبيلة وتحت حمايتها[٦] نجد أنظار القيسيين اتجهت إلى زفر بن الحارث حتى يأخذ بثأرهم من اليمانية، وهنا تحولت المشاعر الفردية لزفر إلى مصلحة القبيلة (قيس) وبالتالي إحساس بالمصلحة العامة[٧]،

---

(١) خريسات، محمد عبد القادر. العصبية القبلية في صدر الاسلام. د.ط، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد:٢٠٠٥م، ص٤٣٠.
(٢) العش، يوسف. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان. ط٢، دار الفكر، دمشق:١٩٨٥م، ص١٨٨.
(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٦٧.
(٤) العش، المرجع السابق، ص١٩٢.
(٥) راجع القصيدة في: ابن سلام، أبو عبدالله محمد (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر، ج٢، د.ط، دار المدني، جدة، د.ت، ص٤٩٥.
(٦) الجابري، المرجع السابق، ص٢٦٠.
(٧) القيسي، نوري حمودي. "زفر بن الحارث الكلابي". مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٥، ج١، بغداد: ١٩٨٤م، ص١٤٦.

فأخرج زفر عامل قرقيسيا عياض بن عمرو الحميري[١] بمساعدة القيسية من شتى أرجاء الشام سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، ثم أخذ زفر يغير على الأحياء الكلبية التي كانت تقطن بادية السماوة[٢] وتدمر[٣]، فولت اليمانية أمرها حميد بن حريث الكلبي[٤] الذي أغار على بني نمير بن عامر[٥] واشتعل العداء التقليدي بين القيسية واليمنية، وتأججت غزوات القبائل بعضها على بعض حتى عاد الوضع إلى "أيام" الجاهلية .

لا شك أن ردة الفعل من القيسية وما قام به زفر بن الحارث من الإغارة على القبائل اليمانية دور كبير في إثارة الحقد والعصبية القبلية، ولعل الهدف الذي حمل زفر على ذلك هو رغبته في الدفاع عن قبيلته والأخذ بثأرها أولا، ومن ثم الدعوة لابن الزبير إذ أخذ يدعو لابن الزبير بعد إخراج عامل قرقيسيا مباشرة[٦].

ونرى أن قرار زفر في معاداة الدولة الأموية ببدء الانتقام من القبائل اليمنية كان قرارا غير صائب، فاليمنيون يشكلون الغالبية في أرض الشام، والسلطة تقف إلى جانبهم، وهي لن تخذل من وقف إلى جانبها في مرج راهط ومكنها من تثبيت حكمها بعد أن كاد يقضى عليه، والأجناد كلها في بلاد الشام قد بايعت للأمويين، فقد كانت معارضته هذه مجازفة كبيرة ، ويمكن القول أيضا أنه في الجانب الآخر كان على زفر بن الحارث أن يتنصل من أي ميول فردية، وأن يدافع عن قبيلته التي طلبت مساعدته لكونه واحداً من زعمائها، فسير الأحداث وقتها هو ما أجبر زفر أن يكون واحدا من المعارضين للدولة الأموية على الرغم من إدراكه أن جماعته من القيسية لا يمثلون غير عدد قليل مقابل اليمانيين الذين يقطنون بلاد الشام ويرون في أنفسهم أنهم أصحاب البلاد الأصلية، ولكن زفر رأى أن يكون له موقف على أمل أن يتلائم هذا الموقف مع مستقبل ابن الزبير المنتظر.

تحصن زفر بن الحارث في قرقيسيا ، وكان مروان بن الحكم قد تمكن من اخضاع مصر، وجعل عليها ابنه عبد العزيز، ثم وجه عبيدالله بن زياد إلى العراق، وقد حاول عبيدالله وقتها أن يقضي على معارضة زفر والقيسية قبل المضي إلى العراق، فحاصرهم لمدة عام إلا

---

(١) عياض بن عمرو الحميري: ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم، ولاه يزيد بن معاوية ولاية قرقيسيا. انظر: الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤٤.
(٢) بادية السماوة: أرض مستوية لا حجر فيها، تقع بين الكوفة والشام. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٥.
(٣) تدمر: مدينة على طريق الشام، قيل أن الجن بنتها لسيدنا سليمان عليه السلام. انظر: البكري، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٦.
(٤) حميد بن حريث الكلبي: هو حميد بن حريث بن بحدل الكلبي، فارس من وجوه أهل دمشق، كان على شرط يزيد بن معاوية. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٣؛ ابن عساكر، المصدر السابق، ج١٥، ص٢٧٦.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٤.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٤؛ الطبري، المصدر السابق، ص١٠٤١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٦٤٩.

أن محاولته هذه باءت بالفشل[1]، ثم أكمل عبيدالله سيره إلى الكوفة وقد قتل في معركة خازر سنة ٦٧هـ/٦٨٥م.

تولى عبدالملك بن مروان زمام الخلافة، وأهتم بتثبيت سلطته في بلاد الشام أولا دون أن يثير زفر وقتها، وبعد انتهائه من بلاد الشام قرر التوجه إلى العراق وإنهاء سيطرة ابن الزبير عليها، ولكن عبدالملك لم يشأ أن يتوجه إلى العراق ويترك زفر بن الحارث خلفه مشكلا تهديدا عليه، لذا قرر بأن يهتم بأمر زفر أولا، إلا أن خروج عمرو بن سعيد الأشدق على عبدالملك أثناه عن التوجه إلى زفر، وأمر واليه على حمص أبان بن أبي عقبة بن أبي معيط[2] أن يتولى مهمة القضاء على زفر، وقد دُحر زفر في هذه المواجهة وقُتل أحد أبنائه، واستمر متحصنا في قرقيسيا، وما إن انتهى عبدالملك من القضاء على عمرو بن سعيد الأشدق حتى قاد جيشه متوجها إلى العراق سنة ٧١هـ/٦٩١م، ولكن لم يغب عن باله أن يقضي على زفر أولا ثم التوجه إلى العراق لذلك توجه إلى قرقيسيا وحاصر زفر لمدة أربعين يوما[3]، وحاربه ولكن محاربته هذه المرة لم تكن بأعداد جيشه كامله؛ فقد طلب اليمانية من الخليفة أن يسمح لهم بمقاتلة زفر دون مشاركة من القيسية الذين كانوا في جيش الخليفة ، ولعل هذا الطلب جاء خوفا من أي خيانة قد تحدث من القيسية ، فوافق الخليفة على طلبهم وكان هذا إيذانا بهزيمتهم من قبل زفر وأتباعه[4].

لجأ عبدالملك إلى الحل السلمي بعد أن رأى أن المواجهة المسلحة لن تجدي نفعا، لذلك كتب إلى زفر يدعوه إلى طاعته ويرغبه فيه ويهدده إذا رفض[5]، لكن زفر بن الحارث رفض هذا العرض، ولا نعرف ما يدور في ذهن زفر وقتها ولعل انتصاره على اليمانية في المواجهة الأولى أثار لديه الحماس ومنحه الجرأة على استمرار المعارضة، ولكن الهذيل بن زفر كان أحب للسلم من والده لذلك حاول اقناعه بعرض الخليفة عبدالملك، فوافق زفر على عرض عبدالملك ولكن بشرط أن يبقى له الخيار في أن يظل مخلصا لعبدالله بن الزبير أو ينضم إلى عبدالملك[6]، فرضخ عبدالملك بن مروان لما اشترطه زفر على الرغم من معارضة اليمانية لهذا التفاوض، وأشاروا على عبدالملك أن يرفض شرط زفر ويستمر في قتال القيسية، فمعظم تحصينات مدينة قرقيسيا قد هدمت[7]، إلا أن عبدالملك رأى أن يستمر في عرضه على زفر.

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦٣.
(٢) لم أقف على ترجمة له.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٧.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٦؛ ابن الأثير، الكامل ، ج٤، ص١١٣؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٨١.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٨.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٥؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٨٢.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٦.

والرأي الراجح أن عدم إلتفات الخليفة إلى مشورة اليمانية هذه المرة يكمن في اعتقاده بأن مقاومة زفر عسكريا ستأخذ الكثير من وقت جيشه ومن قوته، لذلك فضّل أن يحل الأمر سلميا وأن يتفرغ للعراق، ولا يستبعد أن تكون هذه خطة من الخليفة حتى يهدأ النزاع القبلي بين القيسية واليمنية، كما أن موافقة القيسية لعرض الخليفة عبدالملك بن مروان كان خوفا من عدم القدرة على مواجهة الجيش الأموي خاصة بعد أن نصبت المنجانيق على حصن قرقيسيا وضربت أبراج الحصن، وتضررت المدينة كثيرا وانتشر الرعب بين الناس بسببها ، أضف إلى ذلك عدم وجود أي ضمانات إذا ما استمروا في بيعتهم لابن الزبير[1].

أبرمت اتفاقية بين الطرفين جاء فيها أن يعطى الأمان لزفر وابنه الهذيل وجميع أتباعهما، ولا يأخذ بمال أو دم أهدره، بل أعطى عبدالملك زفرا مبلغاً من المال يوزعه بين أتباعه[2]، وأن لا يحارب زفر عبدالملك بن مروان، وبسبب بيعته السابقة لابن الزبير فإن زفر لن يحارب مع عبدالملك ضد ابن الزبير[3]، ثم اختتمت الاتفاقية بأن زوج عبدالملك ابنه مسلمة من الرباب بنت زفر[4]، وأمر زفر ابنه الهذيل أن ينضم إلى جيش عبدالملك بن مروان لمحاربة مصعب بن الزبير لكونه غير ملزم باتِّباع والده[5]. ويذكر ابن أعثم أن زفر لما رأى قوة الحصار الذي فرضه عبدالملك عليه خاف على نفسه وأهله وماله فخضع وطلب الأمان من عبدالملك[6]. ومهما يكن من أمر الصلح ومن الذي بدأ فيه فقد توثقت العلاقة بين عبدالملك بن مروان وزفر بن الحارث، وكثرت مجالسة زفر للخليفة ومسايرته في حاشيته[7]، وتمكن عبدالملك بن مروان من تحقيق هدفه وهو تأمين مدينة قرقيسيا وتأمين ظهره قبل توجهه للعراق، وضمن من خلال ذلك أيضا عدم تسبب القيسية بأي مشاكل ضده.

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص١٥٢.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٥؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٨٢.
(٤) لم أقف على ترجمة لها.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٥؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٥، ص٨٢.
(٦) ابن اعثم، المصدر السابق، ج٦، ص٣٣٢.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧ ،ص٥٠؛ الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٢١٢.

٢- حركة عبدالله بن الجارود[1] العبدي (٧٥هـ/٦٩٤م)

تخلو مصادر الأنساب من الحديث عن التفاصيل حول شخصية عبدالله بن الجارود العبدي، وتعطينا إشارات قليلة عن والده الصحابي بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى[2] والمعروف بالجارود لأنه نقل إبل له مصابة بالجرب إلى أخواله عبد القيس فأصابت إبلهم العدوى وهلكت[3]، وكان الجارود سيد عبد القيس وورث ابنه عبدالله بن الجارود العبدي هذا الشرف وأصبح واحدا من أشراف البصرة وكان يلقب بـ"طير العناق" لقصره[4].

وتذكر لنا المصادر التاريخية في فترة لاحقة شخصية حملت اسم عبدالله بن الجارود العبدي أيضا عاش في زمن الخليفة سليمان بن عبدالملك (٩٦هـ/٧١٤م- ٩٩هـ/٧١٧م) وكان واليا على البصرة[5]

ما لبث الحجاج بن يوسف الثقفي أن تولى ولاية العراق سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م حتى قام خطيبا، كانت خطبته تعلوها نبرة التهديد والوعيد بعدما حدث من جند العراق في قتال الخوارج في رامهرمز، وهروبهم من المعسكرات وعودتهم إلى المدن، فأراد الحجاج أن يعيد النظام في صفوف المقاتلة، ولم يكتفِ بالتهديد والقول بل نفذه بالفعل ومن ذلك أن قدم عليه شيخ كبير في السن يطلب منه أن يضع ابنه بدلا له في الحرب إلا أن الحجاج رفض ذلك وقتله وقتل آخرين بسبب تهربهم من القتال[6]، فتهافت الجند عائدين إلى معسكراتهم حفاظا على أرواحهم.

وفي واحدة من خطب الحجاج على أهل البصرة أعلن فيها أن زيادة العطاء التي منحهم إياها مصعب بن الزبير أثناء سيطرته على العراق سوف تقطع بحجة أنها **"زيادة فاسق منافق"**[7]، وبطبيعة الحال كانت هناك ردة فعل من أهل البصرة بدءً من الأشراف، وقد عبر عن وجهة النظر هذه عبدالله بن الجارود بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى،واحد من أشراف عبد القيس[8] كان يلقب بـ"طير العناق" لقصره، فرد على الحجاج بن يوسف قائلا: **"أنها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبدالملك قد أثبتها لنا"**[9]، بعد هذا الرد من أهل البصرة رأى

(١) يورد ابن عساكر في تاريخ دمشق اسم عبدالله بن الجارود عاملا لسليمان بن عبد الملك على البصرة، كما يورد ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ شخصية باسم عبدالله بن الجارود في زمن الدولة العباسية قام بحركة ضد الخليفة هارون الرشيد في أفريقية سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ج٢٧، ص ص٢٣٧-٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٩٨.
(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٨؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٦.
(٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج٨، ص١٢٠؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٨.
(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٨.
(٥) ابن عساكر، المصدر السابق، ج٢٧، ص٢٣٨.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧،ص٢٧٧؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٠.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٠.
(٨) ابن سعد، المصدر السابق، ج٩، ص٨٥؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٨.
(٩) الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٣.

الحجاج أن يؤجل مسألة نقص العطاء حتى يثبت سلطته في المدينة، إلا أن التأجيل لم يدم طويلا فقد أعاد ذكر مسألة إنقاص العطاء بعد عدة أشهر.

لا ريب أن هناك أسباب اضطرت الحجاج لاتخاذ هذا القرار، ولا يوجد مبرر لذلك سوى محاولة الحجاج في الحفاظ على ميزانية الدولة[1] التي تخسر كثيرا في مواجهة حركات المعارضة وأولهم الخوارج، كما لا نستبعد أن يكون الحجاج أراد بتصرفه هذا أن يثبت للدولة الأموية ولائه وقدرته على ضبط الأمور وتسيرها المسار الصحيح بالمحافظة على مصالحها، ولكن الحجاج أخطأ بكل تأكيد في اختيار الوقت المناسب لهذا القرار فهو لم يمضِ على ولايته سوى مدة قصيرة، ولم ينتظر حتى يثبت وجوده في الولاية ، كما أن نقص العطاء لابد وأن يثير الناس لما يشكل من أهمية بطبيعة الحال لاقتصادهم الخاص، ولا نعتقد أن مسألة العطاء هذه سبب واهي كما يصفه حسن عبد الغفار واعتباره أن رأي عبدالله بن الجارود هذا ليس إلا لزعزعة الأمن والاستقرار في العراق والخروج على الحاكم[2].

أدرك أهل البصرة أن الحجاج بن يوسف لن يتوانى عن تحقيق ما يدور في رأسه، ولن يكف عن أهل البصرة حتى ينقص من عطائهم، وأرادوا أن يسابقوه العداء، فقرروا أن يولوا مهمة الدفاع عن حقوقهم عبدالله بن الجارود، فكان أول من خرج على الحجاج في البصرة[3]، وبايعوه على مساعدته في طرد الحجاج من البصرة، وأن يكتبوا للخليفة عبدالملك بن مروان لاحقا ليطلبوا منه تعين وال آخر يحل محل الحجاج، وإذا لم يستجب الخليفة لمطالبهم فإنهم سيخلعونه[4].

ومما يجدر بنا ذكره أن أهل البصرة أرادوا أن يضعوا الخليفة عبدالملك بن مروان تحت الأمر الواقع لذلك قرروا إخراج الحجاج أولا ثم إبلاغ الخليفة بذلك، ولعل علمهم بانشغال الخليفة بأمر الخوارج الثائرين في الأهواز هو ما ساعدهم على اتخاذ هذا القرار، على اعتبار أن الخليفة لن يتمكن من رفض طلبهم وقتها في تعين وال آخر فظروفه لا تسمح له بالتصدي لمعارضة أخرى.

لم يقف الحجاج متفرجا على تخطيط أهل البصرة ضده، فما أن علم بنواياهم حتى اتخذ إجراءات تمكنه من المحافظة على الأمن، ففصل أخماس البصرة عن أرباع الكوفة بوضع

---

(١) دكسن، الخلافة الأموية، ص٢٣٤.
(٢) عبد الغفار، حسن. الحجاج بن يوسف الثقفي (دراسة تاريخية). ط١، مكتبة النافذة، الجيزة:٢٠٠٨م، ص١٢٢.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ، ج٢، ص ص٧٦٦-٧٦٧.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٣.

الحرس على الطريق بين البصرة والكوفة، ووضع حرسه على بيت المال[١]، إلا أن ذلك لم يثنِ أهل البصرة عن إعلان معارضتهم لسياسة الحجاج بعد مدة من التخطيط السري وذلك في رستقباذ[٢]، وهناك روايتان مختلفتان حول تاريخ خروج ابن الجارود على الحجاج الرواية الأولى تقول سنة ٧٥هـ/٦٩٤م[٣]، في حين ينفرد البلاذري برواية أخرى تقول أن تاريخ الخروج كان في سنة ٧٦هـ/٦٩٥م، ونرجح أن تكون الرواية الأولى هي الأصح لإجماع المصادر عليها ولأن الحجاج بن يوسف قد تولى ولاية العراق وقام خطيبا بالناس في رستقباذ سنة ٧٥هـ/٦٩٤م وثورة ابن الجارود قامت مباشرة بعد خطبة الحجاج على أهل العراق .

انضوت مضر وربيعة واليمن مع ابن الجارود ضد الحجاج[٤]، وتمكنوا من الاستيلاء على مخزن أسلحة الحجاج ومن دخول فسطاسه ونهب ممتلكاته[٥]، واكتفى ساعتها ابن الجارود بذلك، ولم يشأ أن يقتل الحجاج بل أراد طرده من العراق فقط، لذلك قرر ابن الجارود أن يوقف نشاطه على أن يكمل في اليوم التالي، على الرغم من تحذير بعضهم له بقولهم: **"تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك... فقال: قد قرب المساء ولكنا نعاجله بالغداة"**[٦]، وأخذ اليمانيون معهم زوجة الحجاج هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري[٧]، وأخذ القيسيون زوجته أم سلمة بنت عبدالرحمن بن سهل[٨].

لا غرر أن قرار ابن الجارود هذا يعد قراراً غير صائب، فلم يكن هناك سبب مقنع يدفعه إلى وقف الخطة التي سار من أجلها، وكان بإمكانه لحظتها أن يطرد الحجاج فلا شي أقرب له بعد أن دخل فسطاطه وأخذ زوجاته، كما أن ابن الجارود لم يأخذ بمشورة من معه، وأراد أن يتفرد برأيه المستعجل وهذا ما سيجعله يدفع الثمن لاحقا.

بدأ اليأس يسيطر على الحجاج، وفكر في الهرب والانضمام للخليفة عبدالملك بن مروان[٩]، ولكن شاءت الأقدار أن تدور الدائرة على ابن الجارود وتصبح الكرة في ملعب

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص ص٢٨٣-٢٨٤.
(٢) ورد ذكرها عند خليفة بن خياط بصيغة "رستق باذ". انظر: ابن خياط، التاريخ، ص١٧٠.
(٣) ابن خياط، التاريخ، ص١٧٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦٦.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٢٥٥.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٤.
(٦) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٥.
(٧) هند بنت النعمان: هي هند بنت النعمان بن بشير الأنصارية، شاعرة وأديبة، ذات جمال، كانت زوجة لروح بن زنباع، ثم تزوجها الحجاج بن يوسف، ثم تزوجها عبد الملك بن مروان. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج٣، ص٩٥؛ ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م). أخبار النساء. تحقيق: نزار رضا، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت:١٩٨٢م، ص١١١.
(٨) أم سلمة: هي بنت عبد الرحمن بن سهل بن عمرو، تزوجها الحجاج بن يوسف ثم الوليد بن عبد الملك بن مروان ثم سليمان بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٤٨؛ الحلي، أبو البقاء هبة الله محمد بن نما (ق٦هـ/١٢م). المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية. تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، ج١، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان: ١٩٨٤م، ص٨١.
(٩) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٨.

الحجاج، ويعود السبب في ذلك إلى أن عدداً من الثائرين قد انحازوا إلى صف الحجاج تاركين ابن الجارود. ولكن ما الذي دفع هؤلاء إلى تغير موقفهم؟

لم يكن في هذا الثورة نظام يضبط سير الأمور، وقد سار الوضع سيرا مضطربا[١]، وتحولت الحركة كأنها حرب عصابات هدفها النهب والسرقة فقط - خاصة بعد أن دخلوا فسطاط الحجاج- مما أتاح للعصبية القبلية أن تؤثر على سير الأحداث، فبينما ابن الجارود والهذيل بن عمران البرجمي[٢] وعبدالله بن حكيم المجاشعي[٣] يتشاورون في أمر الثورة، مر عليهم عباد بن الحصين الحبطي[٤] وطلب منهم أن يشركوه معهم في الحديث، إلا أن ابن الجارود رفض إشراكه معهم وأهانه[٥]، فما كان من عباد إلا أن انضم إلى صف الحجاج حتى ينتقم منهم، ثم تبع ذلك انضمام قتيبة بن مسلم الباهلي[٦] ومعه ثلاثين آخرين، وقد أثرت العصبية على قرار قتيبة في الانضمام للحجاج فلم يشأ أن يترك قيسيا من قبيلته يتعرض للخطر[٧]، ولم تكن العصبية فقط هي ما أثر على قرار أتباع ابن الجارود، فقد خشي بعضهم غضب السلطة منهم إن هم استمروا في معارضتهم، ولا ننسى الحجاج وما أثاره في الناس من الرعب بأول خطبة ألقاها.

نجح الحجاج في استخدام العصبية القبلية لصالحه وفي زيادة أعداد أتباعه، حيث قال في رسالة له لاحقة إلى عبدالملك بن مروان: **"فضربت بمقبلهم مدبرهم وبمطيعهم عاصيهم"**[٨] ، ووجد نفسه مستعدا لمواجهة الثوار، فالتحم معهم في معركة كانت نتيجتها في صالحه؛ إذ قتل عبدالله بن الجارود، الأمر الذي أحبط من معنويات الثوار، ولم يستطيعوا الاستمرار في القتال وتفرقوا، فأعلن الحجاج أمانا عاما للمقاتلين استثنى منه الهذيل بن عمران البرجمي وعبدالله بن حكيم المجاشعي اللذين قُتلا فيما بعد، وأرسلت رؤوسهم مع رأس ابن الجارود إلى رامهرمز حيث

---

(١) طه، المرجع السابق، ص١٠٧.
(٢) الهذيل بن عمران البرجمي: هو الهذيل بن عمران بن الفضيل البرجمي، من اشراف أهل البصرة، خرج مع ابن الجارود على الحجاج بن يوسف الثقفي فقتله الحجاج سنة ٧٥هـ/٦٩٤م. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٨٢؛ البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٢.
(٣) عبدالله بن حكيم المجاشعي: هو عبدالله بن حكيم بن حزام بن خويلد، أسلم يوم فتح مكة، شارك في وقعة الجمل وقتل فيها . انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ص٢١٩، ٣١١.
(٤) عباد بن الحصين الحبطي: يكنى أبا جهضم، ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير، شارك مصعب بن الزبير في قتال المختار، كما شارك في قتال أبي فديك، وأدرك فتنة ابن الأشعث، وأشار عليه بأشياء، فخاف الحجاج وهرب إلى كابل وقتل هناك. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٤.
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٥.
(٦) قتيبة بن مسلم الباهلي: هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد، من بني هلال بن عمرو، يكنى أبو حفص، كان عاملا للحجاج بن يوسف الثقفي على خراسان، وافتتح خوارزم وسمرقند وبخارى، قتل في فرغانة سنة ٩٧هـ/٧١٥م. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص ص٤٠٦-٤٠٧.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٥.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٢.

المهلب بن أبي صفرة الذي يقاتل الخوارج؛ وذلك لتثبيط عزائم الخوارج الذين كانوا يرون في ثورة ابن الجارود فرصة لدخول البصرة(١).

ومما يجدر بنا ذكره هنا أنه لم يكن للخليفة عبدالملك بن مروان مساهمة مباشرة في قمع ثورة ابن الجارود، فكل الجهد كان على الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أرسل للخليفة فيما بعد يخبره بأمر الثورة وبقمعها وقد أثنى الخليفة على الحجاج وامتدحه(٢).

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

٣- حركة الزنج[1] (٧٥هـ/٦٩٤م)

ظهر نظام الرق (العبيد) في العالم منذ أزمنة موغلة في القدم، وجاء الإسلام فأدخل الكثير من التغيرات حتى يهذب من هذا النظام، ويصبغه بصبغة إسلامية فشجع على تحرير العبيد، وأوصى بحسن معاملتهم وقضى على الفروق بينهم وبين غيرهم، فجعل لهم حقوقا اجتماعية وسياسية واقتصادية، إلا أن ذلك لم يحل دون نشاط تجارة العبيد، ويعد الزنج جماعة من هؤلاء العبيد جيء بهم من أفريقيا الشرقية والوسطى للعمل في استصلاح الأراضي الزراعية، فكانوا يجففون المستنقعات، ويزيلون الطبقة الملحية من الأرض (كسح الباخ) في جنوبي العراق (السواد)[2]، وتعد هذه المهنة من المهن الشاقة التي تحتاج إلى الكثير من الجهد والقوة، إلا أن طعامهم لم يكن إلا قليلا من "**الدقيق والسويق والتمر**"[3]، إضافة إلى أن بيئة المستنقعات والأنهار التي يعيشون فيها لم تكن إلا مرتعا للأوبئة والأمراض. ووسط هذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية لم يكن يستبعد أن تكون هناك محاولات من الزنج للتخلص من ضنك العيش الذي كانوا يعيشونه، لذلك نجدهم يضعون بصمتهم مع مجمل الثورات والحركات التي ثارت زمن الخليفة عبدالملك بن مروان.

تخلو المصادر الأولية من الحديث عن ثورة الزنج التي حدثت جنوبي العراق زمن الخليفة عبدالملك بن مروان ماعدا الروايات اليسيرة التي يذكرها البلاذري، وعلى الرغم من ذلك فإن البلاذري لم يوضح لنا أسباب الثورة ولا تنظيمها.

خرج الزنج لأول مرة في ولاية مصعب بن الزبير على البصرة، كان خروجهم يقتصر على نهب المحاصيل الزراعية، ولم يخطُ مصعب اتجاههم أي خطوة لانشغاله، وما أن توفي مصعب حتى قام الخليفة عبدالملك بن مروان بتعين خالد بن عبدالله القسري واليا على البصرة، فشكا له الناس ما أصابهم من الزنج، وحثوه على أن يجد لهم حلا فما كان من خالد إلا أن جهز جيشا لمواجهتهم، ولكن الزنج كانوا قد تفرقوا قبل وصول الجيش إليهم، ولم يخلّ الأمر من قتل وصلب بعضهم[4].

رأى الزنج في انشغال الحجاج بن يوسف الثقفي بثورة ابن الجارود فرصة للخروج مرة ثانية، ولكن ثورتهم هذه المرة أصبحت أكثر تنظيما، فأصبح لهم قائد اسمه رياح، لقب بـ (شير

---

(١) الزنج: كلمة مقتبسة عن "زنك" الفارسية وتعني الحبشة. انظر: حتي، فيلب وآخرون. تاريخ العرب. ط١٢، دار الكشاف، بيروت:٢٠٠٧م، ص٥٤٣.

(٢) الدوري، عبد العزيز. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: ١٩٩٥م، ص٣٩.

(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٩٩٤.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٤٨.

زنجي) وتعني أسد الزنج، وقد تسمى بأمير المؤمنين[1]، انضم إليه الزنج والزط[2] الذين ذكرهم البلاذري باسم أهل الكلاء[3]، ولا يستبعد احتمال انضمام الموالي الفرس إلى هذه الثورة أيضا[4].

أما ما يخص الأسباب التي دفعت الزنج للثورة فهي غير واضحة في رواية البلاذري ولكن نرجح أن تكون هناك أسباب اقتصادية واجتماعية دفعت هؤلاء للخروج كتحسين أوضاعهم المعيشية والحصول على الحرية الاجتماعية، وقد استفحل خطر الزنج إذ تمكن شيرزنجي من الوصول إلى منطقة الفرات والأبلة [5]، الأمر الذي أجبر والي الحجاج كراز بن مالك السلمي[6] على الهرب إلى البصرة[7].

ما إن انتهى الحجاج بن يوسف من القضاء على ابن الجارود حتى تفرغ لأمر الزنج فأرسل إليهم جيشا بقيادة حفص بن زياد بن عمر العتكي[8]، ولكن شيرزنجي تمكن من هزيمة هذا الجيش وقتل قائده، مما يوحي لنا مقدار القوة التي كان يتمتع بها الزنج حينها.

ولعل الحجاج بن يوسف لم يكن يدرك مقدار قوة الزنج، وظن أنه قادر على القضاء عليهم سريعا، ولكن ما أن وصله خبر هزيمة جيشه حتى ثار وهدد أهل البصرة بأشد العقاب إن لم يتعاونوا معه بوضع الحد لخروج عبيدهم، ولعل تهديد الحجاج لأهل البصرة عائد إلى معرفته أن لولا أن تجرأ أهل البصرة برفع راية العصيان على الدولة لما تجرأ الزنج على ذلك.

خرج رجال من أخماس البصرة وانضموا إلى الجنود الأمويين الذي جعلت قيادتهم هذه المرة لكراز بن مالك السلمي، والتقى هذا الجيش بالزنج في صحاري دورق[9]، ودار قتال عنيف بين الطرفين انتهى بهزيمة الزنج ومقتل قائدهم شيرزنجي[10].

لم تكن لحركة الزنج أي نتائج على مجتمع العراق حينها، وكان يبدو وكأنه تم استأصالها، ولكن هذه الثورة كانت البذرة الأولى لثورة الزنج التي حدثت فيما بعد سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م في العصر العباسي.

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٠.
(٢) الزط: هنود نقلهم الحجاج بن يوسف من السند إلى البطيحة، وكانوا يعملون بتربية الجاموس. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٣٨.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٠.
(٤) دكسن، الخلافة الأموية، ص٢٣٩.
(٥) الأبلة: بلدة تقع على شاطئ دجلة البصرة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٧٧.
(٦) لم أقف على ترجمة له.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٠.
(٨) لم أقف على ترجمة له.
(٩) دورق: بلد بخوزستان (الأهواز). انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٨٣.
(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠١.

٤- حركة مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفي (٧٧هـ/٦٩٦م)

شاءت الأقدار على الحجاج بن يوسف الثقفي أن يواجه هذه المرة معارضة أحد الأشراف الثقفيين وهو مطرف بن المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن متعب من قبيلة ثقيف التي سكنت الطائف وكانت لها علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية مع قبيلة قريش، وكان المغيرة بن شعبة ذا شأن في الإسلام ، استعمله النبي (صلى الله عليه وسلم) في بعض أموره، وكان واليا على الكوفة زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ثم واليا عليها زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان حتى مات[(١)]، فكان من الأعلام البارزين في ولائهم لبني أمية.

حظي مطرف بن المغيرة بقدر كبير من التقدير من الدولة الأموية عامة ومن الحجاج بن يوسف الثقفي خاصة الذي عينه واليا على المدائن سنة ٧٦هـ/٦٩٥م وكان **"أقمعه لمريب وأشده إنكارا للظلم"**[(٢)]، كما عين الحجاج الثقفي أخوة مطرف بن المغيرة عروة[(٣)] وحمزة[(٤)] على الكوفة وهمذان[(٥)]، إلا أن ذلك لم يمنعه من الخروج ضده وضد الدولة الأموية، بسبب حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت العراق، والطموح الفردي الذي أخذ يعتري البعض على أمل أن تستقر الأمور على يده ولأسباب خاصة بمطرف – سنوضحها لاحقا.

في ٧٧هـ/٦٩٦م كان الحجاج بن يوسف مشغولا بمواجهة شبيب الخارجي، وقد استفحل خطر شبيب الذي تقدم نحو الكوفة، وما أن وصل شبيب إلى بهرسير[(٦)] إحدى مدن المدائن حتى كتب مطرف إلى الحجاج يطلب منه المدد، فأرسل له الحجاج أربعمائة فارس[(٧)] عليهم سبرة بن عبدالرحمن بن مخنف[(٨)]، وأرسل مطرف إلى شبيب طالبا منه إرسال رجال ثقة من أصحابه حتى يناظرهم ويرى ما يدعون له.

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق، ج٥، ص١٧٧.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٩.
(٣) عروة بن المغيرة: هو عروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي، كوفي، تابعي ثقة، كان واليا للحجاج بن يوسف الثقفي على الكوفة، عرف بسيد ثقيف. انظر: المزي، المصدر السابق، ج٢٠، ص ص٣٧-٣٨.
(٤) حمزة بن المغيرة: هو حمزة بن المغيرة بن شعبة الثقفي، أمه حفصة بنت سعد بن أبي وقاص، تابعي ثقة، روى له مسلم والنسائي وابن ماجة. انظر: ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م). كتاب الطبقات. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، د.ن، بغداد: ١٩٦٧م، ص١٥٥؛ العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبدالله (ت٢٦١هـ/٨٧٤م). معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم. ترتيب: نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر وآخرون، تحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، ج١، د.ط، مكتبة الدار، المدينة المنورة: ١٩٨٥م، ص٣٢٣؛ المزي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٤٠.
(٥) همذان: بلد واسع، كثير الأقاليم والعيون والأودية، عرف بماه البصرة، إذ كان خراجه يحمل لأهل البصرة. انظر: اليعقوبي، البلدان، ص٨٢.
(٦) بهرسير: إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٥١٥.
(٧) الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٢.
(٨) لم أقف على ترجمة له.

وافق شبيب على طلب مطرف وبعث إليه عدداً من أتباعه الثقات، ووضع شبيب عنده عدداً من الرهناء حتى يضمن سلامة أتباعه، فاستوضح مطرف الأهداف التي خرج من أجلها شبيب على الحجاج إذ كان جوابهم "**نقمنا على قومنا الإستئثار بالفيء، وتعطيل الحدود، والتسلط بالجبرية**"[1]، فرد مطرف قائلا: " **ما دعوتم إلا إلى حق، ولا أنكرتم إلا منكرا، ولا نقمتم إلا جورا ظاهرا، وأنا لكم على مثل هذا متابع**"[2].إن جواب مطرف هذا ينم على التأييد المطلق لشبيب وجماعته، إلا أنه بقي أمر واحد اختلف فيه مطرف مع شبيب وهو أمر الإمامة وأن خليفة المسلمين يجب أن يكون من قريش فقط[3]، وهذا بالطبع يخالف ما كان يراه الخوارج من أن الإمامة حق لأي فرد تجمع عليه الأمة بغض النظر عن أصله وانتسابه القبلي، وهذا ما جعل شبيب يطمع في إقناع مطرف فأرسل له وفدا آخر يقنعه، إلا أن مطرف أصر على رأيه.

انتهت المفاوضات بين شبيب الخارجي ومطرف بن المغيرة بالفشل، ولم يستطع أحد منهم أن يقنع الآخر برأيه، وقد أعطت هذه المفاوضات مزيدا من الوقت للحجاج بن يوسف الثقفي فقد أخرت المفاوضات التي استمرت لأربعة أيام[4] شبيبا من متابعة سيره إلى الكوفة، كما أتاحت الفرصة لعتاب بن ورقاء الرياحي وأعطته مزيدا من الوقت حتى يصل الكوفة وحتى يلبي دعوة الحجاج له في قيادة الجيوش ضد شبيب، وهذا ما جعل البعض يعتقد أن هذه المفاوضات ما هي إلا مكيدة من مطرف بن المغيرة حتى يؤخر شبيب[5] الخارجي عن التقدم للكوفة، ولكن الأحداث بعد ذلك ستوضح ان هذا لم يكن في حسبان مطرف بن المغيرة ابدا.

لقد حصل من مطرف ما لم يتوقع فقد ترك المدائن وولى هاربا إلى الدسكرة[6]لعل فعله هذا ناتج عن خوفه من عقاب الحجاج، خاصة بعد أن أبدى رأيه في الحجاج أثناء المفاوضات، كما أن مطرفاً كان يخشى هجوم شبيب عليه بعد أن اختلافا في الرأي، ولم يكتفِ مطرف بالهروب من المدائن بل أعلن بين أتباعه عن خلعه للحجاج بن يوسف الثقفي وخلع الخليفة عبدالملك بن مروان أيضا[7]، فحصل مطرف على بيعة من أصحابه "**على كتاب الله وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا**"[8] وهنا نلاحظ التناقض الذي حدث في رأي مطرف بن المغيرة من داعيا للخلافة في قريش - وهو بذلك ينافي مبدأ الخوارج- إلى داعيا للشورى بين المسلمين ويبدو لنا أن مطرف بن المغيرة في

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٩؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٩.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٩.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١١٧٩.
(٤) ابن مسكويه، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٠.
(٥) المصدر نفسه، ص١٩٩.
(٦) الدسكرة: قرية في طريق خراسان. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٥.
(٧) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٠٠؛ الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٠.
(٨) الطبري، المصدر السابق، ص١١٨١.

بداية الأمر كان راغبا في لفت انتباه من حوله من الناس وجذب العديد من الأتباع بالدعوى إلى خلافة قرشية، لما كان سائدا من مكانة قريش ولكثرة مؤيدها من ناحية ولكن ناقض نفسه عندما أخذ بعد ذلك يدعو إلى الشورى في الحكم ولعل مطرف بدأ يطمع في الخلافة وأراد أن يكون له نصيب من الأمر، فأظهر الرغبة في ذلك بقوله: **"لو تابعوني على رأي- يقصد الخوارج الصفرية- وعلى ما وصفت لهم، لخلعت عبدالملك والحجاج، ولسرت إليهم أجاهدهم"**[١] .

ثم انتقل مطرف بن المغيرة من الدسكرة إلى حلوان[٢] وكان عاملها سويد بن عبدالرحمن السعدي[٣] الذي كان مترددا في قتال مطرف، وأظهر ميلا لمطرف، وطلب منه أن يغادر حلوان، فخرج مطرف من حلوان إلى همذان، وواجه في طريقه جماعة من الأكراد فهزمهم.

وصل مطرف إلى همذان وكان عليها أخوه حمزة بن المغيرة ولم يشأ أن يعرضه للخطر، ولكن طلب منه المساعدة فأمد حمزة مطرفا بالمال والسلاح، وواصل سيره إلى أصبهان، حيث انضم إليه هناك أعداد من الساخطين على الحجاج من الري ومقاطعات أخرى[٤].

كتب البراء بن قبيصة[٥] عامل الحجاج على أصبهان للحجاج طالبا مساعدته، فطلب الحجاج من عدي بن وتاد[٦] واليه على الري أن ينضم إلى البراء، كما قام الحجاج بعزل حمزة بن المغيرة من ولاية همذان خوفا من أن ينضم إلى جانب مطرف، ثم تولى عدي بن وتاد جيوش الدولة الأموية لمواجهة مطرف بن المغيرة، ودار القتال بين الفريقين وانتهى بمقتل مطرف بن المغيرة وتفرق أتباعه.

بعد تتبع سير الأحداث في معارضة مطرف بن المغيرة يمكن لنا أن نستوضح بعض الأمور، منها أن ثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة جاءت نتيجة للفوضى السياسية وعدم الاستقرار الذي ساد في العراق خاصة آنذاك، الأمر الذي شجع الناس وبعض الأمراء والولاة على الثورة، إذ انعدم شعور الناس بوجود سلطة قادرة على ضبط الأوضاع، كما أن ثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة جاءت نتيجة مباشرة لأفعال الحجاج بن يوسف الثقفي وتصرفاته التي يمكن وسمها بالقسوة والشدة، ولا يستبعد أن تكون مشاعر الكره والبغض قد ملأت قلب

---

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٠.
(٢) حلوان: مدينة كبيرة، في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، بها خليط من العرب والفرس والأكراد. انظر: اليعقوبي، البلدان، ص٧٥؛ الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٠.
(٣) لم أقف على ترجمة له.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١١٨٢.
(٥) البراء بن قبيصة: هو البراء بن قبيصة بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر الثقفي، ذكره البخاري وابن أبي حاتم في التابعين، ولاه الحجاج بن يوسف البصرة ثم الكوفة ثم عزله وولاه أصبهان، ثم ولي الطائف. انظر: البلاذري، المصدر السابق، ج١٣، ص٤٢٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٣٦٣؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٦٥٠.
(٦) لم أقف على ترجمة له.

مطرف بن المغيرة على الحجاج خاصة بعد أن قُتل أخوه عروة بن المغيرة بن شعبة من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي، وفي ذلك أن الخليفة عبدالملك بن مروان أرسل إلى عروة بن المغيرة يسأله عن الحجاج وسيرته فجاء رد عروة: **"التجبر والعجلة في الأمور والتسرع إلى العذاب، والإقدام على الدماء"**[١]، ولم يغفل الحجاج عن رأي عروة بن المغيرة فيه فعذبه بالسياط حتى مات[٢] ، أما بوجه عام فقد خلا إحساس الناس بعدم وجود سلطة قوية، وسادت الفوضى السياسية وعدم الاستقرار مما حض بعض الأمراء والولاة على الاستئثار بالأمر، ومطرف بن المغيرة قد بيت نية الخروج على الحجاج بن يوسف، فأمر المفاوضة مع شبيب لم يأتِ عبثا ولم يكن تصرفا أريد به تأخير شبيب عن الحجاج بل لعلها كانت محاولة من مطرف بن المغيرة حتى يضع يده بيد شبيب الخارجي ضد عدوهم المشترك – الحجاج بن يوسف الثقفي- فالمصلحة هي التي أجبرته على هذه المحاولة وقد أراد مطرف بن المغيرة أن يستفيد من قوة الخوارج الصفرية حتى يحقق هدفا كان يرسمه للقضاء على الحجاج بن يوسف الثقفي، ولا يمكن أن نجزم ما كان يمنعه من الخروج، فلعل مطرفاً كان ينتظر سببا يستطيع من خلاله الخروج وإقناع من حوله بذلك، ولعله كان ينكر سياسة الحجاج بن يوسف ولم يشأ أن يخرج عليه للعلاقة الوطيدة التي كانت بينه وبين الحجاج، فالحجاج كان يعد مطرف من المقربين بالنسبة له[٣]، ولكن بعد أن أبدى رأيه لشبيب وصرح كرهه ومعارضته لسياسة الحجاج أصبح عليه أن يتقي شر الحجاج لذلك جاء هروبه من المدائن.

إن ردة الفعل التي أبداها مطرف أثناء التفاوض مع أتباع شبيب جعلت المؤرخين الأوائل يختلفون في حكمهم على طبيعة هذه الثورة، ويختلفون ما إذا كانت ثورة مطرف يمكن أن تضم إلى قائمة ثورات الخوارج، إذ رأى البلاذري أن ثورة مطرف بن المغيرة اشتركت مع الخوارج في إنكار المنكر ليس إلا، ولم يكن يتبع الخوارج في شيء[٤]، وينكر البلاذري أيضا أن يكون مطرف أحد الخوارج ويرى أنه كأحد القراء الذين اشتركوا مع ابن الأشعث أي أنه لم يكن على صلة بالخوارج[٥].

ويختلف المؤرخون المحدثون في الحكم على ثورة مطرف إذ يعده ويل Weil واحدا من أتباع شبيب[٦]، ويصنف ڤان ڤلوتن Van Vloten ثورته بوصفها واحدة من ثورات

---

(١) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٨.
(٣) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت٢٨١هـ/٨٩٤م). الإشراف في منازل الأشراف. تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، ط١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٩٩٠م، ص٢٤٥.
(٤) البلاذري، المصدر السابق، ج٧، ص٣٩٧.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٠٤.
(٦) Weil. History of the Islamic peoples. Translated by: S.Khuda Bukhsh, Darf, London: 1985, P:122 .

الأشراف على الدولة[١]، في حين أن ولهاوزن Wellhausen لم يكن دقيق عند تعليقه على طبيعة الثورة إذ رأى أن مطرف **"كانت لديه ميول شديدة نحو الخوارج ولكنه لم يشأ أن يكون تابعا لشبيب كما لم يشأ أن يقاتله"**[٢]، ويعارض دكسن أن يكون مطرف من الخوارج، فهو يرى أن اتفاق الرأي بينه وبين شبيب في مهاجمة الحكم الظالم لا يجعلان منه خارجيا، فهو يختلف من ناحية أن مطرفاً يرى أن الحكم يجب أن يكون في قريش فقط، عكس ما يراه الخوارج، ومن ناحية أخرى فإن مطرف وأتباعه لم يرفعوا شعار الخوارج "لا حكم إلا لله"، كما أن ثورته لم تترك من بعده أتباعا يدعون لأي مبادئ قد يكون تبناها[٣].

ونرى أن رأي البلاذري الذي أخذ به دكسن هما الأقرب للصحة فمطرف تبنى فكرة واحدة اتفق فيها مع القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث ومع الخوارج وهي محاربة الحاكم الظالم ومن والاه، ولم يكن لحظتها يدعو إلى مبدأ أو رأي يسير عليه هو وأتباعه، بل نراه ينفرد عنهم بالدعوة إلى خلافة تكون في قريش، كما أن مبادرته بدعوة شبيب بن يزيد الخارجي للمناظرة في آرائه لم يكن إلا بدافع التوفيق بين رأيه ورأي الخوارج وتوحيد الجهود للخروج على الحجاج، هذا مما يجعلنا نستبعد أن يكون مطرف واحدا من الخوارج، ولكن في الوقت نفسه يمكن القول أن مطرفاً قد أخطأ في اختيار الوقت المناسب للخروج، كما أنه لم يبذل جهدا كبيرا في توفير من يستنصر بهم ضد الحجاج، وظل يخفي نيته بالخروج ضد الحجاج حتى بعد خروجه من المدائن، لذلك كان من السهل على الحجاج أن يقضي عليه سريعا قبل استفحال خطره.

---

(١) فلوتن، المرجع السابق، ص٥٩.
(٢) ولهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية، ص١١٩.
(٣) دكسن، الخلافة الأموية، ص ص٣٠٢-٣٠٣.

الخاتمة

الخاتمة

بعد استعراض حركات المعارضة التي حدثت في العراق زمن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان فإن الدراسة توصلت إلى نتائج أهمها:

١- أظهرت الدراسة قيام عدد من حركات المعارضة في العراق في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان تنوعت بين حركات دينية سياسية مثل حركات المختار بن أبي عبيدة الثقفي والخوارج والأباضية، وحركات سياسية صرفة مثل حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث وحركة زفر بن الحارث، وحركة عبدالله الجارود، وحركة الزنج، وحركة المطرف بن المغيرة بن شعبة.

٢- كشفت الدراسة أن الاختلاف حول مسألة الخلافة وأحقية الحكم، وسياسة بعض الولاة الأمويين بالإضافة إلى اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية كانت من أهم اسباب قيام حركات المعارضة.

٣- وضحت الدراسة أن سياسة اللين والشدة التي اتبعها الخليفة عبدالملك بن مروان ساعدته في القضاء على حركات المعارضة.

٤- كشفت الدراسة الشخصية السياسية لعدد من زعماء حركات المعارضة المباشرين ومنهم المختار بن أبي عبيد الثقفي، ونافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي وشبيب بن يزيد الشيباني، وعبدالرحمن بن محمد الأشعث.

٥- أظهرت الدراسة أن التأييد الذي حصلت عليه حركات المعارضة كان نتاجًا لأسباب تراكمية لم تكن وليدة عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، وخير ما يمثل ذلك تأييد ضعفاء العرب والموالي المستمر للحركات.

٦- بينت الدراسة أن إهمال الجانب التنظيمي للحركات، وعدم قيام وحدة بين زعمائها كان من أهم أسباب فشل هذه الحركات خاصة عدم وحدة فرق الخوارج من أزارقة ونجدية وصفرية، ورفض مطرف بن المغيرة أن يضع يده بيد شبيب بن يزيد الخارجي .

الملاحق

ملحق رقم (١)

رسالة عبدالله بن أباض إلى الخليفة عبدالملك بن مروان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم ١٥

من عبد الله بن اباض الى عبد الملك بن مروان سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو
واوصيك بتقوى الله فان العاقبة للتقوى والمرد الى الله واعلم انه انما يتقبل الله من المتقين
اما بعد جاءني كتابك مع سنان بن عاصم وانك كتبت الي ان اكتب اليك بكتاب فكتبته اليك
فمنه ما يعرف ومنه ما ينكر زعمت انما عرفت منه ما ذكرت فيه من كتاب الله وخصصت عليه من طاعة
الله واتباع امره وسنة نبيه واما الذي انكرت منه فهو عند الله غير منكر واما ما ذكرت من عثمان والذي
عرضت به من شان الائمة وان الله ليس ينكر علي احد شهادته في كتابه بما انزل على رسوله انه من لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الظالمون والفاسقون والكافرون واني لم اذكر لك شيئا من شان عثمان
والائمة الا والله يعلم انه الحق وسانزع لك من ذلك البينة من كتاب الله الذي انزل على رسوله وساكتب
اليك في الذي كتبت به واخبرك من خبر عثمان والذي طعنا عليه فيه وابين شانه والذي ابا عثمان
لقد كان كما ذكرت من قدم في الاسلام نسخه وعبادته وعمل به ولكن الله لم يجبر العباد من الفتنة
والردة عن الاسلام وان الله بعث محمدا بالحق صلى الله عليه وسلم وانزل الكتاب فيه بينات كل شيء وحكم بين
الناس فيما اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يوقنون فاحل الله في كتابه حلالا وحرم حراما وفرض فيه
فرايضا وحكم فيه حكما وفصل فيه قضاه وبين حدوده فقال تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال ومن
يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وقسم ربنا قسما وليس لعباده فيه الخيرة ثم امر نبيه باتباع
كتابه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتبع ما اوحي اليك من ربك وقال فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم
ان علينا بيانه فعمل محمد صلى الله عليه وسلم بامر ربه ومعه عثمان ومن شاء الله من اصحابه لا يرون
رسول الله يتعدا امر قبله شيئا ولا يبدل فريضة ولا يستحل شيئا حرمه الله ولا يحرم شيئا احله الله
ولا يحكم بين الناس الا بما انزل الله وكان يقول اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
فعمل محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء الله نبيا بما جاء من الله والمؤمنون معه يعلمون وينظرون الى
عمله حتى توفاه الله عليه السلام وهم عنه راضون فنسال الله سبيله وعملا بسنته بما
اورث الله عباده الكتاب الذي جاء به محمد وهداه ولا يهتدي من اهتدى من الناس الا
باتباعه ولا يضل من ضل من الناس الا بتركه ثم قام من بعده ابو بكر على الناس فاخذ بكتاب الله
وسنة نبيه ولم يفارقه احد من المسلمين في حكم حكمه ولا قسم قسمه حتى فارق الدنيا واهل
الاسلام عنه راضون وله مجامعون ثم قام من بعده عمر بن الخطاب قويا في الامر شديدا على اهل

(١) مجموعة علماء. السير الأباضية. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، المركز الثقافي، مركز الدراسات العمانية.ص ص٤٥- ٥١.

النفاق يقتدي بمن كان قبله من المومنين يحكم ها بكتاب الله وابتلاه الله بفتوح من الدنيا
ع الدين ظاهر وكلمة الاسلام جامعة وشها دتهم قايمة والمومنون شهداء الله في الارض وذلك
بان الله قال جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
ثم اشار المومنون فولوا عثمان فعمل ما شاء الله عما يعرف نتحه عرف اهل الاسلام حتى بسطت
له الدنيا وفتح له من خزاين الارض ما شاء الله ثم احدث امورا لم يعمل بها صاحباه قبله وعهد الناس
يوميذ قريب بنبيهم وحديث فلما راى المومنون ما احدث عثمان اتوه فكلموه وذكروه بكتاب الله
وسنة من كان قبله من المومنين فسفه ان ذكروه بايات الله فاخذهم بالجبروت وضرب من شاء الله
منهم وسجن ونفاهم في اطراف الارض من شاء الله منهم بغيا ان ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه ومن كان
قبله من المومنين وقال الله ومن اظلم ممن ذكر بايات الله ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون واني ابين
لك يا عبد الملك بن مروان ان الذي انكر المومنون على عثمان وفارقناه عليه فيما استحل من المعاصي
عسى ان تكون جاهلا عنه غافلا وانت على دينه وهدايه ولا يحملنك يا عبد الملك بن مروان هوى عثمان
ان تجحد بايات الله وتكذب بها فان عثمان لا يغني عنك من الله شيئا فاتق الله يا عبد الملك بن مروان
قبل التنا وش من مكان بعيد وقبل ان يكون لزاما واجل مسمى وانه كان مما طعن المومنون عليه وفارقوه
وفارقناه فيه فان الله قال ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما
كان لهم ان يدخلوها الا خايفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم فكان عثمان اول من منع
مساجد الله ان يقضى فيها بكتاب الله ومما نقمنا عليه وفارقناه فيه ان الله قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من
حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين فكان اول هذه الامة طردهم ونفاهم فكان من نفاهم
من اهل المدينة ابا ذر الغفاري ومسلم الجهني ونافع بن الحطابي ونفي من اهل الكوفة كعب بن ابي
لعمة الى الرجل الوحان وجندب بن زهير وجندب هو الذي قتل الساحر الذي كان يلعب به الوليد
بن عقبة ونفي عمرو بن زرارة وزيد بن صوحان واسود بن دريح وزيد بن قيس الهمداني وكردوس
بن الحضرمي في ناس كثير من اهل الكوفة ونفى من اهل البصرة عامر بن عبد الله القشري ومذعور العبدي
ومن لا يستطيع لك عددهم من المومنين ومما نقمنا عليه انه امر اخاه الوليد بن عقبة على المومنين فكان
يلعب بالسحرة ويصلي بالناس سكران فاسق في دين الله اقدم من اجل قرابته على المومنين والمهاجرين
والانصار وانما عهدهم حديث بعهد الله ورسوله والمومنين ومما نقمنا عليه موازرته قرابته على عباد
الله وجعل المال دولا بين الاغنياء وقال الله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وبدل كلام الله وبدل
القول بعد واتبع الهوى ومما نقمنا عليه انه انطلق الى الارض ليحميها لنفسه ولاهله حما حتى منع قطر

السماء والرزق

السما والرزق الذي انزله الله لعباده لانفسهم ولانعامهم وقد قال الله قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب يوم القيمة ومما نقمنا عليه انه اول من اعتدى في الصدقات وقد قال الله انما الصدقات
للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم وقال وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان
تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا والذي احدث عثمان متعمد
فرايض كان فرضها امير المومنين عمر بن الخطاب رحمة الله عليه وانتقص اصحاب بدر الفا الفا من عطاهم
وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله وقال الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ٥ ومما نقمنا عليه انه كان يضم كل ضالة الى ابله ولا يردها
ولا يعرفها وكان ياخذ من الابل والغنم ممن وجدها عنده من الناس وان كانوا قد اسلموا عليها وكان لهم في
حكم الله ان لهم ما اسلموا عليه وقال الله ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين ٥
وقال ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما
ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ٥ ومما نقمنا عليه انه
اخذ خمس الله لنفسه ويعطيها اقاربه ويجعل منهم عمالا على اصحابه وكان ذلك تبديلا لفرايض الله وقد قال الله
ان الخمس لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ومما نقمنا عليه انه منع اهل البحرين
واهل عمان ان يبيعوا شيئا من طعامهم حتى يباع طعام الامارة وكان ذلك تحريما لما احل الله واحل الله
البيع وحرم الربوا فلو اردنا ان نخبر بكثير من مظالم عثمان لم نحصها الا ما شاء الله وكل ما عددت عليك
من عمل عثمان يكفر الرجل ان يعمل ببعض هذا فكان من عمل عثمان انه كان يحكم بغير ما انزل الله وخالف سنة
نبي الله والخليفتين الصالحين ابي بكر وعمر وقد قال الله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ٥ وقال ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون ٥ وقال الا لعنة الله على الظالمين ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ٥ وقال لا ينال عهدي
الظالمين ٥ وقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون ٥
وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وقال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
انهم لا يومنون فكل هذه الايات نشهد على عثمان وانما شهدنا بما شهدت هذه الايات والله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ٥ وقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما

٤٧

انكم تنطقون فلما راى المومنون الذي نزل به عثمان من معصية الله والمومنون شهداء الله ناظرون
في اعمال الناس وكذلك قال الله اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وترك خصومة الخصمين في الحق والباطل ووقع ما وعد الله من
الفتن وقال الله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعلم المومنون ان طاعة عثمان على ذلك طاعة ابليس فساروا
الى عثمان من اطراف الارض واجتمعوا في ملاء من المهاجرين والانصار وعامة ازواج النبي فاتوه وذكروه
الله واخبروه الذي اتى من معاصي الله فزعم انه يعرف الذي يقولون وانه يتوب الى الله منه ويراجع الحق
فقبلوا منه الذي اتقاهم به من اعتراف الذنب والتوبة والرجوع الى امر الله فجامعوه وقبلوا منه وكان
حقا على اهل الاسلام اذا اتقوا بالحق ان يقبلوه ويجامعوه ما استقام على الحق فلما تفرق الناس على
ما اتقاهم به من الحق نكث عن الذي عاهدهم عليه وعاد فيما تاب منه فكتب في ادبارهم ان تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف فلما ظهر المومنون على كتابه ونكثه على العهد الذي عاهدهم عليه رجعوا فقتلوه بحكم
الله وقال الله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم
ينتهون فجامع اهل الاسلام حينا ما شاء الله وعمل بالحق وقد يعمل الانسان بالاسلام زمانا ثم يرتد عنه وقال
الله ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم فلما استحل
معصية الله وترك سنة من كان قبله من المومنين علم المومنون ان الجهاد في سبيل الله اولى والطاعة في
مجاهدة عثمان على احكامه فهذا من خبر عثمان والذي فارقناه فيه ونطعن عليه اليوم وطعن عليه
المومنون قبلنا وذكرت انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وختنه فقد كان علي بن ابي طالب اقرب الى
رسول الله واحب اليه منه وكان ختنه ومن اهل الاسلام وانت تشهد عليه بذلك وانا بعد على ذلك فكيف
تلون قرابته محمدا صلى الله عليه وسلم نجاة اذ ترك الحق وتعلى كفرا واعلم انما علامة كفر هذه الامة
كفرها الحكم بغير ما انزل الله ذلك بان الله قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ولا امر في
من الله قبلا وقال فباي حديث بعد الله وآياته يومنون فلا يغرك يا عبد الملك بن مروان عثمان به
عن نفسك ولا تسند دينك الى الرجال يتمنون ويريدون ويستدرجون من حيث لا يعلمون
فان املك الاعمال لخواتمها وكتاب الله جديد ينطق بالحق اجارنا الله باتباعه ان نضل ونبغي
فاعتصم بالله فانه من يعتصم بالله يهديه صراطا مستقيما وهو حبل الله الذي امر المومنين ان
يعتصموا به ولا يتفرقوا وليس حبل الله الرجال من انهم حسن ينهبون ويطعنون فاذكر الله ما
ان تدبرت القرآن فانه حق وقال الله افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فلتكن تابعا لما جاء
من الله به تهتدي وبه تخاصم من خاصمك من الناس واليه تدعو وبه تحتج فانه من يكن القرآن حجته به

تخاصم وخاصم

تخاصم من خاصمه ويفلح في الدنيا والآخرة فان الناس قد اختصموا وهم يوم القيمة عند ربهم
يختصمون فتعمل لما بعد الموت ولا يغرنك بالله الغرور واما قولك في شان معاوية بن ابي سفيان
ان الله قام معه وعجل نصرته وافلح حجته واظهره على عدوه بطلب دم عثمان فان تكن تعتبر
الدين من قبل الدولة وان يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا فانه لا يعتبر الدين بالدولة فقد
ظهر المسلمون على الكفار منع ولينظر كيف تعملون وقد ظهر الكفار على المسلمين ليبلوا المسلمين بذلك
وعلى الكافرين وقال وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء
والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فان كان الدين اذا اظهر الناس
بعضهم على بعض فقد سمعت الذي اصاب المشركون من المسلمين يوم احد وقد ظهر الذين
قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الجمل وظهر ايضا على اهل البصرة وهم شيعة
عثمان وظهر المختار على ابن زياد واصحابه وهم شيعتكم وظهر مصعب الحبيب على المختار وظهر
ابن الجحف على احنس بن دلجه واصحابه وظهر اهل الشام على اهل المدينة وظهر ابن الزبير
على اهل الشام بمكة يوم استفتحوا منها ما حرم الله عليكم وهم شيعتكم فان كان
هؤلاء على الدين فلا تعتبروا الدين من قبل الدولة فقد ظهر الناس بعضهم على بعض ولا مواجران
ويعطي الله رجالا ملكا في الدنيا فقد اعطى فرعون ملكا وظهر في الارض وقد اعطي الذي حاج
ابراهيم في ربه وقد اعطى فرعون ما سمعت ثم انما اشترى معاوية الامارة من الحسن بن
علي ثم لم يف له بالذي عاهده عليه وقال اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم
الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون فلا تسئل عن معاوية ولا عن عمله ولا
صنيعه غير انا قد ادركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس ولا نعلم من الناس شيئا احدا اترك
من القسمة التي قسم الله ولا لحكم حكم الله ولا اسفك للدم حرام منه فلو لم يصب من الدما الادم
ابن سمية لكان ذلك يكفره ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا من الناس لعينا يشرب الخمر الملك فيلقيه
من السوء وكان يتبع هواه بغير هدى من الله وقال الله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين فلم يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذي عقل من الناس فاتق
الله يا عبد الملك بن مروان ولا تخادع عن نفسك في معاوية فقد بلغنا ان اهل البيت يطعنون على معاوية
ويزيد وعملهما وما رأى من خير معاوية ويزيد من بعدهما فالذي طعنا عليهما وعليه وفارقناه
عليه فان متهم فتنة فمن يكون يتولى عثمان ومن بعده فانا نشهد الله وملائكته انا منهم براء ولهم

اعداء بايدينا والسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه اذا متنا ونبعث
عليه اذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله ۞ وكتبت الي تحذرني الغلو في الدين فاني
اعوذ بالله من الغلو في الدين وسابين لك ما الغلو في الدين ان جهلته فانه ما كان يقال
على الله غير الحق ويعمل بغير كتابه الذي بين لنا وسنة نبيه الذي بين لنا اتباعك قوما
قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فذلك عثمان والائمة من بعدهم وانت على طاعتهم
وتجامعهم على معصية الله والله يقول يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله
الا الحق فهذا سبيل اهل الغلو في الدين فليس من دعى الى الله والى كتابه ورضي بحكمه وغضب
لله حين عصي امره واخذ بحكمه حين ضيع وتركت سنة نبيه وكتبت الي تعرض للخوارج
تزعم انهم يغلون في دينهم ويفارقون اهل الاسلام وتزعم انهم يتبعون غير سبيل
المؤمنين واني ابين لك سبيلهم انهم اصحاب عثمان والذي انكروا عليه ما احدث من تغيير
السنة وفارقوه حين احدث وترك حكم الله وفارقوه حين عصى ربه وهم اصحاب علي بن ابي
طالب حين حكم عمرو بن العاص وترك حكم الله فانكروا عليه وفارقوه فيه وابوا ان يقروا بحكم
البشر دون حكم كتاب الله فهم لمن بعدهم اشد عداوة واشد مفارقة كانوا يتولون في دينهم وسنتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر بن الخطاب ويدعون الى سبيلهم ويرضون بسنتهم على ذلك
كانوا يخرجون واليه يدعون وعليه يفارقون وقد علم من عرفهم من الناس وراى عملهم انهم كانوا احسن
الناس عملا واشده قتالا في سبيل الله وقال الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
وليعلموا ان الله مع المتقين فهذا خبر الخوارج نشهد الله وملائكته انا لمن عاداهم اعداء وانا
لمن والاهم اولياء بايدينا وقلوبنا والسنتنا على ذلك نعيش ما عشنا ونموت على ذلك اذا
متنا غير انا نبرأ الى الله من ابن الازرق واتباعه من الناس لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على
الاسلام فيما ظهر لنا ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد ايمانهم فنبرأ الى الله منهم ۞ اما بعد فانك
كتبت الي ان اكتب اليك بجواب كتابك واجتهد لك في النصيحة واني ابين لك ان كنت تعلم
فافضل ما كتبت به اليك وذكرتني بالله ان ابين لك فاني قد بينت لك بجهدي نفسي واخبرتك
خبر الائمة وكان حقا علي ان انصح لك وابين لك ما قد علمت ان الله يقول ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ۞ وان
الله لم يتخذني عبدا الا كفر بربي ولا ان اخادع الناس بشيء ليس في نفسي واخالف الى ما انهى
عنه فلعمري علانية غير سر ادعوا الى كتاب الله ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويرضوا بحكمه

ويتوبون

ويتوبون الى ربهم ويراجعون كتاب الله ولا ابلغ وابين واني ادعوكم الى كتاب الله ليحكم بيني وبينكم
في الذي نختلف فيه ونحرم ما حرم الله ونقسم بما قسم ونحكم بما حكم الله ونبرئ ممن برئ الله
ورسوله منه ونتولى من تولاه الله ونطيع من احل لنا طاعته في كتابه ونعصي من امر الله بمعصيته
في القرآن ان نطيعه فهذا الذي ادركنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة لم تحل حراما
ولم تسفك دما الا حين بدلوا كتاب ربهم الذي امرهم ان يعتصموا به ويأتمنوا عليه وانهم لا يزالون
مفترقين مختلفين حتى يراجعوا كتاب الله وسنة نبيه ويتبعوا كتاب الله على انفسهم ويحكموه الى
ما اختلفوا فيه فان الله يقول وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب
وان هذا هو السبيل الواضح لا يشتبه به شيء من السبل وهو الذي هدى الله به من كان قبلنا محمدا
صلى الله عليه وسلم والخليفتين الصالحين من بعده فلا يضل من اتبعه ولا يهتدي من تركه وقال
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون فاحذر ان تفرق بك السبل عن سبيله وتزين لك الضلالة باتباع هواك فيما
جمعت اليه الرجال فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا انما هي الاهواء والدين انما يتبع الناس في الدنيا
والآخرة اماما امام هدى واما امام ضلالة اما امام الهدى فهو يحكم بما انزل الله ويقسم بقسمه
ويتبع كتاب الله وهم الذين قال الله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا
يوقنون وهؤلاء اولياء المؤمنين الذين امر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم واما امام الضلالة
الذين يحكمون بغير ما انزل الله ويقسمون بغير ما قسم الله ويتبع هواه بغير سنة من الله بذلك كفر
كما سمى الله ونهى عن طاعتهم وامر بجهادهم وقال لا تطعهم وجاهدهم به جهادا كبيرا فانه حق انزل بالحق
وينطق به وليس بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ولا نضرب الذكر عنك صفحا ولا تشكن في كتاب الله
ولا حول ولا قوة الا بالله فانه من لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره كتبت الي ان اكتب اليك من جوع
كتابك فاني قد كتبت اليك وانا اذكرك بالله العظيم ان استطعت بالله لما قرأت كتابي ثم تدبرته
وانت فارغ ثم تدبرته فقد كتبت اليك بجواب كتابك وبينت لك ما علمت ونصحت لك فاني اذكرك
بالله العظيم لما قرأت كتابي وتدبرته واكتب الي ان استطعت بجواب كتابي اذا كتبت اليك
بما انازع فيه انا وانت انزع عليه ببينة من كتاب الله اصدق فيه قولك فلا تعرض لي بالدنيا فانه لا
رغبتي في الدنيا ولست من حاجتي ولكن تنكر نصيحتك لي في الدين ولما بعد الموت فانه لك افضل
النصيحة فان الله قادر ان يجمع بيننا وبينك على الطاعة فانه لا خير فيمن لم يكن على غير طاعة الله
وبالله التوفيق وفيه الرضى والسلام عليك كتاب مسلم ابو عبيدة [illegible] الى اهل المغرب [illegible]

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: المخطوطات

١. اطفيش، محمد بن يوسف. رسالة شافية في تاريخ وادي ميزاب. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، مكتبة المسجد.

٢. البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م). الجواهر المنتقاة. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، مكتبة مسجد الجامعة.

٣. الرقيشي، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الحسن (ق١١هـ/١٧م). مصباح الظلام شرح دعائم الإسلام. الجزء الأول تحت رقم (٩٧)، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، مسقط .

٤.السيابي، سالم بن حمود (ت١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م). العرى الوثيقة لشرح كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة للإمام السالمي. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، مكتبة المسجد.

٥.عبد السلام، جعفر بن أحمد. إبانة المناهج في نصيحة الخوارج. مخطوط بجامعة السلطان قابوس، المركز الثقافي، مركز الدراسات العمانية.

٦.مجموعة علماء. السير الأباضية. مخطوطة بجامعة السلطان قابوس، المركز الثقافي، مركز الدراسات العمانية.

ثانيا: المصادر

١. الآمدي. أبو القاسم الحسن (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م). المؤتلف والمختلف. تحقيق: كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت:١٩٩١م.

٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق: علي محمد عوض وآخرون، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠٣م.

٣. ــــــــ. الكامل في التاريخ. تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م.

٤. ــــــــ. اللباب في تهذيب الأنساب. د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.

٥. الأزكوي، سرحان بن سعيد(ت١١٤١هـ/١٧٢٨م). كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. دراسة وتحقيق: حسن محمد النابودة، ط١، دار البارودي، بيروت:٢٠٠٦م.

٦. الاسفراييني، أبو المظفر(ت٤٧١هـ/١٠٧٨م). التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب، بيروت: ١٩٨٣م.

٧. الأصطخري، إبراهيم بن محمد(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م). المسالك والممالك. د.ط، دار صادر، بيروت:٢٠٠٤م.

٨. الأصبهاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م). تاريخ أصبهان. تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٩٠م.

٩. ـــــــــ. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٨٨م.

١٠. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٧٦م). الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط١، دار صادر، بيروت:٢٠٠٢م.

١١. ـــــــــ. مقاتل الطالبين. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، منشورات الشريف الرضى، طهران: ١٩٩٦م .

١٢. ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م). كتاب الفتوح. تحقيق: علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت: د.ت.

١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير، ط١، دار طوق النجاة، بيروت: ٢٠٠١م.

١٤. البُستي، محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م). مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار. تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء، المنصورة: ١٩٩١م.

١٥. البسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م). المعرفة والتاريخ. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨١م.

١٦. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠١م). تاريخ بغداد. تحقيق: بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت:٢٠٠١م.

١٧. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر(ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م). الفرق بين الفرق. تحقيق: محمد عثمان. د.ط، مكتبة ابن سينا، القاهرة: ١٩٨٨م.

١٨. البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق: مصطفى السقا، د.ط، عالم الكتب، بيروت. د.ت.

١٩. البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). جمل من أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار وآخرون، ط١، دار الفكر، بيروت: ١٩٩٦م.

٢٠. أبو تمام، حبيب بن اوس الطائي (ت ٨٠١هـ/١٣٩٨م). نقائض جرير والأخطل. د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٢٢م.

٢١. التميمي، محمد بن أحمد بن تميم (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م). كتاب المحن. تحقيق: يحيى الجبوري، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت:٢٠٠٦م.

٢٢. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م). البيان والتبيين. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ج١، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٩٨م.

٢٣. ـــــــــ. الرسائل السياسية. د.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت. د.ت.

٢٤. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م). تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير. ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت:١٩٩٧م.

٢٥. ـــــــــ. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٢م.

٢٦. ابن أبي حاتم، عبدالرحمن (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م). الجرح والتعديل. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٥٢م.

٢٧. ابن حبان، محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م). الثقات. مراقبة: محمد عبد المعيد خان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد:١٩٧٣م.

٢٨. ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م). أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء. ضمن كتاب نوادر المخطوطات (المجموعة السادسة)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة: ١٩٧٣م.

٢٩. ـــــــــ. المحبر. تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، د.ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت.د.ت.

٣٠. ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م). لسان الميزان. تحقيق: سلمان عبدالفتاح، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت:٢٠٠٢م.

٣١. ابن ابي الحديد، عز الدين (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل، ط٢، دار الجيل، بيروت: ١٩٩٦م.

٣٢. ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: ليفي بروفنسال. د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣٣. ـــــــــ. الفصل في الملل والأهواء والنحل. تحقيق: محمد إبراهيم وآخرون، ط٢، دار الجيل، بيروت:١٩٩٦م.

٣٤. الحلي، أبو البقاء هبة الله محمد بن نما (ق٦هـ/١٢م). المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية. تحقيق: محمد عبدالقادر خريسات وآخرون، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان: ١٩٨٤م.

٣٥. الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م). معجم البلدان. د.ط، دار صادر، بيروت:١٩٧٧م.

٣٦. الحميري، أبو سعيد نشوان (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م). الحور العين. تحقيق: كمال مصطفى، ط٢، دار آزال، بيروت: ١٩٨٥م.

٣٧. أبي حنيفة، النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م). الفقه الأكبر. ط١، مكتبة الفرقان، دبي: ١٩٩٩م.

٣٨. ابن حوقل، محمد بن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م). صورة الأرض. د.ط، دار صادر، بيروت:١٩٣٨م.

٣٩. ابن خرداذبة، عبيدالله بن عبدالله (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م). المسالك والممالك. د.ط، دار صادر، بيروت: ١٨٨٩م.

٤٠. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. د.ط، دار الكتاب المصري، القاهرة: ١٩٩٩م.

٤١. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان. تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت. د.ت.

٤٢. ابن خياط، أبي عمر خليفه بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م). تاريخ خليفه بن خياط. مراجعة: مصطفى نجيب وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٩٥م.

٤٣. ــــــــــ. كتاب الطبقات. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، د.ن، بغداد: ١٩٦٧م.

٤٤. الدرجيني، أحمد بن سعيد (ق٧هـ/١٣م). طبقات المشائخ بالمغرب. د.ط، مطبعة البعث، قسنطينة: ١٩٧٤م.

٤٥. ابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م). الاشتقاق. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت: ١٩٩١م .

٤٦. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت٢٨١هـ/٨٩٤م). الإشراف في منازل الأشراف. تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، ط١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٩٩٠م.

٤٧. الدواداري، أبو بكر بن عبدالله. كنز الدرر وجامع الغرر. تحقيق: جونهيلد جراف، د.ط، المؤسسة الجامعية، بيروت: ١٩٩٤م.

٤٨. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داؤود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). الأخبار الطوال. ط١، مطبعة السعادة، القاهرة: ١٩١١م.

٤٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ٢٠٠٣م.

٥٠. ــــــــــ. سير أعلام النبلاء. ترتيب: حسان عبد المنان، د.ط، بيت الأفكار الدولية، بيروت: ٢٠٠٤م.

٥١. ــــــــــ. ميزان الإعتدال في نقد الرجال. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت: ١٩٦٣م.

٥٢. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. مراجعة: علي سامي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٣٨م.

٥٣. ـــــــــ. تفسير الفخر الرازي. ط١، دار الفكر، بيروت:١٩٨١م.

٥٤. ابن الربيع، الحاكم محمد بن عبدالله(ت٤٠٥هـ/١٠١٤م). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبدالقادر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٩٠م.

٥٥. الزبيري، المصعب بن عبدالله (٢٣٦ه/٨٥٠م). نسب قريش. تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٥٦. أبو زكريا، يحيى بن أبي بكر(ت: بعد ٤٧٤هـ/١٠٨١م). سير الأئمة وأخبارهم. تحقيق: إسماعيل العربي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٢م.

٥٧. السالمي، عبدالله بن حميد (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م). تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. د.ط، مكتبة الإستقامة، مسقط: ١٩٩٧م.

٥٨. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

٥٩. ابن سعد، محمد بن سعد بن منبج (ت ٢٣٠هـ/٨٨٤م).كتاب الطبقات الكبرى. تحقيق: علي محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة:٢٠٠١م.

٦٠. ابن سلام؛ أبو عبدالله، محمد (ت٢٣٢هـ/٨٤٦م). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر، ج٢، د.ط، دار المدني، جدة، د.ت.

٦١. السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء.ط١، دار ابن حزم، بيروت: ٢٠٠٣م.

٦٢. الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٣٠هـ/٩٤١م). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق: محمد محي الدين، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت:١٩٩٠م.

٦٣. الشماخي، أحمد بن سعيد (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م). كتاب السير. تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٧م.

٦٤. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم(ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م). الملل والنحل. تصحيح وتعليق: أحمد فهمي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٢م.

٦٥. الشيرازي، أبو إسحاق(ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م). طبقات الفقهاء. تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت:١٩٧٠م.

٦٦. الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت:٢٠٠٠م.

٦٧. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٩٩٤م.

٦٨. الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ- ٩٢٢م). تاريخ الأمم والملوك. تحقيق: أبو صهيب الكرمي، د.ط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ت.

٦٩. ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول. ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة:٢٠٠١م.

٧٠. العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبدالله (ت٢٦١هـ/٨٧٤م). معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم. ترتيب: نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر وآخرون، تحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، د.ط، مكتبة الدار، المدينة المنورة: ١٩٨٥م.

٧١. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/١١٧٥م). تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ط١، دار الفكر، بيروت:١٩٩٧م.

٧٢. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م). الإصابة في تميز الصحابة. تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن، ط١، د.ن، القاهرة: ٢٠٠٨م.

٧٣. ــــــــ. تهذيب التهذيب. اعتنى به: إبراهيم الزيبق وآخرون،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٣م.

٧٤. ــــــــ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تصحيح: محب الدين الخطيب، ج١٢، د.ط، دار المعرفة، بيروت: ١٩٥٩م.

٧٥. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م). الأوائل. تحقيق: محمد السيد الوكيل، ط١، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، القاهرة:١٩٨٧م.

٧٦. علي، محمد كرد. خطط الشام. ط٢، مكتبة النوري، دمشق، د.ت.

٧٧. العوتبي، سلمة بن مسلم (ق٥هـ/١١م). الأنساب. د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٤م.

٧٨. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٨م). الإمامة والسياسة. تحقيق: علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت: ١٩٩٠م.

٧٩. ــــــــ. تأويل مختلف الحديث. تحقيق: أبو أسامة سليم بن عيد،ط٢، دار ابن القيم، الرياض: ٢٠٠٩م.

٨٠. ــــــــ.عيون الأخبار. ج٢، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة:١٩٩٦م.

٨١. ــــــــ. المعارف. تحقيق: ثروت عكاشه، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٨٢. القرشي، الزبير بن بكار(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). الأخبار الموفقيات. تحقيق: سامي مكي العاني، ط٢، عالم الكتب، بيروت:١٩٩٦م.

٨٣. القزويني، زكريا بن محمد(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م). آثار البلاد وأخبار العباد. د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.

٨٤. القشيري، محمد بن سعيد (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين. تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار البشائر، دمشق: ١٩٩٨م.

٨٥. القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م). مآثر الأناقة في معالم الخلافة. ط٢، مطبعة حكومة الكويت، الكويت: ١٩٨٥م.

٨٦. القلهاتي، أبو سعيد محمد بن سعيد. الفرق الإسلامية من خلال الكشف والبيان. تحقيق: محمد بن عبد الجليل، د.ط، مركز الدراسات و الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس:١٩٨٤م.

٨٧. ابن القيم، شمس الدين أبو عبدالله (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م). أخبار النساء. تحقيق: نزار رضا، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت:١٩٨٢م.

٨٨. ابن كثير، أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). البداية والنهاية. د.ط، بيت الأفكار الدولية، بيروت:٢٠٠٤م.

٨٩. الكدمي، أبو سعيد محمد بن سعيد. الإستقامة . د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٥م.

٩٠. الكشي، أبوعمرو محمد بن عمر(ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م). رجال الكشي. تحقيق: حسن المصطفوي، د.ط، مؤسسة النشر الإسلامي، د.م، ١٩٢٩م.

٩١. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت بعد ٣٣٥هـ/ ٩٦٤م). تاريخ ولاة مصر. ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت:١٩٨٧م.

٩٢. ـــــــــــ. الولاة والقضاة. د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٩٣. ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر(ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م). الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:١٩٩٠م.

٩٤. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ/٨٩٨م). الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٧م.

٩٥. المزي، يوسف بن عبدالرحمن (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٠م

٩٦. المسعودي. علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). التنبيه والإشراف. د.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت:١٩٨١م.

٩٧. ـــــــــ. مروج الذهب ومعادن الجوهر. راجعه: كمال حسن، ج٣، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

٩٨. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م). تجارب الأمم وتعاقب الهمم. تحقيق: سيد كسروي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠٣م.

٩٩. المقدسي، المطهر بن طاهر(ت٣٥٥هـ/٩٦٦م). كتاب البدء والتاريخ. د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

١٠٠. المقريزي، تقي الدين (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م). المقفى الكبير. تحقيق: محمد اليعلاوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩١م.

١٠١. الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م). التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. تحقيق: محمد زينهم محمد، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة: ١٩٩٣م.

١٠٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). مختصر تاريخ دمشق. تحقيق: أحمد راتب وآخرون، ط١، دار الفكر، دمشق: ١٩٨٩م.

١٠٣. المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/٨٢٧م). وقعة صفين. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، د.ط، دار الجيل، بيروت:١٩٩٠م.

١٠٤. النمري، أبو عمر يوسف بن عبد البر(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).الإستيعاب في أسماء الأصحاب. د.ط، دار الفكر، بيروت:٢٠٠٦م.

١٠٥. النوبختي، الحسين بن موسى (ت ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م) وآخرون. فرق الشيعة. تحقيق: عبدالمنعم الحفني، ط١، دارالرشاد، القاهرة: ١٩٩٢م.

١٠٦. النووي، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م). صحيح مسلم بشرح النووي. ط٢، مؤسسة قرطبة، الرياض: ١٩٩٤م.

١٠٧. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م). نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: عبدالمجيد ترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠٤م.

١٠٨. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). صفة جزيرة العرب. تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء: ١٩٩٠م.

١٠٩. وكيع، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م). أخبار القضاة. تحقيق: عبدالعزيز مصطفى، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة: ١٩٧٤م.

١١٠. اليحمدي، جابر بن زيد. موسوعة آثار الإمام جابر بن زيد الفقهية. جمع وترتيب: إبراهيم بن علي بولرواح، ط١، مكتبة مسقط، مسقط: ٢٠٠٦م.

١١١. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). البلدان. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت:٢٠٠١م.

١١٢. ـــــــــ . تاريخ اليعقوبي. دار صادر، بيروت. د.ت.

١١٣. ابن يونس، عبدالرحمن بن أحمد(٣٤٧هـ/٩٥٨م). تاريخ ابن يونس. ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م.

ثالثا: المراجع العربية والمعربة

١. إبراهيم، محمد أبو الفضل وآخرون. أيام العرب في الإسلام. د.ط، المكتبة العصرية، بيروت. د.ت.

٢. أمين أحمد. فجر الإسلام. ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت:١٩٦٩م.

٣. الأمين، محسن. أعيان الشيعة. تحقيق: حسن الأمين، د.ط، د.ن، د.م، ١٩٨٣م.

٤. باباعمي، محمد بن موسى وآخرون. معجم أعلام الأباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب الإسلامي. مراجعة: محمد صالح ناصر. ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت:١٩٩٩م.

٥. الباروني، أبو الربيع سليمان. مختصر تاريخ الأباضية. ط٣، مكتبة الغامدي، السيب: ٢٠٠٣م.

٦. بحاز، إبراهيم. مشوهات الإباضية نظرة من الداخل والخارج.د.ط، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديما وحديثا، منشورات جامعة آل البيت، عمّان:٢٠٠٢م.

٧. باحشوان، خلود. نظام ولاية العهد في الدولة الأموية. ط١، دار مجدلاوي، الأردن: ٢٠١٣م.

٨. بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة: نبيه أمين وآخرون، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت:١٩٨٦م.

٩. بطاينة، محمد ضيف الله. دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين. ط١، دار الفرقان، الأردن:١٩٩٩م.

١٠. البكاي، لطيفة. حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (٣٧-١٣٢هـ). ط١، دار الطليعة، بيروت: ٢٠٠١م.

١١. الجابري، محمد عابد. العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته. ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت:٢٠٠٤م.

١٢. الجعبيري، فرحات. البعد الحضاري للعقيدة عند الأباضية. د.ط، د.ن، د.م، ١٩٨٧م.

١٣. جهلان، عدون. الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش. ط٢، مكتبة الضامري، السيب: ١٩٩١م.

١٤. جوزي، بندلي. من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام. دراسة وتحقيق: محمود إسماعيل، ط١، دار رؤية، القاهرة: ٢٠٠٦م.

١٥. الحارثي، سالم بن حمد. العقود الفضية في أصول الأباضية. د.ط، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان، د.ت.

١٦. حتي، فيلب وآخرون. تاريخ العرب. ط١٢، دار الكشاف، بيروت:٢٠٠٧م.

١٧. حريزي، موسى إبراهيم. الإمام عبدالله بن إباض الحيادي. ط١، جمعية التراث، الجزائر:٢٠١٠م.

١٨. الخربوطلي، علي حسني. ١٠ ثورات في الإسلام. ط٣، دار الآداب، بيروت:١٩٨٦م.

١٩. الخروصي، سالم بن هلال. الفكر السياسي عند الأباضية والزيدية. ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٠. خريسات، محمد عبدالقادر. الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م). د.ط، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد: ٢٠٠٥م.

٢١. ــــــــ. العصبية القبلية في صدر الإسلام. د.ط، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اربد:٢٠٠٥م.

٢٢. الخطيب، صفاء. دولة المختار الثقفي. ط١، دار العلوم، الرياض: ٢٠١١م.

٢٣. خليفات، عوض محمد. الأصول التاريخية للفرقة الأباضية. د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط:١٩٨٢م.

٢٤. ــــــــ. نشأة الحركة الأباضية. ط١،وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٢م.

٢٥. الخليلي، أحمد بن حمد. نبذ التعصب المذهبي. ط٢، مكتبة الضامري، السيب: ٢٠٠٣م.

٢٦. دبوز، محمد علي. تاريخ المغرب الكبير. ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٩٦٣م.

٢٧. دفتري، فرهاد. الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم. ترجمة: سيف الدين القصير، ط١، دار الساقي، بيروت:٢٠١٢م.

٢٨. دكسن، عبد الأمير عبد حسين. الخلافة الأموية ٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م. ط١، دار النهضة العربية، بيروت:١٩٧٣م.

٢٩. الدوري، عبدالعزيز. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت:١٩٩٥م.

٣٠. الدوري، قحطان. عقد التحكيم في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي. ط١، دار الفرقان، الأردن:٢٠٠٢م.

٣١. السابعي ، ناصر بن سليمان. الخوارج والحقيقة الغائبة. ط١، د.ن، د.م، ١٩٩٩م.

٣٢. السعدي، فهد بن علي. معجم شعراء الأباضية (قسم المشرق). ج١، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط:٢٠٠٧م

٣٣. السيابي، سالم بن حمود. إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء. تحقيق: سيدة إسماعيل كاشف. د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٧٩م.

٣٤. السيد، عباللطيف عبد الهادي. موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر الأموي. د.ط، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة: ٢٠٠٨م.

٣٥. شعبان، محمد عبدالحي. صدر الإسلام والدولة الأموية. د.ط، دار الأهلية، بيروت:١٩٨٧م.

٣٦. أبو الشعر، هند. حركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة. د.ط، د.ن، الأردن:١٩٨٣م.

٣٧. شلبي، أحمد. الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها. ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٨٤م.

٣٨. الشماخي، قاسم بن سعيد. القول المتين. ط٢، مكتبة الضامري، السيب:١٩٩٢م.

٣٩. الصوافي، صالح بن أحمد. الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة. ط٣، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ١٩٩٧م.

٤٠. طه، عبدالواحد ذنون. العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي.ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت:٢٠٠٥م.

٤١. طهبوب، صلاح. موسوعة التاريخ الإسلامي : العصر الأموي. د.ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان: ٢٠٠٤م

٤٢. ظهير، إحسان. الشيعة والتشيع. ط١٠، دار السلام، الرياض:١٩٩٥م.

٤٣. عاقل، نبيه. خلافة بني أمية. ط٣، دار الفكر، دمشق: ١٩٧٥م .

٤٤. عبد الغفار، حسن. الحجاج بن يوسف الثقفي. ط١، مكتبة النافذة، الجيزة:٢٠٠٨م.

٤٥. العش، يوسف. الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان. ط٢، دار الفكر، دمشق:١٩٨٥م.

٤٦. عقيل، عبدالرحمن جعفر. صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت. ط١، دار حضرموت، المكلا:٢٠٠٦م.

٤٧. الفاعوري، أمجد ممدوح. دور الجماعات غير العربية في الإدارة والجيش الأموي. د.ط، دار زهران، عمّان: ٢٠٠٩م.

٤٨. فلوتن، ڤان. السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية. ترجمة: إبراهيم بيضون، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت:١٩٩٦م.

٤٩. فوزي، فاروق عمر. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين.ط٢، مكتبة النهضة، بغداد:١٩٨٥م.

٥٠. ______. الخلافة الأموية. ط١، دار الشروق، عمّان:٢٠٠٩م .

٥١. ______. دراسات في التاريخ الإسلامي. ط١، دار مجدلاوي، الأردن، ٢٠١٢م.

٥٢. ______. نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام. ط١، دار الأهلية، عمّان:١٩٩٩م.

٥٣. القمي، عباس. سفينة البحار. ط٢، دار الأسوة، طهران: ١٩٩٥م.

٥٤. كحاله، عمر رضا. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام. د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

٥٥. لامنس، هنري. حجر بن عدي. بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، مجلد٧، دار المعرفة، بيروت: ١٩٨٠م.

٥٦. ماجد، عبدالمنعم. التاريخ السياسي للدولة العربية. ط٨، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة:١٩٩٨م.

٥٧. المالكي، عامر بن خميس. غاية المطلوب في الأثر المنسوب. تحقيق: بدر بن سالم العبري، ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط:٢٠١٢م.

٥٨. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. ط٤، مكتبةالشروق الدولية، القاهرة: ٢٠٠٤م.

٥٩. المصري، جميل عبدالله. أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري. ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة: ١٩٨٩م.

٦٠. معمر، علي يحي. الأباضية في موكب التاريخ. مراجعة : سليمان بن الحاج. ط٣، مكتبة الضامري، السيب: ٢٠٠٨م.

٦١. ______. الأباضية مذهب إسلامي معتدل. تقديم: أحمد بن سعود السيابي، ط٢، مطابع النهضة، مسقط: ١٩٧٩م.

٦٢. المعيني، عبدالحميد. شعراء عبد القيس وشعرهم في العصرين الإسلامي والأموي. د.ط، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت: ٢٠٠٢م.

٦٣. المقداد، محمود. الموالى ونظام الولاء. ط١، دار الفكر، دمشق: ١٩٨٨م.

٦٤. ناصر، محمد صالح. منهج الدعوة عند الإباضية. د.ط، مكتبة الاستقامة، مسقط:١٩٩٧م.

٦٥. النامي، عمرو خليفة. دراسات عن الأباضية. ترجمة: ميخائيل خوري وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ٢٠٠١م.

٦٦. النص، إحسان. العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي. ط٢، دار الفكر، بيروت: ١٩٧٣م.

٦٧. هاشم، مهدي طالب. الحركة الأباضية في المشرق العربي. ط٢، دار الحكمة، لندن:٢٠٠٣م .

٦٨. الوشمي، صالح بن سليمان. ولاية اليمامة. د.ط، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض:١٩٨٨م.

٦٩. ولهاوزن، يوليوس. أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة. ترجمة: عبدالرحمن بدوي، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٥٨م.

٧٠. ــــــــــ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية. ترجمة وتعليق: محمد عبد الهادي، د.ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٩٦٨م.

٧١. اليوزبكي، توفيق سلطان. تاريخ أهل الذمة في العراق. ط١، دار العلوم، الرياض:١٩٨٣م.

رابعا: المراجع الأجنبية

1. Encyclopedia of Islam. New edition, London:1969.
2. Nicholson, Reynold Alleyne.Aliterary history of the Arabs Cambridge University Press, London:1914.
3. Weil, Gustav. History of the Islamic peoples. Translated by: S.Khuda Bukhsh, Darf, London: 1985.
4. Wellhausen, Julius. The Arab kingdom and it's fall. Translate by: Margaret Graham, University of Calcutta, Calcutta: 1929.

خامسا: الرسائل العلمية

١. البرطماني، مريم بنت سعيد. آل الجلندى في عمان دورهم منذ ما قبل الإسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري/ منتصف القرن التاسع الميلادي. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط:٢٠١٢م.

٢. العزام، صبحي محمد. خلافة مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن: ٢٠٠٦م.

٣. عواجي، غالب بن علي. الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٩٧٨م.

٤. الغيلاني، سعيد بن محمد. إقليم الخليج العربي في القرنين الاول والثاني للهجرة. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة: ١٩٩٥م.

٥. المنذري، سعود بن ناصر. الدعوة الأباضية في البصرة نشأتها وتطورها ودور حملة العلم في انتشارها حتى (١٦٠هـ/٧٧٦م). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، مسقط: ٢٠١٠م.

سادسا: البحوث العلمية

١. الأمين، السيد حسن. "ثورة الأحرار على الحجاج". مجلة المنهاج، المجلد٢، العدد٨، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت: ١٩٩٧م، ص ص١٨٣-٢٣٠.

٢. البلوي، سلامة. "مدخل لدراسة الإستخبارات الأموية". مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد٢، العدد١، الشارقة: ٢٠٠٥م، ص ص١٣٣-١٦٤.

٣. الجميح، إبراهيم عبدالعزيز. "الأوضاع السياسية لبلاد عمان في العصر الأموي". مجلة جامعة الملك عبدالعزيز :الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد٩، مركز النشر العلمي، جدة: ١٩٩٦م، ص ص١٥٠-٢١٥.

٤. حركات، إبراهيم. "التيارات الفكرية في صدر الإسلام". مجلة دار الحديث الحسنية، العدد٣، الرباط: ١٩٨١م، ص ص٤١١-٤٣٤.

٥. حسن، ناجي. "الخوارج بين البداوة والتحضر". المجلة التاريخية، العدد٣، مؤسسة دار الكتب، الموصل :١٩٧٤م، ص ص٣٠٢-٣١٦.

٦. الدسوقي، عبدالمنعم أحمد. "قبيلة بني حنيفة وموقفها من الخلافة الإسلامية حتى عهد عبدالملك بن مروان". مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٠م: ص ص٣١١-٣٤٦.

٧. دكسن، عبد الأمير. "من حركات المعارضة الدينية السياسية في العصر الأموي". المجلة التاريخية، العدد٢، بغداد: ١٩٧٢م، ص ص١٤١-١٥١.

٨. شاكر، انتصار نصيف. "دور الموالي في حركة عبدالرحمن بن الأشعث". مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد١٥، العدد٥، تكريت: ٢٠٠٨م، ص ص٣٤١-٣٥٥.

٩. طلفاح، مضر عدنان. "عمرو بن سعيد الأشدق ودوره في الدولة الأموية ٥٠-٧٠هـ/٦٧٠-٦٨٩م". المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد٦، العدد١، عمادة البحث العلمي، عمّان: ٢٠١٢م، ص ص١٥٩-١٧٥.

١٠. طه، عبد الوحد ذنون. "من أسباب فشل الثورات العراقية في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي". مجلة التربية والعلم، عدد٢، بغداد: ١٩٨٠م، ص ص١٣٥-١٥٠.

١١. عز الدين، مصطفى. "فرقة الخوارج". مجلة الرسالة، العدد١٠٩، القاهرة: ١٩٣٥م، ص ص١٢٥٦-١٢٥٨.

١٢. الغصن، سليمان بن صالح. "صفات الخوارج". مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد٤٩، الرياض: ٢٠٠٥م، ص ص٩٣-١٢٠.

١٣. فوزي، فاروق عمر. "من مظاهر صمود أهل البصرة في التاريخ العربي الإسلامي". مجلة المورد، المجلد١٤، العدد٣، بغداد: ١٩٨٥م، ص ص٧-٢٠.

١٤. القيسي، نوري حمودي. "زفر بن الحارث الكلابي". مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٥، بغداد: ١٩٨٤م، ص١٤٢-١٧٢.

١٥. المشهداني، محمد جاسم. "حركة عبدالرحمن بن محمد الأشعث ضد الخلافة الأموية ٨١-٨٣-٧٠٠-٧٠٢م". مجلة المؤرخ العربي، العدد٢٨، الأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب، بغداد:١٩٨٦م، ص ص٧٥-٨٧.

١٦. الملحم، محمد بن ناصر. "تحليل تاريخي لموقف الدولة الأموية من خروج ابن الأشعث عليها (٧٩-٨٣هـ/٧٩٨-٧٠٢م)". مجلة جامعة الملك سعود(الآداب)، المجلد١٣، الرياض: ٢٠٠١م، ص ص١٢٧-١٩٦.

١٧. النابودة، محمد حسن. "عبدالله بن أباض ونشأة المذهب الأباضي". مجلة دراسات تاريخية، العدد ٤٥و ٤٦، البصرة: ١٩٩٣م، ص ص٢٩-٥٠.

١٨. الناطور، شحادة علي. "جند الأردن ودور القبائل اليمنية في استرداد سلطة بني أمية". مجلة المؤرخ العربي، العدد٣٠، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد: ١٩٨٦م، ص ص١٦١- ١٧٠.

١٩. النعيمي، سليم. "ظهور الخوارج". مجلة المجمع العلمي العراق، مجلد١٥، العراق:١٩٦٧م، ص ص١٠-٣٨.